شرح أسماء الله الحسنى
لإمام التصوف أبي القاسم عبد الكريم القشيري
ويليه شرح أسماء الله الحسنى وتحقيقات وشروح
للأستاذ احمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني
دار ازال

شرح أسماء الله الحسنى

لإمام التصوف أبي القاسم عبد الكريم القشيري

ويليه شرح أسماء الله الحسنى وتحقيقات وشروح
للأستاذ احمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، إله العالمين ، الموجود المعبود ، الذي لا إله غيره ، تنزه عن مشابهة الحوادث ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . لا آلاء إلا آلاؤه ، ولا نعماء إلا نعماؤه . له الأسماء الحسنى ، والنور الأبهى والصفات العلية . قال تعالى : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه** ﴾ . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله ، خير الموحدين والمسبحين والحامدين والعابدين والساجدين ، أعرف الخلق أجمعين برب العالمين ، علماً وعملاً وكمالاً ونوراً وبهاءً وتبتلاً وقراءة وفرقاناً ، فرق الله به بين الحق والباطل . اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ما دامت السموات والأرضين .

أما بعد ، فمنذ خمسة وأربعين عاماً وأنا أهتم بشرح أسماء الله الحسنى وأجمع كثيراً من كتب الذين شرحوها ، كالغزالي والزمخشري وغيرهم ، وأنقب عن الشروح التي لم تطبع في المكتبات . فعثرت على فسخة مخطوطة لأبي القاسم عبد الكريم القشيري . وبجلالة قدره أشتريتها بثمن باهظ . وهي مخطوطة بخط كاتب لم يذكر إسمه ، وأرخ الإنتهاء من نقلها غدية يوم الإثنين ٣ من رجب سنة ١٣٠٤هـ . وأذكر أن من اشتريتها منه أخبرني أنها منقولة عن نسخة وحيدة في العالم موجودة بالعراق . ولم يبين لي مكانها وكنت أظن أن لها مثيلاً في أي مكتبة فلم أعن بطبعها ، وأخيراً وجدت بالبحث أنه لا مثيل لها في أي

مكتبة من المكاتب في الشرق أو الغرب . وفي سنة ١٩٦٨ م وجدت الدكتور إبراهيم بسيوني ، جزاه الله عن المسلمين خيراً ، خرج بكتاب اسمه : « التحبير في التذكير » وقال في مقدمته : « وبين أيدينا من هذا الكتاب نسختان : إحداهما خطية بدار الكتب المصرية التيمورية الفن ـ مجامع ٢٩٦ . مذيلة في نهايتها باسم ناسخها : عبد المنعم سلامة الدنجاوي الشافعي الأزهري . والثانية نسخة أكبر حجماً نقلناها من مخطوطة أقدم عهداً من الأولى، موجودة في مكتبة الفردوس بمدينة دوشانبيه بالإتحاد السوفيتي ، وتقع بعد نسخها في ٧٨ صفحة ، وهي أوفى من النسخة المصرية . وقد قومنا النص على النسختين ، ورمزنا للسوفيتية بالحرف س وللمصرية بحرف م ـ ولما راجعت كتاب التحبير في التذكير الخاص بشرح أسماء الله الحسنى للقشيري والذي نقله الدكتور إبراهيم بسيوني وجدت فرقاً كبيراً بين النسخة التي تحت يدي وهذا الكتاب في كثير من العبارات ، ووجدت العبارات الواردة في النسخة التي تحت يدي أدق ، كما أن النسخة التي تحت يدي تزيد كثيراً في البيان والتوضيح ، وفيها أيضاً زيادات كثيرة لم تشملها نسخة التحبير في التذكير التي نقلها الدكتور حفظه الله . ولذلك رأيت أنه خدمة للعلم أن أعنى بطبعها وإظهارها مهما كلفني الأمر .

وحيث أني كنت شرحت أسماء الله الحسنى شرحاً موجزاً وطبعته سنة ١٣٥١ هـ وكثيراً ما اهتممت بشروح أسماء الله الحسنى وهي كثيرة ولكن من أجَلّها وأكملها شرح الإمام القشيري . وشرحه تصوف مستقل ، لأنه يسترسل في الشرح إلى أن يصل الى مواضيع أخرى من مهمات التصوف ، وله لطائف من الإشارات في أحكام من التعبيرات وأصدق التأملات . ولا غرو فإن القشيري علم من أعلام التصوف السلفي السني ، خدم الدين والعلم . وإذا كان التصوف إسماً مستعاراً لعلم هو البحث عن الحقيقة وعن واجب الوجود لذاته والنجاة في الدار الآخرة والإتصال بالله ، فإن هذا يستدعي فهم الشريعة والقرآن وتعلم علومه والتفقه فيه وفي فهم أسراره ثم العمل بما جاء به والدأب على ذكر الله وتسبيحه ، وطلب مرضاته ، حتى يقرب الله العبد منه ويفتح عليه بأسراره

العظمى ويقوم العبد بمجاهدة نفسه حتى لا يحوله الشيطان عن طريقه . وإن للمتصوفة في هذا السلوك منازلات كثيرة وامتحانات خطيرة عندما (تظهر لهم لوائح الأسرار ولوامع الأنوار وتخطي العقبات واجتياز الحجب) ، وصار أعلامهم يتلقون هذه المنازلات وأحوال الغارقين في هذه الأعمال ، وما يظهر عليهم من الأحوال ، ويثبتونها كتجارب لأهل السلوك حتى يفيد منها السالكون فيعرفونها عند الوصول إليها فيزدادون اتصالاً ويعلمون مزالقها فيحذرون منها ، ويشتد خوفهم حتى يصلوا إلى الدرجات العليا بسلام . ومن أهم الرجال الذين كتبوا في هذا المضمار هو الأستاذ القشيري ، ولا زالت « الرسالة القشيرية » هي أهم كتاب يفيد منه طالب الحق سبحانه وتعالى . ولذلك رأيت أن أحقق كتاب « شرح أسماء الله الحسنى » للقشيري ، عن النسخة الخطية الموجودة لدينا ، وأنشره وأضيف إليه بعض التعليقات والشرح الذي كنت ألفته وأشرت إليه سابقاً .

وأرجو أن ينفع الله به الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وأن يجزى الله الإمام القشيري عن الأمة الإسلامية خير الجزاء ، وأن ينفعنا ببركته .

وأرجو الله أن يغفر لي ذنوبي وتقصيري ، وأن يقبل عملي المتواضع فهو جهل المقل .

أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلواني

* * *

سبب اهتمامي بشروح أسماء الله الحسنى

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين العظيم المتعال . عظمته ذاتية . لا يدركها غيره من الخلق أجمعين إذ لا يدرك كنهه إلا هو . تأصلت في قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لَمْ يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وفي قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ ويسبِّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق ﴾ ؛ وله العظمة البادية في القدرة وفي صفاته العليا التي بينها للناس في آيات الكتاب الكريم . وفي أفعاله الحكيمة . التي تحار فيها العقول . فهو عظيم الذات عظيم الصفات .

ومن عظمة الله تعالى تفاوت أقدار الخلق في القوة والعطاء . حيث قدر الله أقدارهم إذ لو تساوى العطاء ما ظهرت العظمة . وقد ميز الله الرسل عن بقية الخلائق وميز عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالمرتبة العليا قال تعالى : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ . وثبت بالأدلة القاطعة التي لا مجال لذكرها هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق وأكثرهم نوراً ، وأسطعهم ضياء ، وأكثرهم علماً ، وأقربهم من الله منزلاً وهو عبد ولكنه أفضل العبيد . وهو مخلوق ولكنه أشرف المخلوقات . فنوره أبهى الأنوار وأسبق الخلق في السير إلى الله تعالى وأعظمهم تحققاً بصفات الله العليا متحققاً بها مما جاء في القرآن . ومتحققاً بها من معراج الشهود حتى وصل مقام قاب قوسين أو أدنى وسيظهر فضله على الخلائق يوم يتوج بتاج الكرامة ويرفع لواء الحمد ويشفع في

النـاس ويعرج إلى منـزله الأعـلى ومقامـه المحمود . اللهمّ صـلِ عليه وعـلى آلـه وأصحابه أئمة الهدى . الذين تحققوا برسالته علماً وعملاً « أما بعد » .

فقد كان سبب شغفي بالتحقق من أسماء الله الحسنى ومعـانيها . مـا كنت أرى من ذكـرها معـانٍ تشغ في نفسي لم أعهـدها من قبـل . وكنت مواظبـاً عـلى ذكرها والتسبيح طاعـة لله تعالى وتقـرباً إليـه ومحبة فيـه . وكنت أقرأ بعض كتب التصوف ولكن أرى من نفسي زهداً فيها ، لأن الحقيقة لا تؤخـذ بالقـراءة . ولا تصـل إلى القلب إلا من فيض الله تعالى للمحبـين لذاتـه . المغـرمـين بـالجلوس إليه . المهيمين في جنابه . لا تثنيهم أي رغبة من الرغبات عن الحضور في حضرة الله تعـالى . ولكني تأثـرت كثيراً بـأوراد سيدي أبي الحسن الشـاذلي . ومذاقـاته وتعبيراته التي تدل على أنه يترقى إلى مـراتب خيار الأوليـاء . عن حقيقة لا أثـر للإنحراف فيها . فهي تجمع بين لباب الشريعة وإشراق شمس الحقيقة . وأنا لا أفرق بين رجال الله فكلهم تلاميذ المدرسة المحمديـة وأحبهم حباً عـظيماً خـاصة من تحققت بفضلهم مثل الجيلاني والدسوقي والرفاعي وغيـرهم من الأوليـاء الذين لم يجنحوا إلى البحث الفلسفي الذي أضر بكثير من السالكين الذين تكلموا في وحدة الوجود ومزالقها التي قد تؤدي إلى الكفـر وتشتبه عـلى العامـة والخاصـة . وكذلك أصحاب وحدة الشهود ولو أنهم لا ينسب إليهم الكفر إلا أنهم منحرفون أيضاً لأن هؤلاء يقولون بأنه ليس في الوجود إلا الله . وأقواله وأفعالـه . وهم في عماء لأنهم بذلك ينسبون أفعال الشر إلى الله تعالى وهذا سوء أدب ويسلمـون بما يجـري في الكون من الخير والشر على أنـه من الله تعـالى ويحسبـون أن هـذا من مقتضيـات التسليم مع أن التكليف يـوجب عليهم مجـاهـدة الشر وأهله وليسـوا مكلفين بالإطلاع على الغيب ولا يـطلع الله على غيبـه أحداً . وهؤلاء إذا نـزلت بهم نازلة جزعوا ، ولم يفهموا حقيقة التسليم وهو الرضا بالقضاء والصبر عليه ، فـإن وصلوا لم يحسوا بـالبلاء لأنهم مشغـولون عن كـل المخلوقات غـابـوا عنهـا بـالحضور بـين يدي الخـالق ، والبلاء مخلوق ، والحمـد لله رب العالمـين تشمـل الشكـر على السـراء والضـراء ، لأن هـذا شـأن المـالـك وهؤلاء مخـطئـون لأنهم

يشهدون غير الذات إذ يطلبون الدليل من المصنوع على الصانع ، وبنظرهم إلى المخلوقات على أنها أفعال الله إشتغلوا بغير الله وهم بذلك ينظرون إلى غير الله تعالى ، وهم واقفون عند الأدلة . وأما أهل الشهود الحقيقيين قد خرجوا من الدليل إلى اليقين لا يشهدون ما سوى الله تعالى . غابوا عن الخلائق في شهود رب العزة في عجز وانكسار يذكرون عقبى الدار فهؤلاء أهل الشهود الحق .
لم يتكلم الصحابة ولا خيار التابعين ولا الأئمة المجتهدون في فلسفة وحدة الوجود أو وحدة الشهود إنما كان عملهم أسوة بالمصطفى عليه الصلاة والسلام ويعملون بالقرآن ويؤمنون بكلماته على ما أراده الله منها إذا عجزوا عن فهم حقيقتها يخافون ربهم لا يتكلمون إلا بالقرآن وما يلهمه الله لقلوبهم في ساعات الإشراق الصافية بعد أن يتحققوا أن الشيطان لم يلبس عليهم حالهم .

ومع أني أعترف لشيخي سيدي أحمد البدوي بالفضل عليَّ من صغري . ولكن كنت أنظر للشاذلي على أنه ذو مدرسة عالية وأوراده كثيرة باقية . وفي يوم من الأيام ذهبت لزيارة السيد البدوي في مولده ودخلت المسجد الأحمدي وخطر لي خاطر : هل الشاذلي أرقى من البدوي أم البدوي أرقى من الشاذلي ؟ وأين تراث البدوي العلمي ؟ وهل كان صاحب أحوال فقط، إشتهر بها أم كانت له منازلات ؟ وعند ذلك وقفت عن زيارة الضريح لأني رأيت من نفسي سوء أدب . وأنه يزار في مولده ليس من البشر الأحياء فحسب بل إنه يزار من أرواح النبيين والصديقين والشهداء ذلك لأني رأيت في منامي مرة أني دخلت أزور السيد البدوي فشعرت أن القبر يخبىء تحته قصراً عظيماً . وأن رسول الله وآل البيت وكثيراً من الصحابة والأولياء يزورون السيد في مولده فلما شعرت بذلك رأيت أنه من سوء الأدب الزيارة في هذاالوقت فأردت الخروج فخرج من القبر سيدي أحمد البدوي فوجدته طويل القامة مشرق الوجه عليه صفرة يلبس حراماً أبيضاً كهيئة العرب وقال لي : أنتظر وسلم عليَّ بقوة وأعطاني شيئاً فخرجت .

لذلك أعلم أن الأرواح لها كهرباء سيال وشعور خفي بخواطر السالكين وذلك منذ خمسة وأربعين عاماً وكنت في مبادىء السلوك .

وإني بخاطر المفاضلة سيّء الأدب فيما لا أعرفه فإني لست من الدرجة التي أتعرف فيها أقدار الرجال . ويجب أن يلتزم الإنسان بحسن الأدب في حضرة هذه الأرواح فجلست بالمسجد من الساعة العاشرة صباحاً . وكان بالمسجد درابزين خشب أمام مقام سيدي مجاهد فأسندت ظهري إليه وجلست وأغمضت عيني وكنت أذكر « سبحان الله » وفي هذه الحال شعرت في خيالي أني صعدت إلى السماء فوق الصحن . وكأني ببعض الملائكة يسألني كبيرهم : ما معنى سبحان الله ؟

قلت : « تنزيه الله تعالى » . قالوا : وما التنزيه ؟ قلت : أنه واحد لا شريك له . قالوا :أين الله؟ قلت : لا أين . قالوا : كيف الله ؟ قلت : لا كيف . قالوا : هل تدرك ربك ؟ قلت : « لا تدركه الأبصار » قالوا : أنت قليل المعرفة لأنك تعرف وجود الله تعالى ولست سائراً في مسالك الوصول إليه . قلت : وكيف أسلك ؟ قالوا : إن الذات محجبة بالصفات . ومن لم يتأصل بمعرفة صفات الله تعالى لا يصل إليه في أي وقت ، في الدنيا أو الآخرة وإن معرفته في الدنيا هي أساس معرفته في الآخرة وكل إنسان يقبض على درجة معرفته . وأهم المعرفة التحقق من صفات الله تعالى علماً وعملاً والتزود منها إلى أن يلهم العبد أسرار صحف إبراهيم وصحف موسى وزابور داود وإنجيل عيسى ويتوج بعلم ما في القرآن من صفات الله تعالى والتحقق بأسمائه الحسنى ، وهنا حصلت مخاطبة تذوقتها روحاً لا أستطيع التعبير عنها كلاماً مهما أوتيت .

وحيث كنت في هذا الحال لم أكد أغمض عيني في هذه الأسئلة والأجوبة حتى كأنها لحظة وإذا برجل في جواري يقول لي: أفق. فرأيت أنهم يقيمون الصلاة لصلاة الظهر ، فصليت وسلمت وأغمضت عيني وكأني في الوقت والتو ، وإذا برجل يقول لي أفق صل العصر ! فوجدت الناس يقفون لصلاة العصر ، فدهشت فصليت معهم ! أغمضت عيني فإذا بصلاة المغرب وسلمت وأغمضت عيني فإذا بصلاة العشاء ! وسلمت وأغمضت عيني فإذا قائل يقول لي ، أفق

الساعة الواحدة صباحاً . ومر ذلك كله كلحظة لم أدرك فيهاالزمن وإذا خاطر يخطر لي : ما حصل لك خاطر يسير . ولحظة من شهود لو استمرت لغبت عن الخلائق إلى الأبد ولقد تحمل شيخك البدوي هذا مدى حياته . فهو يترقى في الحياة وبعد الممات مجذوباً إلى الله تعالى وهذا سبب محبة الخلائق له ولكل ولي من أولياء الله شراب من الحقيقة يشربه . وتنوعت مذاقاتهم وتقوت أرواحهم بنور الحق سبحانه وتعالى فالزم الأدب بالنسبة لأهل المراتب العليا . فإنك في مبتدأ الطريق ومبادىء السلوك . ومن يومها وأنا أحب معرفة أسماء الله الحسنى وأتلذذ بشروحها وأطلب مْن الله أن يحققني بالصفات منة منه تعالى لأن عملي قاصر . ونفسي عاجزة . إلى أن يكرمني الله بزاد من عنده وفيض من كرمه . لأن قدري وعملي لا يستحق بلوغ أي مرتبة من هذه المراتب . وعلى الله قصد السبيل .

* * *

ترجمة مختصرة للإمام القشيري

هـو الإمام أبـو القاسم عبـد الكريم بن هـوازن القشيري رضي الله عنـه الملقب بجمال الدين .

ولد في ربيع الأول عام ٣٧٦ هجرية الموافق يوليو ٩٨٦ ميلادية . وتـوفي يوم الأحد السادس عشر من ربيع الآخر عام ٤٦٥ هجرية،وهو من قبيلة قشير العدنانية ، وأمه سلمية ، وهو عـربي الأصل . أصيـل المحتد ونشـأ القشيري في نيسـابور . وانقـطع من صغره إلى تعلم الفقـه والعلوم الدينيـة مشغوفاً بهما من صغره ولا يهتم بغيرها . وكان يتتلمذ في أول أمره عـلى الإمام الأسفـراييني وكان يـرى فيـه النجـابـة من صغـره مـا سـألـه عن شيء سمعـه إلا أعـاده عليـه من حافظته . وكان يقـربه منـه . وساقتـه الأقدار إلى رجـل من الأولياء عـالم شريعـة وحقيقة . بلغ من المعرفة أعلاها . قلبه يتعلق بالله لا يفتر عن ذكـره . تلوح عليه الأنوار . يعظ الناس وتخترق موعظته القلوب بالرغم منهم وتنفذ فيهم كلماتـه نفاذ الكهرباء . يكاشف السالكين بأحوالهم ويلاحظهم في مدارج الترقي فيفتـح لهم آفـاق المعرفـة بالله فيتـواجدون ويتـذوقون ويعشقـون ربهم ويحبون أستـاذهم ويتفانون في طـاعته طـاعة لله تعـالى ذلك هـو الإمام أبـو علي الـدقاق من أجل المتصوفة في عصره وفي جميع العصـور نفع الله بـه خلقاً كثيـرين . لازمه الإمـام القشيـري وأحبه وأطـاعه بقلبـه وعقله وجنانـه وكلما ترقى إزداد معـرفة بـالشيخ وتقديراً له . ومع أن القشيـري ترقى إلى أعـلى المراتب فلم يخـدعه الشيـطان ولم يتعال على شيخه أبداً ولم يفتنه الخلائق إذ ظهر إسمه وذاع صيته . ولمع نجمـه . ومن حبـه لشيخه ومن حب شيخـه له زوجـه إبنته . وكـان من دواعي ذلـك أن يرفع التكليف بين التلميذ وشيخه ولكن القشيري لم يـزدد إلاّ إحترامـاً لشيخه .

ومعرفة بحقه فكان ذلك سبباً في زيادة درجاته وبذلك أظهر الله علمه ونفع به على مر العصور .

يقول القشيري : « لم أدخل على الأستاذ أبي علي رحمه الله في وقت بدايتي إلا صائماً وكنت أغتسل قبله وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب إحتشاماً من أن أدخل عليه فإذا تجاسرت مرة ودخلت ، كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبني شبه خدر حتى لو غرز في إبرة مثلاً لعلي كنت لا أحس بها . ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لي لم أحتج أن أسأله بلساني عن المسألة . فكلما كنت أجلس كان يبتدىء بشرح واقعتي وغير مرة رأيت منه هذا عياناً . وكنت أفكر في نفسي كثيراً إنه لو بعث الله عز وجل في وقتي رسولاً إلى الخلق هل يمكنني أن أزيد في حشمته على قلبي فوق ما كان منه رحمه الله تعالى . فكان لا يتصور لي أن ذلك ممكن . ولا أذكر أني في طول إختلافي إلى مجلسه ثم كوني معه بعد حصول الوصلة أن جرى في قلبي أو خطر ببالي عليه قط إعتراض إلى أن خرج رحمه الله تعالى من الدنيا » الرسالة ص ١٤٧ . وقد رأى أستاذه أبو علي الدقاق أن تلميذه القشيري بلغ مرتبة الرجال صدقاً وعلماً ومعرفة فأذن له بالتدريس وعقد له مجلس علم في مسجد المطرز وهو في الثلاثين من عمره ، وكان القشيري جل وقته يعكف على التأليف دون إنقطاع ، ووصلت كتبه التي ألفها إلى خمسة وعشرين كتاباً . منها التيسير في التفسير ، ولطائف الإشارات ، والرسالة القشيرية التي هي جوهرة كتبه وأكثرها إنتشاراً ونفعاً في جميع العصور . عكف عليها أهل التصوف وأهل العلم جميعاً يتدارسونها للآن ويفيدون منها فائدة كبرى . ومنها : القصيدة الصوفية والتوحيد النبوي واللمع ، والفصول ، والفتوى ، والمقامات الثلاثة ، والمعراج . إلى غير ذلك مما لم يعرف . وقد يكون غاب في خزانات الكتب ولم ينشر للآن مثل كتابنا هذا . ولم يسلم القشيري من التعرض للفتن في حياته وقد قبض عليه هو وإمام الحرمين وأبي الموفق ونفوا ومنعوا من التدريس . وكم أهينوا في الطرقات ولطموا على خدودهم وظهورهم ، وتحمل ذلك بصبر وشجاعة ولم يحد عن الحق كما حصل لأعلام

الأئمة جميعاً ليكونوا أسوة لغيرهم في عدم التحول عن الحق والجهاد في سبيل الله .

وقامت معركة من الشعب لإخراجه من السجن فلما خرج وُشي به ثانية عند السلطان فأمر بنفيه من البلاد فتغرب القشيري وسار يرحل في البلاد معلماً فأحبه الناس وانتفعوا بعلمه إلى أن وصل إلى الخليفة العباسي - القائم بأمر الله - فقربه منه . وصار يعقد له مجالس الدروس في حضرته ويحضرها بنفسه مكرماً معززاً .

وقد سافر إلى الحج واجتمع بالجويني في مكة ودعي للخطابة في المسجد الحرام فاجتمع الناس لسماعه وأنصتوا وعجبوا من علمه ووعظه ودعا فأمن الناس على دعائه بضراعة وتوجه إلى الله تعالى وشهد له الجمع . ومن كراماته أنه وهو على المنبر بلّغهم أن حاكم خراسان يقطع إرباً إرباً إذ قال : « يا أهل خراسان بلادكم بلادكم . إن الكندري غريمكم يقطع الآن إرباً إرباً . وإني أشاهده الساعة وقد تمزقت أعضاؤه » فكان كما قال .

ومنذ ذلك الوقت عاد القشيري بعد غربته إلى بلاده وقربه نظام الملك إليه وتتلمذ عليه . وانتفع بالقشيري خلق كثير علماً وعملاً ويعتبر بحق مؤسس علم التصوف على قواعده الأصلية وأصوله القوية وأنجب أولاداً كانوا أهل بركة من نبت طيب أمّاً وأباً فانتفع بهم الناس وله كرامات كبرى تتوالى على الأيام ولا يزال يترقى وهو في الدار الآخرة ما انتفع الناس بعلمه كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » وقد اكتمل له الثلاث ، وتوفي عن تسع وثمانين سنة مباركة نفعنا الله ببركاته .

صورة فوتوغرافية للصفحة الأولى والأخيرة من المخطوط الموجود لدينا

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الاستاذ الامام جمال الدين ابو القاسم عبد الكريم
ابن هوازن القشيري رضي الله عنه الحمد لله القديم
الذى لا يستفتح له وجود . الحكيم الذى لا يستقبح منه
موجود . العظيم الذى لم يلده والد فيرثه مولود . الكريم
الذى لا ينازعه معبود . الواحد الذى لا يقوم بذاته
حادث . الماجد الذى لا يرثه وارث . القاهر لا باعوان
وانصار . الفاطر لا بخواطر وافكار . العالم لا بكسب
واضطرار . الدائم لا بزمان ومقدار . المريد لا بتوطين
نفس . المبدئ المعيد لا لدفع نقص او جلب انس .
السميع لا باصغاء . البديع لا بتأمل وارتياء . البصير
لا بحدقة وحاسه . القريب لا بمكان ومماسه . المتكلم
لا بلسان ولهاة . المقدس عن كل آلة واداة . الموصوف
بنعوت ازليه . المنعوت بصفات ابديه . خالق الخلق
بقدرته . وباسط الرزق برحمته . ومحكم الافعال بعلمه
وحكمته . ومبرم الاشياء بقضائه ومشيئته . المليك
الذى لا ينازعه شريك . الجليل . الذى لا يضارعه
جديل .

جبري ما نقول فيما يبلونك بما تكره واما ما يجب
على العبد من الصبر فهو الصبر على ما امر الله تعالى
به من اوامره والصبر عما نهى عنه من محارمه
والسكون تحت ما يجري قضاوه به وقدره
وفقنا الله تعالى لذلك بمنه ورحمته انه
على كل شي قدير وصلى الله على سيدنا محمد نبيه
وعلى اله وصحبه وعترته وسلم تسليما انتهى
كتابنا هذا ونحن على وصف الاختصار
وسبيل الايجاز ونسال الله تعالى
العفو عما وقع فيه من الخلل
انه روف رحيم
والحمد لله
على
كماله
وكان تمام نسخه غدية يوم الاثنين الموافق لثلاثة
من شهر رجب المبارك سنة ١٣٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الأستاذ الإمام جمال الدين أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري رضي الله عنه :

الحمد لله القديم . الذي لا يستفتح له وجود الحكيم الذي لا يستقبح منه موجود . العظيم الذي لم يلده والد فيرثه مولود . الكريم الذي لا ينازعه معبود . الواحد الذي لا يقوم بذاته حادث . الماجد الذي لا يرثه وارث القاهر لا بأعوان وأنصار . الفاطر لابخواطر وأفكار . العالم لا بكسب وإضطرار .

الذكر : يطمئن القلب ، ويرفع الغفلة ، ويذهب الرين ، ويدعو للإستغفار عن ماضي الذنوب وينهي عن الفحشاء والمنكر قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾ وهو يجلو الفهم . ويدعو إلى التوحيد والحضور وهو طعام العوام والخواص ومنَّ الله به على عباده فأجازهم به في جميع الأوقات وعلى سائر الحالات والهيئات مع صدق القلب والإخلاص لوجهه الكريم وهو أفضل الأعمال بعد تلاوة القرآن في الصلاة قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأفضل أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . وخير لكم من إعطاء الذهب والورق قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله تعالى » وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبق المفردون قالوا وما المفردون قال الذاكرون الله كثيراً » والذاكر يرى حلاوة الإيمان في قلبه من قراءة القرآن . لا يجدها غير الذاكر إلا بعد جهد .وقارىء القرآن لا بد له من الإستعداد للقراءة . والتوجه إليها والحفظ . ولا يتوفر ذلك في جميع الأوقات ولا مع جميع الأفراد . والذاكر . يجالس الناس ويتكلم وعلى كل حال يذكر ليكون طالباً أو حاضراً مع ربه الكريم في جميع الحالات . فيكون في كنف الله خالصاً من وخز الشيطان قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ وقال ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ .

الدائم لا بزمان ومقدار . المريد لا بتوطين نفس . المبدىء المعيد لا لدفع نقص أو جلب أنس . السميع لا بإصغاء البديع لا بتأمل وإرتياء ، البصير لا بحدقة وحاسة . القريب لا بمكان ومماسة . المتكلم لا بلسان ولهاة . المقدس عن كل آلة وأداة . الموصوف بنعوت أزلية المنعوت بصفات أبدية . خالق الخلق بقدرته . وباسط الرزق برحمته ومحكم الأفعال بعلمه وحكمته . ومبرم الأشياء بقضائه ومشيئته . الملك الذي لا ينازعه شريك . الجليل الذي لا يضارعه عديل ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير .

أحمده على ما عرفنا من توحيده وأشكره على ما خصنا به من تسديده وأستغفره لما سلف من عصيانه وأستوفقه بفضله وإحسانه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدر عن حقيقة يقين وعرفان . لا عن تخمين وحسبان . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ونبيه وخليله . بعثه بعد دروس السبل . وطموس الملل . وعبادة الأوثان وكثرة الطغيان وإندراس البرهان . فقام لدين الله ناصحاً ، ولمعالم الشرك فاضحاً . ولعبادة الأصنام قامعاً . ولملة الإسلام شارعاً ، وعن الآفة برياً . وفي الدين قوياً صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله الذين اختارهم الله وطهرهم . وأصحابه الذين اجتباهم وآثرهم . أما بعد فقد كثر سؤال الراغبين في علم التذكير منا في إملاء كتاب يشتمل على أبواب في هذا الفن يكون تبصرة للمبتدئين ، وتذكرة للمحققين . وكنت أزهد في الإجابة إلى ذلك لما ظهر من الخلل في هذه الطريقة . وإيثار كثير ممن ينتمي إلى هذه الصنعة العرض اليسير مما يجمعه من حطام الدنيا على ما أعد الله سبحانه لأهل العلم إذا نصحوا لله ولرسوله وللمؤمنين من الدرجات العلا والمثوبة الحسنى . ولما إنضاف إلى خطأ مقاصدهم في الأغراض . خطأ مقالتهم . وخطل كلماتهم حتى قل التحقيق وشاعت البدع على الأفواه وزال التمييز وكثر المتغاطون لهذه الحالة والمتصفون بهذه الصفة رأيت في حكم النصيحة في الدين ومقتضى ما أخذه الله على العلماء من ترك الكتمان للحق أن أملي كتاباً جامعاً يشتمل على

حضور مجلس موسمي صالح من هذا العلم يتحقق به من تأمله وربما لا يتفق لبعض الراغبين في الإتعاظ حضور مجمع الذكر فيعتاض بالنظر فيه عما فاته من التذكير . وضمنت الكتاب معاني أسماء الله تعالى الحسنى وآثرت الترتيب فيه لما روي من قوله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة . وقدمت أبواباً على هذه الأسماء ثم أفردت لشرح كل إسم باباً . وبالله سبحانه أستعين في إتمام ما ابتدأته وإياه أسأل العصمة من الخطأ والخطل وترك الصواب والزلل ، إنه على ذلك قدير وبالمن به جدير .

« باب في معنى قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها . . . » الآية .

اعلم أن سبب نزول هذه الآية أن رجلاً من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين يدعون الله تعالى مرة . ويذكرون الرحمن الرحيم مرة فقال ما باله ينهانا عن عبادة الأصنام وهو يدعو إلهين إثنين يقول مرة الله ومرة الرحمن . فانزل الله تعالى : ولله الأسماء الحسنى وأراد به ولله التسميات ولذلك قال الحسنى . وهي تأنيث الأحسن ففي الآية دليل على أن الإسم هو المسمى في قوله ولله الأسماء الحسنى لأنه لوكان الإسم غير المسمّى لوجب أن تكون الأسماء لغير الله تعالى وفي الآية تعلق أيضاً لمن قال إن الإسم غير المسمى حيث قال الأسماء الحسنى . وهو سبحانه واحد والأسماء جمع فلا بد من صرف اللفظ من

الذكر وثوابه وكيفيته وآدابه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يتلمسون أهل ذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادواهلموا إلى حاجتكم فيخفونهم بأجنحتهم إلى سماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي . فيقولون : يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . قال فيقول هل رأوني فيقولون لا . فيقول كيف لو رأوني . فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً قال فيقول فما يسألون فيقولون يسألونك الجنة فيقول هل رأوها فيقولون لا يا رب ، فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون . فيقولون يتعوذون من النار . فيقول هل رأوها فيقولون لا يا رب فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة قال فيقول أشهدكم أني

الظاهر إلى المجاز فلهذا قلنا إن المراد به ولله التسميات ووصف أسمائه بالحسنى يرجع إلى ما تتضمنه وتدل عليه من صفات العلو ونعوت العظمة والكبرياء أو إلى ما يستحقه الذاكر والداعي له بتلك الأسماء من جزيل الثواب وحسن المآب . وقوله جل ذكره ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ أي أعرضوا عن أهل الإلحاد في دينه . يريد لا تسلكوا سبيلهم ولا توافقوهم على طريقهم وخالفوهم في مذاهبهم . ومعنى الإلحاد : الزيغ والذهاب عن السنن المستقيم والميل عن الطريق القويم . ومنه اللحد في القبر . والإلحاد في أسماء الله تعالى على وجهين : بالزيادة على ما أذن فيه أو النقصان عما أمر به . فالأول تشبيه ، والثاني تعطيل ، فإن المشبهة وصفوه بما لم يؤذن فيه . والمعطلة سلبوه ما اتصف به . ولهذا قال أهل الحق : ديننا طريق بين طريقين ، يعني لا تشبيه ولا تعطيل . وسئل الشيخ أبو الحسن البوشيخي عن التوحيد فقال : إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة من الصفات . وقد اختلف الناس في إشتقاق الإسم فمنهم من قال إنه من السمو وهو العلو والرفعة . ومنهم من قال إنه من الوسم والسمة ، وهو الكي والعلامة فعلى مقتضى إختلافهم من عرف أسماء الله تعالى يجب أن يتصف بهذين الوصفين بالسمو والسمة . فتعلو همته عن مساكنة الأغيار وملاحظة الرسوم والآثار . والرضا بخسيس الأقذار ويتسم بعبادة الجبار

قد غفرت لهم . قال فيقول ملك منهم فيهم فلان عبد خطاء ليس منهم إنما مر لحاجة فجلس فيقول وله قد غفرت . هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن أبي مسلم الأغر قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » أخرجه مسلم والترمذي وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت » أخرجه البخاري ومسلم . وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ﴾ من هذا نستدل دلالة واضحة على كثرة ثواب الذاكرين في حلق الذكر وأجل أن يذكر الذاكرون بصوت وأحد

ويتصف بنعت الإفتقار ويقوم بين يدي ربه بشواهد الإنكسار ويبرز في ميدان الإضطرار وخمار الإحتقار .

فصل : من عرف إسم ربه نسي إسم نفسه . بل من صحب إسم ربه تحقق بروح أنسه . قبل وصوله إلى دار قدسه . بل من عرف ربه سمت رتبته . وعلت في الدارَين منزلته . بل من عرف إسم ربه وسمه بكى حسرته لما مني به من طلبته . وحيل بينه وبين مقصوده لجلالة قدره وعزته .

فصل : « ولله الأسماء الحسنى » . من عرف أسماء الله تعالى حسن إسمه في الدنيا والآخرة وجاء في الحكاية إن بشراً الحافي كان في بداية أمره من الشطار فرأى يوماً من الأيام قطعة من قرطاس عليها إسم الله مكتوب فأخذ القرطاس ونظفه واشترى بدرهم طيباً فطيبه ثم نام فرأى فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول له يا بشر طيبت إسمى فوعزتي وجلالي لأطيبن إسمك في الدنيا والآخرة فإلى يوم القيامة يقولون بشر الحافي كم من غنّي كان لا يمشي إلا راكباً ويستنكف أن يكون حافياً مات إسمه بموته . وهذا كان فقيراً حافياً بقي على الأحقاب ذكره ليعلم العالمون أنه لا يخسر أحد على الله ولا يضيع عمل عند الله . وقيل لبشر لم تمشي حافياً فقال الأرض بساطه وأنا أكره أن أباشر بساطة بواسطة بينه وبين قدمي . وقيل لم يخرج أحد من الدنيا كما دخل فيها مثل بشر فإنه كان عليه ثوب في مرض موته فاستوهبه إنسان شيئاً فأعطاه ثوبه ومات في ثوب استعاره . فلما

على قلب رجل واحد . ذكر البخاري تعليقاً عن عمر كان يقول « قم بنا نؤمن ساعة » وبقية هذا الحديث في منتخب كنز العمال أن عمر كان يقول لمعاذ « قم بنا نؤمن ساعة » فيقفان ويقولان لا إله إلا الله ولا إله إلا الله جماعة ويقول عمر هي هي ورب الكعبة . وجاء في النبذة السنية في أصول وآداب الطريقة الخلوتية لجدنا الشيخ أحمد الحلواني في باب الذكر وآدابه عند الذكر جماعة ما نصه : وأن يذكر بهمة وقوة وعزم وأن يهتز من فرق رأسه إلى أصل قدميه فإنه أبعث للهمة وأقرب للفتح وأن يبدأ بلا يميناً ويرجع باله فيتوسط ويختم بالا الله يساراً قبالة القلب . فإن ذكر إسماً مفرداً كالله وهو ضرب بذقنه على صدره وقد روى أبو نعيم عن الفضل بن عياض رضي الله عنه قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يميناً وشمالاً كما تتمايل الشجرة في الريح العاصف إلى قدام ثم ترجع

آثر الله على الكل آثره الله على الجميع وما أصدق قول قائلهم ليس العز بالماء والطين . والتكبر على المساكين إنما العز بطاعة رب العالمين ويروى عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من كتاب يلقى بموضع من الأرض فيه إسم من أسماء الله تعالى إلا بعث الله إليه ملائكة يحفونه بأجنحتهم حتى يبعث الله إليه ولياً من أوليائه فيرفعه من الأرض . ومن رفع كتاباً فيه إسم الله تعالى رفعه الله في عليين وخفف عن أبويه وإن كانا مشركين . ويروى عن منصور بن عمار قال كنت مولعاً في صباي برفع القراطيس من الأرض حتى عرفت بذلك وكان الصبيان أيضاً أولعوا بي فبينما أنا ذات يوم في صحراء إذ وجدت قرطاساً فيه لا إله إلا الله فرفعته ولم يكن بازائي حائط ولا شيء أرفعه فيه فبلعته فرأيت في تلك الليلة هاتفاً يهتف بي ويقول يا منصور إن الله عز وجل سيرى لك ما فعلت .

فصل : علم الخالق سبحانه أنه ليس لك أسامي مرضية فقال ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ولأن تكون بأسماء ربك داعياً خير لك من أن تكون بأسماء نفسك مدعياً فإنك إذا كنت بك كنت بمن لم يبق وإذا كنت به كنت بمن لم يزل فشتان بين وصف ووصف .

فصل : عد أسماءك الجميلة وخصالك الحميدة ثم عطف عليك وأحسن بفضله إليك وجعل لك أسماء جميلة وخصالاً حميدة بعد أن لم تكن لك ومدحك

إلى وراء » وفي الحديث : « مثل المؤمن كخامة الزرع يفيئها الريح مرة هنا ومرة هنا » فلا عبرة بانكار بعض الناس على التمايل في الذكر نعم إن خرج إلى حد التكسر والرقص كما ابتدعه الناس اليوم حرم إلا إذا خرج عن صحوه » ـ إنتهى ـ هذا في ذكر الحلق والجماعة وعلى العبد الذي يريد أن يتقرب إلى ربه أن يذكر في كل وقت جماعة وانفراداً . أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة . ومن اضطجع مضطجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى أحد ممش لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة أي عليه تبعة . وأخرج البخاري ومسلم والترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال ما عمل العبد عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

وأطراك وأثنى عليك بما وسمك به وحلاك . فقـال عز وجـل التائبـون العابـدون الحـامدون إلى قـوله والنـاهون عن المنكر والحـافظون لحـدود الله . فذكـر أسماءك الحسنى ثم أمرك بأن تذكر أسـماءه الحسنى ثم علم عجزك عن القيـام بحق ذكره فنـاب عنـك حيث عـرفـك ذكـره فقـال « هـو الله الـذي لا إلـه إلا هـو الملك القدوس . . » الآية . وسئل بعضهم متى يصير الغني بليغـاً فقال إذا ذكـر محبوبـه وأثنى عليه .

فصل : عرفت أسماء ربك . فليت شعـري بما تسمى غـداً أشقيا تـدعى فتبكي اليـوم حسرة . أم سعيـداً تدعى فتـطيـل النـوم فـرحـة لا سلبكم الله مـا أعطاكم من مراهبه ونعمه ولا نزع عنكم ما حلاكم به من فضله وكرمه بمنه ويمنه إنه ذو الفضل العظيم .

يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكـرني فإن ذكـرني في نفسه ذكـرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليـه ذراعاً . وإن تقـرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » . وليكون الذاكر قرير النفس مستعـداً لفيوضات ربه يحسن أن يعنى بطهارة ثوبه وبدنه وطهارة قلبـه وإستحضاره معنى الإسم الـذي يذكر ما استطاع . وإذا وجـل من شيء يقرأ الفـاتحة لشيخـه ثم يستشفع بـالصلاة عـلى النبي ويعتقد أنه صلى الله عليه وسلم يحضره في جميع أعمال التقوى فـلا يخاف مـا دام مقصده وجـه الله ورضوانه وليذكر بـاسم من أسماء الله الحسنى . أو بتـلاوتها كلهـا متتابعـة وليكون متمكنـاً فليأخذ الأذن بالذكر من شيخ عـارف ليترقى مـع المريـد فيما يصلح لـه من الذكـر بأسماء الله الحسنى . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين إسماً من حفظها دخل الجنة إن الله وتر يحب الوتر » وفي رواية من أحصاها . أخرجه البخاري ومسلم بدون ذكر الوتر . والترمذي زاد فعدها كما سيأتي في شرح الأسماء .

ومهما بلغت الشروح فلا تبلغ من معانيها إلا شرحاً يسيراً . وليست هذه معاني أسماء الله الحسنى بالتحديد أو الحصر فليس لمعانيها نهاية إنما هي لتوجيه وجدان الذاكر للإشتغال بالمعاني عند الذكر وقد يفاض على قلب الذاكر في الإسم الواحد من معاني الأسماء كلها وخصوصيـاتها ما يكسبه خيـراً كثيراً فلو نـظر في معنى اسمه تعـالى الحق أنه ثـابت لا يزول لرأى أنه واجب الوجود لذاته فهو أحد واحد صمد حي قيوم رحمان رحيم سميع بصير عليم قدير خـلاق وكل صفة تستكمل باقي الصفات إنما يختص كل إسم بإظهار الصفة الخاصة به حتى يتحقق الذاكر بها في مقام العبودية إيماناً وإعترافاً وخوفاً ورجاء ونوراً وهيبـة وقربـاً ومعرفـة وفضلاً وكـرماً ولا يتحقق الذاكر بالإسم حتى يخالطه في وجدانه وعقله وفي عصبه ودمه وفي قلبه وروحـه ويظهـر

باب في معنى

قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن . . ﴾ الآية

هذه الآية في سورة بني إسرائيل ، وهي مكية وسبب نزولها أن المسلمين من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه قالوا ما لنا نسمع ذكر الرحمن في القرآن كثيراً ، وهو في التوراة كثير ، فأنزل الله سبحانه . قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن،الآية ، والدعاء في القرآن على وجوه خمسة منها : الدعاء بمعنى العبادة قال تعالى في سورة يونس **﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾** أي ولا تعبد ، وقال تعالى في سورة الأنعام **﴿ قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ﴾** أي أنعبد . ومنها الدعاء بمعنى الإستعانة لقوله تعالى في سورة البقرة **﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾** أي استعينوا بهم ومنها الدعاء بمعنى السؤال . قال تعالى في سورة المؤمن **﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾** أي سلوني أعطكم وقال تعالى في سورةالبقرة **﴿ فادع لنا**

نور الإسم على الوجدان فيصفيه وعلى العقل فيذكيه وعلى العصب فيقويه وعلى الدم فينقيه وعلى القلب فينيره ويحييه وعلى الروح فيرقيها ويشعشعها ويروحها بنشوة الحب والشوق إلى خالقها فلا تغفل حتى تعود إلى بارئها وتسعد النفس بنداءالحق والأمان **﴿ يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾** وحينئذ لا يلتذ سمعه إلّا بالإسم الذي يذكره فلا يسمع لهواجس الشيطان ودسائس النفس وينعكس بصره في بصيرته فلا تقر عينه إلا بمشاهدة أنوار ربه ولآلىء المعاني بعيداً عن رؤية المحرمات والإغراق في الملذات التي تجعل البعيدة خامدة مكبوبة في البصر أسيفة ويكون قلبه مستغرقاً في شهوده فلا يرى غاية ولا مطلباً إلا رضا ربه ومشاهدة أنواره فتنجلي له ظلمات الحوادث وكثافات الحس ولذلك لا يمل من الذكر ولا يعشق غيره . فإن رأى المريد ملالة أو سأماً أو ركوداً أو غفلة . أو ركوناً إلى الخلائق في نعمة أو لذة أو حب جاه ومدح أو خوف لوم وذم فليعلم أن النور لم يخالطه مخالطة وإنما هو حيث يذكر يتعرض له والله أسأل أن يجعلنا من الذاكرين ولا يجعلنا من الغافلين ولا يحرمنا رضاه .

ربك **يخرج لنا** ﴾ الآية . أي اسأل لنا ربك ومنها الدعاء بمعنى القول لقوله سبحانه في سورة يونس ﴿ **دعواهم فيها سبحانك اللهم . . .** ﴾ إلى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . ومنها الدعاء بمعنى النداء كقوله عز وجل في بني إسرائيل ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون** ﴾ أي يناديكم . وفي هذا الموضع الدعاء بمعنى النداء قال تعالى ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا** ﴾ أي نادوني إن شئتم بقولكم يا الله . وإن شئتم يا رحمن وقوله أيما تدعوا . إن شئت قلت ما صلة ومعناه أياً تدعوا وإن شئت قلت ما للتأكيد وجاز تكريره لما اختلف اللفظ . وقوله : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ الصلاة في اللغة هي الدعاء وفي الشرح دعاء مخصوص على شروط . ومن أهل اللغة من قال الأصل في الصلاة اللزوم فكأن المصلي لزم هذه العبادة المخصوصة لإستنجاح طلبته من الله تعالى وبعض العلماء قال سميت هذه العبادة المخصوصة صلاة لأنها في أكثر المواضع ثاني الإيمان وتالية في الذكر . كقوله تعالى ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة** ﴾ وأمثاله كثير . قال والعرب تسمي الفرس الذي يتلو السابق من الخيل في الحلبة المصلي . لأن رأسه عند صلوى السابق واختلفوا في معنى الصلاة ههنا . فقال كثير من المفسرين إنه أراد لا تجهر بالقراءة في الصلاة ولا تخافت بها وذلك أن المشركين كانوا إذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الصلاة آذوه فأمر أن لا يجهر في صلاته جهراً يسمعه المشركون ولا يخافت بها . والمخافتة السكوت . يقال خفت الميت خفوتاً إذا برد وههنا يريد أن يقتصر في القراءة على ذكر القلب ، لأن القراءة المأمور بها في الصلاة محلها اللسان فإن إقتصر على ذكر القلب نقل الشيء عن محله إلى غير محله ، ووضع الشيء في غير موضعه لا يجوز وفي الآية إشارة إلى المنع من ذلك وهو حقيقة الظلم فمن صرف قلبه عن الأغيار وشغل فكره بالرسوم والآثار ووسم نفسه بخدمة الأمثال ومحق عمره بعمارة الأطلال فقد وضع الشيء في غير موضعه ومن وصف معبوده بما لا يليق بحقه من نعوت خلقه مما يتضمن نقصاً أو يشبه شخصاً أو يوجب حدوثاً أو يقتضي قصوراً فقد وضع الشيء في غير موضعه وإلى هذه الجملة أشار سيد

هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى لما سئل عن التوحيد . فقال : إفراد القديم عن الحدوث . وإذا أخذ بهذا التأويل ففيه إشارة إلى تسلية أصحاب المحن إذا استولى عليهم أهل الفتن وتنبيه لهم على السكون إلى أن تنقضي عنهم أوقات البلاء فإن سيد الأولين والآخرين صلوات الله عليه قيل له ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها محاماة عن الدين وصبراً على ما كان يقاسيه من المشركين وفي بعض الكتب أن نبياً شكا إلى الله تعالى من إمرأة سلطت على أهل عصرها فأوحى الله تعالى إليه فر من أمامها حتى تنقضي أيامها . ونكتة أخرى وهو أن الأعداء لما لم يعرفوا قدر ما سمعوه وقابلوه بالتكذيب أمر صلى الله عليه وسلم بأن لا يسمعهم في بعض الأحوال تنبيهاً على أنهم لا يستحقون ذلك . وإن كان قد قال تعالى فاصدع بما تؤمر ، وأخرى وهو أنه قال إذا وقفت على بساط القربة مع المنتخبين للصحبة فاستر المناجاة مع الحبيب خوفاً من إطلاع الرقيب ، وفي معناه انشدوا :

عذيري سولى أن أرى منك خلوة فأشكو الذي بي من هواك وتسمع
تمنى أنـاس مـا أحبـوا وإنمـا تمنيت أن أشكو إليك فتسمـع

وفي خلافه قال بعض من شكى من بلاء الرقيب .لم ترد ماء وجهه العين إلا شرفت قبل ريها برقيب . وقد قيل في تأويل الآية عن الحسن البصري لا تحسن صلاتك في العلانية وتسيء في السر فعلى هذا التأويل الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والمراد به أمته وفيه الأمر بالإخلاص في الطاعات . وترك التصنع للمخلوقات ونفي التزين للمصنوعات . والإكتفاء برؤية رب الأرضين والسموات . وتصفية الأعمال من الآفات وتنقية الأحوال من الكدورات . وسئل الشبلي عن مثل هذا فقال : هو أن لا يكون بكلام غيره لافظاً . ولا يكون لغير ربه ملاحظاً . ولا يرى لنفسه دون ربه حافظاً . وروي عن عائشة رضي الله عنها وعن ابن عباس وجماعة من المفسرين أن تأويل الآية لا تجهر بدعائك . قالوا هو أن يذنب العبد سراً . فقيل له لا تظهر للناس تفصيل توبتك فيطلعوا على ما سترت عليك من زلتك . ولا تخافت بها أي لا تترك

الإستغفار . وقارن الإصرار . ولا تأمن الإغترار . فلمعبودك فاعتذر ومن مجهودك لا تدخر . أي أسمعنا خطابك تصر زلتك مغفورة . ولا تفش سرك تبق حالتك مستورة . ومن كمال كرمه أن يستر على المنهمكين . ويسبل ستر عفوه على المتهتكين . ويسحب ذيل حلمه على الخاطئين أما تخشى هتك سترك في عقباك . أما تحذر كشف سترك لما سلف من خطاياك . أين أنت من لطف مولاك لما اقترفت ما نهاك . حيث ناداك فقال : ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها . وفي معناه أنشد بعضهم :

أرخ ستراً على حقارة فعلي هتك ستر المحب ليس يحل
ربما قصر الفقير المقل في حقوق بهن لا يستقل
ولئن قل خدمة ووفاه فولاء وحرمة لا تقل

وقال عطاء الخراساني إن الصدِّيق رضي الله عنه كان يخافت في صلاته بالليل فلا يرفع صوته بقراءاته . وكان عمر رضي الله عنه يجهر في صلاته فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر عن فعله فقال اسمع من أناجي وقال عمر أوقظ الوسنان . وأطرد الشيطان وأرضي الرحمن . فأمر أبا بكر حتى رفع قليلاً وأمر عمر حتى خفض قليلاً وفي الخبر إشارة إلى أن الصواب والحسن ما حصل بالإذن والأمر ما استحسنه الإنسان بعقله واستصوبه من ذات نفسه وفيه إشارة إلى أن الشيء قد يكون حسناً وغيره أحسن منه فيدعي إلى الأحسن عن الأول فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليهما لكنه أوقفهما على ما هو الأحسن والأصوب . ودل هذا الخبر على مزية الصدِّيق . وبلوغه رتبة التحقيق حيث أخبر عن التوحيد فقال : اسمع من أناجي . وعمر أخبر أنه يجاهد الشيطان ويوقظ الوسنان وبين الحالتين وإن صفتا والمنزلقين وإن علتا بون عبد هو بوصف مجاهدته . وعبد هو بعين مشاهدته الفاروق قال أطرد الشيطان وهو صفة المجاهدين والصدِّيق قال إسمع من أناجي وهو نعت العارفين . وقال بعضهم تأويل الآية لا تجهر بجميع صلاتك ولا تخافت بالكل أي أجهر صوتك

ببعض الصلوات المغرب والعشاء والصبح ، وأسَّر في البعض الظهر والعصر وهكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاة النهار عجماء وفي هذا تنبيه على فساد قول الباطنية حيث يطلبون الأسباب في تفصيل العبادات فإن الشرع غير معلل بل أمرنا برفع الصوت في بعض الصلوات والإسرار في بعض ، ولو كان الأمر بالعكس لكان سائغاً . وكذلك القول في تثنية السجود وإفراد الركوع وعدد الصلوات . وغير ذلك من العبادات وفيه إشارة إلى ترك ما عليه العادة ، لأن عادة الناس التصرف والحركة بالنهار والسكون بالليل فأمرنا بترك الجهر بالنهار خلافاً للعادة وبرفع الصوت بالليل خلافاً للعادة ولهذا قيل الإرادة ترك ما عليه العادة . وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت نزلت هذه الآية في التشهد أي لا ترفع صوتك في قراءتك التشهد ولا تخافت بها أي أذكر ذلك بلسانك واسمع نفسك فتكون الصلاة ههنا بمعنى الدعاء على هذا والإشارة فيه أن التشهد في حالْ الجلوس والقعود بحضرة الملوك يدل على القربة والقربة توجب الهيبة . قال الله تعالى ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع ألا همساً** ﴾ . والذي يشهد لهذه الجملة أن التشهد إخبار عن ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم على ربه ليلة المعراج حيث قال التحيات لله المباركات . الصلوات الطيبات لله . وفي هذا إشارة إلى الفرق بين الحبيب والخليل . فإن إبراهيم عليه السلام قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً فجعل محل قوله القيام وجعل محل قول الرسول صلّى الله عليه وسلم القعود فكم بين من يتكلم قائماً في نطاق الخدمة وبين من يثني جالساً على بساط القربة وقوله تعالى : ﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾ كان الواجب أن يكون بين ذينك ولكن اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ومثاله كثير كقوله عز وجل ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة** ﴾ ولم يقل وإنهما وغير ذلك وأراد وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلاً وبهذا تأدب أهل الحق حيث أثروا في كل شيء طريقاً بين طريقين . تجنبوا التقصير وتنكبوا الغلو . وهذا ظاهر في أحوالهم واعتقاداتهم وربما نشرح ذلك في غير هذا الموضع إن شاء الله تعالى .

* * *

باب

في معنى قوله تعالى
﴿ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده ﴾
إلى قوله « سميا »

الكلام في هذه الآية من وجوه منها قوله رب السموات والأرض وما بينهما الآية . تدل على قول أهل الحق إن إكتسابات العباد مخلوقة لله سبحانه لأن الرب في هذاالموضع لا يمكن حمله على معنى من معانيه الأعلى المالك . وإذا ثبت أنه مالك ما بين السموات والأرض دخل في ذلك اكتساب الخلق وإذا ثبت أن إكتساب الخلق ملك له دل على أنه خلقه لأن حقيقة الملك القدرة على الإيجاد ومعنى كون الشيء فعلاً لفاعله أنه بقدرته وجد . وقوله فاعبده وجه نظمه بما تقدم أنه لما ثبت أنه المالك على الإطلاق فله بحق ملكه أن يتعبد من شاء من خلقه بما يريد من حقه وحقيقة العبادة الطاعة بغاية الخضوع ولا يستحقها أحد سوى المعبود جلت قدرته . وهي من قولهم طريق معبد إذا وطئته السابلة . وقوله وأصطبر لعبادته فيه دلالة على أن الحال وإن صفت هي لا تكتفي إلا باقتران وفاء العاقبة ولهذا قال بعض المشايخ . لا يغرنك صفاء الأوقات فإن تحتها عوارض الآفات . وفي معناه أنشدوا :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

فكم من شجرة أورقت وأزهرت ، فما أدركت ولا أثمرت ، وكم من مطيع أخلص في طاعته ، وما تخلص في عاقبته ، وكم من مسرور بعبادته ، مغرور لصفاء حالته ، بدت له خفايا سابقته ، بما لم يكن في حسبانه وأمنيته .

ودلت الآية على وجوب الإستقامة فإن الإصطبار نهاية الصبر . ومن صبر

ظفر ومن لازم وصل وقد قيل من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له وفي معناه أنشدوا :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبـواب أن يلجأ

وأنشدوا أيضاً :

أني رايت وفي الأيـام تجـربـة للصبـر عـاقبـة محمـودة الأثــر
وقـل من جد في شيء يـطالبـه فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقوله تعالى: هل تعلم لَـه سمياً . . جـاء في التفسير هـل تعلم له نـظيراً معناه هل تعلم احداً يستحق من الصفات ما يستحقه الله عز وجل . وقيل معناه هل تعلم أحداً يسمى الله سـوى الله . وعن الحسن بن الفضل البلخي أنـه قال نظم هذه اللفظة بما قبلهـا أنه أخبـر أنه مـالكهم وبحق ملكه تعبـدهم وبملازمـة طاعته أمرهم . بين أنه لا منازع لـه ينازعـه فيها أمـر . ولا مضارع يسـاويه فيـما أثبت وأظهر ودلت الآية على نفي التشبيه وأن المعبـود سبحانـه لا يشبه شيئـاً من الموجودات ولا يشبهه شيء من المدروكات لأن من شرط التمـاثل التسـاوي بكل وجه والله صانع وما سواه مصنوع ويستحيل أن يكون كالمصوع لإستحالة القول بحدوثه كما يستحيل أن يكـون المخلوق كالخـالق لفساد القـول بقدمـه وعليه دل قـوله ليس كمثله شيء . قـال الواسـطي ليس كـذاتـه ذات ولا كفعله فعـل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفـة حديثة كما استحال أن تكـون الذات المحـدثة لهـا صفة قـديمة سبحـان من ليس كمثله شيء وجل عن الزمان والأين . وهذه الحكاية تشتمل على جـوامع مسـائل التوحيد وكيف تشبه ذاتهذات المحدثات، وهي بوجودها مستغنية عن كل غير بكل وجه فهي بها قائمة وباستحقاق نعت صمديتها دائمـة . وما سـواها من الأغيـار إلى الإيجـاد والإبـداء مفتقـرة حتى تكـون ، والى الإبقـاء والإدامـة محتـاجـة حتى تدوم . وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لا لعلة فعل ما فعل. ولا لجلب أنس أو دفع نقص حصل . ولا بخواطر وأغراض وجد . ولا بمبـاشرة أو معـالجة ظهـر .

وفعل الخلق لا يخرج عن هـذه الوجـوه وإليه أشـار ذو النون المصـري حيث قال حقيقة التوحيد أن تعرف أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج . وصنعه للأشياء بلا مزاج . وعلة كل شيء صنعـه ولا علة لصنعه ومـا تصور في وهمـك فالله تعـالى بخلافه ومعنى قوله وعلة كل شيء صنعه أنه ما ظهـر حادث إلا والله صـانعه ولا علة لفعله أي لم يحمله عـلى الفعـل غـرض ولا دعـاه إلى الإيجـاد محـرك . فهـو سبحانه لا يشبهه أحد ولا يوجد من دونه ملتحد . وكيف لا وهو سبحانـه واحد لا يجمعه عدد وصمد لا يقطعه أحد . وفي معناه أنشدوا :

يا من إذا قلت يا من لا نظير له　　في عزه قيل لي يا صادق البشر

وكـان الشيخ أبـو علي الـدقـاق يقـول إن مجنـون بني عـامـر إدعى المحبـة لشخص وتحقق فيها حتى هجر الأوطان وفارق الإخوان . واغترب عن كل شيء حتى اسمه . فلما خرج إلى الصحرا رأى ظبياً فقال :

فعيناك عيناها وجيدك جيـدها　　سوى أن عظم الساق منك رقيق

فقال له أهل التحصيل : أف لـك من محب قاسيت مـا قاسيت وتحملت مـا تحملت وحين خرجت إلى الصحراء وجدت من أمثاله ما لا يحصى .

فصل : ولقد أعظم الله المنة على أهل التـوحيد وأجـزل النعمة عـلى ذوي التحقيق حيث أعتق أسرارهم من رق عبودية ما له مثل والعبـادة لما لـه شكل فهـو الذي اصطفـاك في القدم . وعصمـك عن سجود الصنم . وإن لم يكن لـك في العبودية صدق قدم . فـأرجو أنـك لا تحرم وجـود الكرم . فـإن قيل كيف دلت الآيـة على نفي التشبيـه　وقد أثبت المثـل بقولـه ليس كمثله شيء فـالجـواب أن الكاف صلة في قول بعضهم ومعناه ليس مثل شيء والكاف تزاد في كلامهم على وجه الصلة كقول القائل . وصاليات ككما يؤثفين . وقيل المثل صلة ومعناه ليس كهو شيء . . وقيل مثل الشيء يذكر والمراد به نفسه كقول القائل ليس هذا كلام مثلك يعني نفسه وقيل : إن التشبيه يكـون بأحـد شيئين إمـا بالكـاف وإما بـالمثل فجمع بين حرفي التشبيه ونفى بهـما عن نفسه التشبيـه فكأنـه قال ليس مثله شيء

وليس كهو شيء وقد قيل هذا غاية نفي التشبيه . إذ لو كان له مثل لكان كمثله شيء وهو نفسه . فلما قال ليس كمثله شيء دل على أنه ليس له مثل وعليه دل سبحانه بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . أفمن هو كبير لم يزل كمن هو حقير لم يكن . أفمن هو جبار لا نقص له كمن هو مجبور لا غناء به . وكيف تشبه الحقيقة الخليقة وكيف تماثل القدرة الفطرة . وبماذا يشبه من المصنوعات بالأرض أم بالسموات أم يشبه بالشموس والأقمار أو الرسوم والآثار . أو الديار والأطلال . أو الأغيار والأشكال والكل دان لجبروته . وناطق بدوام ملكوته وامارات الصنع على الجميع واضحة . ودلائل النقص على الكل لائحة وأسرار العارفين بأنها مصنوعة مناجية . وقوله تعالى هل تعلم له سمياً . قد يوافق اللفظ اللفظ والإسم الإسم ولا يقتضي التشاكل لعدم التساوي بكل وجه خلافاً للباطنية في قولهم إن القديم لا يسمى شيئاً ولا لا شيء كاشتراك البياض والسواد في إسم اللون ووجوب مخالفتها على التحقيق .

الدعاء

الدعاء مقام التضرع والإنابة والإلتجاء والإحتياج للملك العزيز الوهاب والدعاء أولاً إما لحوائج الدنيا وإما لدفع البلاء . وإما للإستعانة بالله والتخلص من شر الشيطان والنفس والهوى والخلق . وثانياً لإقتحام الحجب والعقبات والإعتمادعلى الله وحسن التوكل عليه . أو لطلب محبة الله ورسوله . أو لمناجاة الله والتعرف إليه وهو في الأول إضطرار وفي الثاني عشق وأنوار وهو حال العبودية وأمان الخائفين. وأنس البشرية ولذة العاشقين . وهو يدل على خوف الخائفين . وذل المخلصين . وإنابة المخبتين ،وصدق المحبين . وحلاوة مناجاة الراجين . ومقدار مقامات الواصلين ،وفيوضات العارفين وهو من العبادة بمنزلة المخ من الجسد قال النبي صلى الله عليه وسلم : الدعاء مخ العبادة . وقال رب العالمين ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ . وقال ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ ولا أجد للإجابة خيراً من أن أدعو بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجدد في القلب عهده ولا شك أنه أجمع دعاء لدلائل التوحيد وعظيم الثناء على الله وحسن الطلب لخيري الدنيا والآخرة . وكيف لا يكون كذلك. وهو سيد الأولين والآخرين .

أدب الدعاء ووقته وكيفيته

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : ﴿ أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقامي ﴾ أخرجه الترمذي وعن لقمان بن

فصـل : ولما كـان المعبود سبحـانه لا مثـل له حق للعـابدين أن لا يـذروا مقـدوراً فيه إلا بـذلوه . ولا يغـادروا ميسوراً في طلبـه إلا تحملوه ، ولا يحق بذل المهـج إلا في طلب الأعزة فحق للدمـوع أن تتقطر عـلى فوات قـربته ، كـما حق للقلوب أن تتعطر بنسيم محبته وكـما حق لـلأرواح أن تنفـطر من خـوف فـرقتـه وأنـشدوا :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير هجـرك ضائـع

ولغيره :

على مثل ليلى يقتل المـرء نفسه وإن بات من ليلى على اليأس طاوياً

فـاعبده واصـطبر لعبـادته هـل تعلم له سميـاً لمن تدخـر مجهـودك . إذا لم تطلب معبودك . هل تعرف أحداً يستحق ما يستحقه . أو يوجد ما يخلفـه . إن دعوته أجابك . وإن أطعته أثابك ، وإن تركته أمهلك وإن رجعت إليه واصلك وإن عرفته أحبك وبغير شفيع قربك وبلطفه كـاشفك . وبفضله لاطفـك . هل تعلم له سمياً لا إله إلا الله تقدس عن الأمثال وتعالى عن الأشكـال وهو الكبـير المتعال .

* * *

بشير رضي الله عنهما قـال قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : « من فتح لـه باب الـدعاء فتحت له أبواب الرحمة » . وما سئل الله تعالى شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل . ولا يرد القضاء إلا الدعاء فعليكم بالدعاء » .

أخرجه الترمذي . وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السـوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم . أخرجه الترمذي . وأمـا وقت الدعـاء فأفضله للمتبتلين وللمستـديمين عليـه ثلث الليل الأخـير وهو أفضـل الأوقات للعبـادة فقد روي عن أبي هـريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : ينـزل ربنا كـل ليلة إلى سماء الـدنيا حتى يبقى ثلث الليـل الآخر فيقـول من يدعـوني فـأستجبب لـه ؟ من يسـألني فـأعـطيـه من يستغفرني فأغفر له ؟ أخرجه البخاري والترمـذي وغيرهمـا . وفي رواية مسلم : أن الله تعـالى يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى سماء الـدنيا فيقـول أنا الملك أنـا الملك من الذي يدعوني . الحديث . وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال يا رسول الله أي الدعـاء أسمع ؟ قـال

بـاب

في معنى قوله تعالى :
تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام . .

اختلفوا في نزول هذه الآية فروي عن ابن عباس والضحاك : أنها مكية وروي عن مقاتل أنها مدنية وقرأ ابن عارم ذو الجلال بواو والباقون ذي الجلال بياء والكلام في هذه الآية من وجوه منها القول في معنى تبارك ومنها في معنى قوله إسم ربك ومنها في معنى قوله ذي الجلال . فأما قوله تبارك فقد اختلفوا فيه فقال كثير من المفسرين إنه بمعنى تعظم وتقدس وقال الفرا البركة التقدس والعظمة . وقيل إنه تفاعل من البركة والبركة النفع والزيادة . وقوله تعالى في قصة عيسى . وجعلني مباركاً أينما كنت فقيل نفاعاً للخلق وقال الزجاج البركة الخير الكثير في كل شيء وقال بعض أهل اللغة إن أصله من البروك يقال برك الطير على الماء إذا دام ومبارك الإبل مواضعها التي تستقر عليها . فكل آية إحتملت وجوهاً وليس بينها تناف ولا تضاد ولا حصل الإجماع على أن المراد منها البعض دون البعض فهي على العموم وهذه الوجوه كلها صحيحة في معنى قوله تبارك ووجوه الثناء على الله سبحانه تنحصر في ثلاثة أقسام : أحدها الثناء عليه بذكر إحسانه وإنعامه . والثاني الثناء عليه بذكر استحقاقه لصفات ذاته .

جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات أخرجه الترمذي . وهناك أوقات أخرى ترجى عندها الإجابة أهمها وقت الإضطرار وبين الأذان والإقامة ووقت الملحمة وعند السفر . روي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرد الدعاء بين الآذان والإقامة قيل ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة . أخرجه الترمذي وأبو داود .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » رواه مسلم . وأبو داود والنسائي وعنه رضي الله

والثالث الثناء عليه بذكر وجوده على وصف لا يشاركه فيه موجود وهذه الآية تشتمل على هذه الوجوه فإنها إن كانت من البركة فهي فضله وإحسانه وذلك فعله وإن قلنا إنه بمعنى تعظم فعظمته استحقاقه لصفات العلو والمجد كعلمه الشامل وإرادته النافذة وقدرته الماضية إلى سائر صفات ذاته . وإن قلنا إنه من بروك الطير على الماء فهو إخبار عن وجوده بشرط القدم ونعت البقاء والدوام وكل من ذكر الله سبحانه بإسم من أسمائه وأثنى عليه بنعت من نعوته فإن من آداب ذلك أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الإسم وموجب ذلك الذكر فمن أثنى عليه بقوله تبارك فمن الواجب أن يقوم بآداب هذا الخطاب فإن قلنا إنه من بروك الطير على الماء فهو إخبار عن وجوده بشرط البقاء . فينبغي لهذا الذاكر إذا عرف وجود الحق سبحانه أن يصغر الخلق في عينه . وقد سئل بعضهم عن التوحيد فقال هو أن تشهد للعالم وجوداً بين طرفي عدم . بمعنى أن الأغيار والرسوم والأطلال والأمثال والأشكال من العدم وجدت بقدرة خالقها وآثارها يستحيل عليها الدوام وما يصبح لها البقاء منها فجواز العدم معها لأن بقاءها

عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث دعوات مستجابات لا شك في إجابتهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده . رواه أبو داود والترمذي . وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً » أخرجه مالك وأبو داود وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب » وجاء في الكتاب العزيز ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾ .

وأما هيئة الداعي وأدبه في الدعاء فقد جاء عن أنس رضي الله عنه قال : رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه في الدعاء حتى رأيت بياض إبطيه أخرجه البخاري . وعن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . أخرجه الترمذي وعن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً » أخرجه أبو داود والترمذي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غال لاه » أخرجه الترمذي . وأما كيفية الدعاء فقد ورد عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال سمع

بابقاء البقى . ولو قطع عنها البقاء لتلاشت وقد قال تعالى كل شيء هالك إلا وجهه . قال بعض الناس كل حي ميت إلا الله . نظيره إن إمرؤ هلك أي مات . وقال تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ . فإذا عرف العبد أن العالم بعرض الفنا لم يوطن إلا على كراهتها نفسه . ولم يطلب فيها راحته وأنسه . كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم : الدنيا سجن للمؤمن . وقد قيل في بعض الحكايات عن جعفر الصادق أنه قال من طلب من ما لم يخلق . أتعب نفسه ولم يرزق . فقيل له وما ذاك فقال الراحة في الدنيا وأنشدوا :

تطلب الراحة في دار العنا خاب من يطلب شيئاً لا يكون له

وقال غيره :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان .

فإذا كان بهذا الوصف دخل عليه الزهد فإن من لم تتساو عنده الأخطار ولم

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته ولم يصلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه فقال : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع ما شاء أخرجه أصحاب السنن .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم إغفر لي إن شئت اللهم إرحمني إن شئت ولكن ليعزم المسألة فإن الله تعالى لا مستكره له » . أخرجه البخاري ومسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك » أخرجه أبو داود .

وأما أدب الدعاء فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت ربي فلم يستجب لي » . أخرجه البخاري ومسلم . وغيرهما . وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من رجل يدعو الله تعالى إلا استجاب له فأما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخر له الآخرة وأما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أن يستعجل » أخرجه الترمذي . وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم . لا توافق ساعة ينل فيها عطاء فيستجيب لكم » أخرجه أبو داود . وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

يسقط عن قلبــه للدنيـا الـوزن والمقـدار ، لم يـزل في سجن حـرصـه في أسر نفسه . وفي رقّ شهوتـه . وفي ذل طمعه . ومن إستـوت عنده الأخـطار . وصل إلى روح الحرية . ولهذا قال مشايخ هذه الطريقة من دخل الدنيا وهو عنها حـر . ارتحل إلى الآخرة وهو عنها حر . ومن كانت بغيته من الطالبات . فـوق ما لا بـد له من الضرورات فهو عن ربه محجوب . وقد سئل الجنيد رحمـه الله تعالى عمن خرج من الدنيا ولم يبق عليه إلا مص نـواة فقال مستشهـداً المكاتب عبـد ما بقي عليه درهم وحكي عن بنان الجمـال أنه قـال كنت مطروحـاً على بـاب بني شيبة سبعة أيام لم أرزق شيئاً فنوديت في سـري ان ما أخـذ من الدنيـا فوق مـا يكفيه أعمى الله عـين قلبه . وكـان الدقـاق يقول إن القلوب كـانت متفرقـة في الدنيـا فقبضها الله تعالى عنها بقوله . قل متـاع الدنيـا قليل والآخـرة خير لمن اتقى فلما تقلقلت القلوب بالآخرة قطعها الله سبحانه عنها بقوله . والله خير وأبقى .

وقال يحيى بن معاذ : الزاهد صيد الحق من الدنيـا. والعارف صيـد الحق من الآخرة . ولا غرو أن يزهد عـارف بمن لم يزل في حـاصل بعـد أن لم يكن إذ صفت همتـه عن كدورة أمنيتـه . وتخلص سره عن وحشـة حجبتـه وهـذا المتنبي قال : من رأس دعواه على سبيل العادة من غير تحقيقـه بمعنى ما قـال . وكل مـا خلق الله وما لم يخلق . محتقر في همتي . كشعرة في مفرقي . وأما من قال تبارك أي تعظم فمن ظالـع عظمتـه . وشاهـد سلطانه ورفعتـه وتحقق علوه وعزتـه . نسي

الله عليه وسلم : يسأل أحدكم ربه حـاجته كلهـا حتى يسأل شسـع نعله إذا إنقطع أخـرجه الترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من لم يسأل الله يغضب عليه » أخرجه الترمذي . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم « سلوا الله تعالى من فضله فإن الله يحب أن يسأل وأفضـل العبادة انتـظار الفرج » أخرجه الترمذي . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قـال قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم « مـا من عبد مسلم يـدعو لأخيـه بظهـر الغيب إلا قال الملك ولـك بمثل » أخـرجه مسلم وفي رواية لأبي داود (إلا قالت الملائكة آمين ولك بمثل) وعن عائشـة رضي الله عنها قـالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من دعا على من ظلمه فقد إنتصر) أخرجه الترمذي .

صولته . وترك سطوته . فلا يدعي في شيء أنه من حوله وقوته . ولا يـرى شيئاً بقدرته واستطاعته . واعتصم بعجزه وفاقته . وفي معناه أنشدوا :

أذل فـاعـزز بـه من مـذل ومن طـالب لـدمي مستحـل
إذا مـا تـعـزز قـابـلتـه بـذل وذلـك جـهـد المقـل
فـكنـت لعـزتـه خـاضعـاً ولـولا جـلالـتـه لم أذل

وقـال بعض المشايـخ : إذا عظم الـرب في القلب صغـر الخلق في العـين وعلامة من صغر الخلق في عينه رؤية الإفلاس . والتحقق بـاليأس من النـاس ، ولـزوم الورع ، وقـطع الطمـع . ووقف بعضهم على بعض عقـلاء المجـانـين ، فقـال : ألك حـاجة ؟ فقـال نعم . قال : ومـا هي ؟ قال تـزحـزحني من النـار وتدخلني الجنة . فقال ذلك ليس إليَّ . فقـال لم سألتني عن حـاجة لا تقـدر على قضـائها . قـال : وسئل بعضهم من التصـوف فقال : ذبـح الأمـاني بسكـاكـين اليأس[1] ، فهنا يجـد العبد العـذر ، لهذا قـال بعضهم : التصوف التكبـر على أهل الدارين ثقة بالله تعالى[2] . وقال بعضهم لرابعة : إن فلاناً صديقك يـريد أن يواسيك بشيء من الدنيا فقالت : إن صديقنـا فلان وفـلان وكلنا عبيـد ومن المحال أن الله يرزقهم ويتركني .

فصل : وتعظيم العبـد لربـه على حسب كمـاله ومعـرفته ولـو كنت تعرف قدره لما كنت تترك أمره . ولو تحققت إطلاعـه عليك ، وقـربه سنـك ، وسماعـه لخطابك ، ورؤيته لأحوالك . لما جعلتـه أهون الـرائين إليـك . ولكن يستخفون من النـاس ولا يستخفون من الله وهـو معهم . وليس العجب من إخوة يـوسف حيث بـاعوه بثمن بخس دراهم معـدودة . . . وإنما العجب ممن بـاع نصيبـه من

---

(١) في هذا المعنى قال الشيخ علي عقل رحمه الله تعالى :
قتلت هـوى نفسي فعشت بـلا نفس وجـافيت أنسي فـانحـدرت إلى الأنس

(٢) القصد من التكبر هو الإستغناء عن الخلق ثقة بما في يد الخالق فلا يذل نفسـه إلى أحد من النـاس ولا يرضى بإشتغاله بالخلق حتى لا يشغل عن توجهه لخالقه . لئـلا يكون ذلـه إلا لله وليس معنى التكبر هنا التعالي على الخلق .

ربه بحظوظ هي في الحقيقة مفقودة ، وإن كانت لذات ساعات بل لحظات موجودة . إلا أنهم لو عرفوا قدر يوسف لما باعوه بثمن بخس ولكنهم وقعوا على ما صنعوا يوم وقفوا بين يديه في مقام الخجلة وخروا له سجداً بدلاً من التمكن على بساط الوصلة . قال الله سبحانه ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً ﴾ . وهذا جزاء من لم يعرف قدر نسيبه ، فما ظنك بجزاء من لم يعرف قدر حبيبه . وقد حكي أن المهلب بن أبي صفرة مر يوماً في موكبه فطرق سمعه أن رجلاً قال ترون هذا لا يساوي أكثر من خمسمائة درهم فلما رجع المهلب إلى منزله بعث رجلاً يعرف ذلك الرجل وبعث إليه معه خمسمائة درهم وقال : قل له هذه قيمتنا التي قومتنا بها ولو زدت زدناك فخجل الرجل من صنعه . قال الله سبحانه ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ﴾ . فمن رضي عنا بدنياه عجلنا له فيها هواه ! وأوصلنا إليه منها مناه . ولكن الفرقة قصاراه ، والنار مأواه ، والجحيم مثواه . قال الله سبحانه : ﴿ وما له في الآخرة من نصيب ﴾ .

فصل : وأما من قال إن معنى تبارك من البركة وهي النفع وفيضان الخير فينبغي أن يكون نفاعاً لخلقه جيداً في قومه مشفقاً على عباده . فإن رأس العرفة تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله . وقد قيل في تفسير قوله تعالى في قصة يوسف صلوات الله عليه « إنا نراك من المحسنين » إنه كان يداوي المريض ويواسي الفقير ويجمع المساكين على الطعام ، إلى غير ذلك . وليست الفتوة أن تحسن إلى من أحسن إليك لأن ذلك جزاء ومكافأة . ولكن الفتوة أن تحسن إلى من أساء إليك بطيب نفس ولهذا أدب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم . حيث قال له : خذ العفو وأمر بالعرف الآية . ففي الخبر أنه سأل جبريل عليه السلام وقال بماذا أمرني ربي فقال له يقول صل من قطعك واعف عمن ظلمك واعط من حرمك . وحكي أن الحسن البصري سرق له إزار فروزي الحسن وهو في الطواف يقول اللهم أغفر لسارق إزاري . ومعناه أنه لم يرد أن يصيب أحداً مكروه بسببه بوجه من الوجوه . وقال صلى الله عليه وسلم

اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون عفا عنهم ثم تشفع لهم ثم اعتذر عنهم ويجب أن يكون متبركاً بخلق الله يطالعهم بعين الإضافة لا بعين الصورة . وقد حكي أن شيخاً من المشايخ اجتمع عنده مال لعمارة بعض الرباطات فمر به قوم من اللصوص فتشبهوا بزي الصالحين وأخفوا سلاحهم واستضافوه فلما قدم إليهم الطعام وغسلوا أيديهم وكانت له أننة[1] زمنة فشربت واستعملت من ذلك الماء تبركاً بالضيفان فشفاها الله تعالى في الوقت فجاء الشيخ وتلطف بهم وقال إنكم مباركون وقص عليهم القصة فوقع عليهم الندم وقالوا إنا لغير هذا حضرنا ولكن بعد ما أحسن الله إلينا هذا الإحسان وأسبل علينا هذا الستر فقد تبنا .

فصل : ويجب على من قال أنه معنى تبارك من البركة أن لا يرى الإحسان إلا من الله ويعرف أن الله تعالى إذا أعطى أسبغ . وإذا نول مول . وإذا بذل أوسع . وقد قيل إن الكريم إذا صفح عن مجرم عفا عن كل من كان له سمياً وتجاوز عن كل من تعاطى مثل ما عفا عنه ، وقد حكى أن بعض أسخياء العرب كان جالساً في أصحابه ففتح له بمملوك فقال إن في الخبر جلساؤكم شركاؤكم فاستبشاري بهذا لا يجمل وتخصيص بعضكم به أيضاً لا يحسن لأنكم كلكم إخوان وقسمته عليكم لا تمكن فعدهم فبلغوا ثمانين فأمر حتى اشترى لكل واحد منهم جارية أو غلاماً وقد أنشدوا :

نحن في المشتاة ندعي الجفلى لا نرى الأدب فينا ينتقر

وأما معنى قوله تبارك إسم ربك فمن قال إن الإسم هو المسمى فله في الآية تعلق لأن الموصوف بأنه تبارك هو الله تعالى . ومن لم يقل إن الإسم هو المسمى قال إن الإسم هنا صلة . وأما معنى قوله ذي الجلال والإكرام فالإخبار عن الجلال يوجب محو العبد عن وصفه . وسماع الإكرام يوجب محوه . بشهود لطفه . فقائل هذا اللفظ ومستمعه متردد بين عيش . وبين طيش . وبين سرور . وبين ثبور . وبين قبض . وبين بسط . وسنذكر إن شاء الله تعالى في

---

(١) مريضة مرضاً مزمناً تئن منه .

معناه قدر ما يوفق الله تعالى إليه إذا انتهينا إلى موضعه في ترتيب الأسماء وبالله التوفيق .

* * *

باب :

في معنى قوله تعالى سبح إسم ربك الأعلى

هـذه السورة مكيـة بلا خـلاف ومعنى التسبيح التنـزيه وهـو إبعاد الله عن السوء مما لا يليق بوصفه من الآفـات والنقائص كـذلك قـال أهل التفسـير وأهل اللغة وجاء لفظ التسبيح في القرآن والمراد به الصلاة مثل قوله تعـالى : ﴿ **وسبح بحمد ربك حين تقوم . وسبح بالعشي والإبكـار** ﴾. وقال بعض المفسـرين في معنى : سبح إسم ربك أي صلِّ لله . وإنما جاز ذلك لأن الصـلاة محل التسبيـح ويطلق إسم الشيء على الشيء بمعنى المقارنة وقوله سبح إسم ربك الأعلى أن تنزه ربك من الأوصاف الذميمة فيكون الإسم ههنا صلة أو بمعنى المسمى على طريقة من لا يفرق بين الإسم والمسمى[1] وتنـزيه الله تعـالى يكون بـالقول والبيـان مرة وبالإعتقاد وتأمل البرهان ثانياً .ولا يصـح ذلك إلا بعـد كمال المعـرفة والتحقيق بعلم التوحيد .فإن التسبيح تقديس الحقيقة عن مشابهـة الخليقة . . وإفـراد الحق عن أوصاف الخلق . وإبعاد الله تعالى عن الحدوث ومـا يقتضيه . والإخبـار عن تقديسه عن موجبات التعطيل والتشبيه . وإنما يصح ذلك على أصول أهـل الحق الـذين عرفـوه بنعت الجلال . ولم يسلبـوه أوصـاف التعـالي والجمـال . فسلمـوا للملك إليه من غير دعوى الربوبية . وطالبوا أنفسهم باستحقاق العبودية فتبرأوا من الحول والمنة . ورأوا لمولاهم عليهم من خصائص المنـة . عرفـوا ما وجب لله من الأوصاف الواجبة . فلم يقصروا فيما لزمهم من الوظائف الواجبـة وعلموا مـا

---

(١) كثر كلام المتكلمين أن الإسم هو ذات المسمى عنـد بعضهم . والبعض الآخر قـال أن الإسم غير الذات . وهذا الكلام فلسفة لا طائل تحتـه . إذ الإسم هو مـا يشير إلى المسمى ويعـرف به عنـد الغير وما كان عند الغير لا يمكن أن يكون هو إطلاقـاً . وإذا كان الإسم هـو ذات المسمى فيكون هو الذات بعينها فلا تحتاج إلى الإسم . فإذا كان الإسم أمراً ضرورياً متحققاً بالذات فلا يعلمـه إلا هـو وإلا كان كـل من عرف الإسم المكنـون صار فعـالاً به لمـا يشـاء ومستحـوذاً عليـه وهـذا مستحيل .

اتصف بـه الحق من نعوتـه الزاكيـة فلم يجوزوا لأنفسهم مجـاوزة حدوده المـراتبـة ووقفوا على ما امتنع في وصف الله سبحانه وتعالى فامتنعوا من إرتكاب مسـاخطة اللازبة[1] . ولا يصح من العبد حقيقة التسبيح الذي هو التنـزيه لله تعـالى حتى يتنزه عن أوصافه الذميمة فينزه نفسهعن الشهوات. فإن صاحب الشهوة محجوب عن ربـه وقـد روي أن الله تعـالى أوحى إلى داود عليـه السـلام أن حـذر وأنـذر أصحـابك أكـل الشهـوات فـإن القلوب المعلقـة بشهـوات الـدنيـا عقـولهـا عني محجوبة. وحكي عن إبراهيم بن شيبان أنه قال كنت بحلب وإشتهيت شبعة من الخبـز والعدس . فـاتفق ذلك فـأكلت حتى شبعت فـرأيت عـلى بـاب المسجـد حانوت خمار عليه قوارير معلقة تشبه أنموذجات فتوهمتها خلاً فقال لي قائل مـالك تنظر إليها إنها خمر . فقلت لزمني فـرض فدخلت الحـانوت فلم أزل أصيب دنـا دنا حتى أتيت على الجميع فأخذوني وضربوني مائتي خشبـة وطرحـوني في السجن أربعة أشهر حتى دخل أستاذي أبو عبد الله المغـربي البلد . فسمع بحالي فتشفع فيَّ فلما وقع بصره عليَّ قال ما شأنك قلت شبعة خبز وعدس وضرب مائتي خشبة وسجن أربعة أشهر . فقال نجوت مجاناً إذ وردت عقوبة هذه الأكلة على ظاهرك ولم تقـدح فما كنت بـه من أسر أمرك . فكـان ذلك رفقـاً من الله بـك . ونجـاة ولطفاً . وما أصدق ما قال فإن من أدب في دنياه فـيما يتعاطـاه من متابعـة هواه .

---

(١) وفي الحقيقة أن هذه الدرجة الثانية أقل بكثير من المعـرفة لأن طـالب الحق في أوله يتحقق بـالمرتبـة التي ذكرها . وفي الثاني بالمرتبة الثـانية فـإذا تنزه عن الشهـوات وخلع قلبه من هـذه العوالم طلبـاً لخالقها لا بد وأن تحفه أنوار الحق سبحانه وتعالى وتسري فيه سريان الكهرباء وكيف وهي كهرباء الحقيقـة المنزه عن الأسبـاب ولا يزال يستقي من الحقيقـة فـلا يحس بـالمـوجـودات ويحس بحنـان واجدها ويتذوق هذه الأنوار والحقائق وتتروض روحه حتى يحس من الحق وجوده إلى أن يفنى عن نفسـه في مشـاهـدة الحق ويبلغ مـراتب اليقـين درجـة درجـة حتى يكـون عينـاً من عيـون الله في الأرض . من نظر إليه إنتفـع من مصباح الحقيقـة وهو مـع الحق باطنـاً وفي الخلق ظاهـراً إلى أن يشهد مراتب اليقـين العليا فمن شـاهد الحق لا يستـدل عليه . لأن المستـدل عليه غـائب عنه . والمشاهد لا يحتاج إلى دليل .

فقد خفف عنه في عقباه[1] . بل طهر بالتأديب جوهره ومعناه .

ولقد حكي عن إبراهيم الخواص أنه قال : كنت عقدت أن لا آكل شيئاً من الشهوات إلا الرمان فاجتزت برجل به علة شديدة . وإذا الزنابير تقع عليه وتأخذ من لحمه فسلمت عليه فقال وعليك السلام يا إبراهيم وعرفني من غير تقدمة معرفة فقلت له أرى لك حالاً مع الله فلو دعوت الله حتى يخلصك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالاً مع الله يا إبراهيم فلو دعوت الله حتى يخلصك من شهوة الرمان فإن لسع الزنابير على النفوس أهون من لدغ الشهوات على القلوب . وينبغي لمن يريد أن يتحقق بتسبيحه أيضاً أن ينزه مطعمه من الحرام والشهوات . فإنه قد ورد الخبر بأن لحماً نبت من حرام فالنار أولى به وقال بعض الحكماء عجبت لمن يترك الحلال مخافة الداء ولا يترك الحرام مخافة النار . وحكي عن بعضهم أنه قال رأيت شاباً عليه عباءة وبيده ركوة فقال لي إني إنسان أقصد الورع فلا آكل إلا ما ألقاه الناس فربما أجد قشرة شيء سبقني إليه

---

(١) جميع ما يذكرون من هذه الأحوال هي بالنسبة للمبتدئين حتى يتجردوا من شهواتهم ويتفرغوا للحق سبحانه وتعالى فهي سبيل المبتدئين لأن إشتغالهم بالشهوات لا يوصلهم إلى طريق الحق . ولما كانت نفوسهم عاتية ميولها شهوانية . فلا يقطعها إلا التأديب الرادع والأعمال الشاقة حتى يتفرغوا للحق سبحانه وتعالى فلا تخطر ببالهم الشهوات فضلاً عن إتيانها . وأما أهل الحق فلا تهمهم بشيء . ولا يعاقبهم الله بهذه العقوبات بل يعاقبهم إذا عافوا النعم في حدودها المشروعة ما دامت قلوبهم منخلعة إليه حتى يكمل نموهم في عالم التكليف وعالم الحقيقة . فإن كملوا كان المتاع المطلوب شرعاً حلالاً صرفاً لم يشغلهم عن خالقهم : قال الله تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده . والطيبات من الرزق . قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ (سورة الأعراف آية ٢٢) ـ ولقد فرض بعض طالبي الحق من أصحاب الأديان السابقة على أنفسهم قسوة ورهبانية حتى يخلصوا من الشهوات وحرموا على أنفسهم الزواج وكثيراً من مقتضيات وجودهم في الحياة ولكنهم لم يصبروا عليها ولم يحققوا ما يجب عليهم منها مع أن الله لم يكلفهم ذلك بل كلفهم بالإعتدال وتقويم النفس مع الإنتفاع بالحلال وهو أشق في العمل من تحدي الجسد . ولا يبلغ ذلك إلا الرجال وهؤلاء شقوا على أنفسهم بما فرضوه عليها من غير أوامر الله وبقيت النفس على حالتها دون تقويم فغلبتهم نفوسهم لأنها تغلبهم في أي وقت لأنهم لم يجاهدوها وفي حق هؤلاء قال الله تعالى ﴿ **ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية إبتدعوها ما كتبناها عليهم إلا إبتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها . فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ سورة الحديد آية ٢٧ .

وما فائدة تعذيب الجسد مع طغيان النفس .

النمل . فألقيه ولا أتناوله فهل علـى من ذلك شيء قـال فقلت في نفسي بقي على وجه الأرض من يتورع في مثل هذا كالمنكر لـه غير المصـدق بمقامـه قال فـنظرت فإذا الرجل واقف على أرض من فضـة صافيـة فقال لي الغيبـة حرام وغـاب عن بصـري . ومعنى الحكايـة أنه لما ترك مـا حجب الخلق عن الله كـرمـه الله بنـور الإشراق . حتى نطق عما خطر بقلبـه من الإنكار ثم أخفـاء الله تعالى عنـه بشؤم الإعتراض وهكذا سنة الله فـي أوليائه أن يسترهم عمن لا يبلغ مرتبتهم .

فصـل : وينبغي له أن يقـدس أعمالـه عن الريـاء والمصـانعـات والتـزين للمخلوقين بإظهار الطاعـات ، فإن الله تعالى لا يقبـل من الأعمال إلا مـا كان بـوصف الإخلاص قـال الله تعالى : ﴿ ومـا أمروا إلا ليعبـدوا الله مخلصـين لـه الـدين ﴾ . وحكي عن بعضهم عن سهل بن عبـد الله أنه قـال : هـل لـك أن تحضر الجمعة قال فقلت وكيف وبيننا وبين الجـامع مسيـرة يوم وليلة قـال فأخـذ بيدي . فلم يكن إلا قليلاً حتى رأيت الجامع فدخلنا وصلينا فلما خرجنا نظر إلى النـاس يجرون فقـال أهل لا إلـه إلا الله كثير والمخلصـون منهم قليـل وفي الخبـر أخلص العمل يكفيك القليل منه .

فصـل : وأول الأشيـاء لمن يـريـد أن يصفـو تسبيحـه أن يجـرد قلبـه من الأغيار .ويصون سره عن التدنس بالآثار . ومسـاكنة الأشكـال والأمثال . عنـد هجوم الأشغال . فإن قمة توحيد الرجل وقدر معرفته تتبين عنـد الصدمـة الأولى فيما يحل به من البلاء فـإن فزع إلى الأغيار بقلبه وعلق بـالأجناس خـواطر لبـه . ورأى من المخلوقين كشف طوارق كربه ولم يرجع إلا بعد اليأس من الخلائق إلى ربه ، علم تقاصر رتبته ، وخساسـة منزلتـه ،وبعده من الله في خصـائص حفظه وعصمته ومن أعرض عن الأسباب ،ولم يعرج على الإستعانة بالأحباب ،ولم ينثن بقلبـه في إعتقـاده وإستنـاده إلى الأصحـاب . كفى المهمـات ، وخيـرت لـه الخيرات ، وتنكبتهالآفات،ومن صح بالله توسله ، وحق عـلى الله توكله ، كفتـه كفاية ربه وتفضله ، وقد حكي عن بعض المشايخ أنـه قال : كنت أخـدم شيخاً

بطرسوس فولدت له بنية في آخر عمره فلما قربت وفاته إستوصيته فيها فقال لي : تحملها إلى مكة في الموسم وتدعها في الحجر وتنصرف، فلما توفي الشيخ امتثلت أمره وكنت أنظر من بعيد أرقب حالها كيف يصير؟ فمر بها خادم للخليفة فاستحسنها وأخذها فدخلت بغداد بعد ذلك بمدة طويلة فرأيت البلد قد زين فسألت عن السبب فقيل إن خادماً للخليفة رجع بصبية من الحج التقطها فاستظرفتها أم الخليفة ، فتبنتها فلما كبرت زوجتها من ابن الوزير وجهزتها بعشرين ألف دينار فعلمت عند ذلك صدق إشارة ذلك الشيخ . وتقديس الأفعال عن الآثام وصف كل غاية ، وتنزيه الأموال من الحرام شرط كل زاهد . وتصفيةالأحوال عن مشاهدة الآثار حق كل واحد . فمن قدس أفعاله نجا من عقوبته . ومن طهر أمواله وصل إلى مثوبته . ومن قدس أحواله فاز بقربته . والأمان من العقوبة لمن طلب النجاة ، والظفر بالمثوبة لمن إبتغى الدرجات والتحقق بالقربة لمن أخلص مع الله المناجاة .

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأنعم وأكرم

الصلاة على النبي شراب الأبرار وأنس المقربين الأخيار . قضى الله أن لا يرد صلاة على حبيبه ومروءة الحبيب وحسن خصاله تشفع لمن صلى عليه . وهي توجد الحب . والحب يهدي إلى البر . والبر يهدي إلى الجنة وهي وسيلة من لا وسيلة له . وهي لذة للراسخين ووقاية للعارفين وأمان للمذنبين ، وعون للتائبين ووثيقة بين العبد وربه في قبول دعائه فإن كل دعاء ابتدىء واختتم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يرجى قبوله . وقد أمرنا الله بها في كتابه العزيز قال سبحانه وتعالى **﴿ إنالله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾** من ذا الذي لا يستحي فلا يصلي على من أوصل الله على يديه هذه النعم التي نتمتع بها في الدنيا والآخرة فهو صلى الله عليه وسلم بحر المغترف من أنوار الله . ومعدن النفاسة الذاكية لصون أسرار الله . وعروس تغشى بالجمال والجلال فهو أنس الناظرين في مملكته وإمام المحسنين من العابدين في حضرته . وخزائن فيض الله لمن أراده برحمته .

فصـل : وبعض أهـل التحقيق قـال : إن التسبيـح تفعيـل من السبـح والسبح في اللغة العوم فكأن المسبح يسبح بقلبه في بحار ملكوته فعلى هذا القول أصحاب التسبيح مختلفون فالطالب يسبح بقلبه في بحار الفكرة فإن تـلاطمت به أمواج الشبهة وقع في الانكار والبدعة وإن سلمت بـاحته عن الآفـات فلم يقطع عليـه الطريق داعي الكسـل والفشل ، وخـاطر العجـز والملل ولم تسلمـه هـوءة سلف . ولا محنـة خلف . ولم يسبق إلى قلبـه سـابق تقليـد وأيـده الله تعـالى بخصـائص توفيق وتسـديد . أدرك بسبـاحته جـواهر العلوم . ولـطائف الفهـوم فالعالم يسبح بروحه في بحار التعظيم وطلب أوصاف التشـريف والتقديم . فـإن هبت عليه رياح الفتنة غرق في أوحال الحظوظ . وبقي في أوحال النفوس . وأن ساعدته السعادة عبر قناطر الشهوات الخفية . وجاوز جسور الهمم الدنيـة وسقط عنـه كل نصيب لـه وهجره كـل قريب لـه . وعجز عنـه كل نسيب لـه كما قـال قائلهم :

فـريـد عن الخـلان في كـل بلدة — إذا عـظم المـطلوب قـل المسـاعـد

ولسان الصدق لبيان حجته . وطريق الصواب لسلوك شريعته سقي علوم التوحيـد وصار فيهـا العلم المفرد الوحيد ، إنسان عين الوجود . والسبب في كل موجود . المتقـدم من نور أمـر الله ليـدل على الله ، وقـد جاء في فضـل الصلاة عـلى النبي ، عن أنس رضي الله عنـه قـال قـال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم (من صلى عـليَّ صـلاة واحـدة صـلى الله عليـه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات) أخـرجه النسـائي وعن أبي طلحة رضي الله عنـه قال جـاء صلى الله عليـه وسلم ذات يوم والبشر في وجهـه فقلنا : إنـا نرى البشر في وجهك . فقال : إنـه أتاني الملك فقـال يا محمـد إن ربك يقـول إنه لا يصـلي عليك أحـد إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليهاعشراً ، أخرجه النسائي ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم « أولى الناس بي يـوم القيامـة أكثرهم عليَّ صلاة » أخرجه الترمذي . وأخرج أيضاً عن علي رضي الله عنـه قال قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة) أخرجـه الترمـذي . وأخرج أيضاً عن عـلي رضي الله عنه قـال قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم « البخيل من

فإذا كان كذلك وصل إلى جواهر المعرفة والواصل منهم يسبح بسره في بحار ملكوته فإن ملكته حيرة البديهة وصدمته دهشة الغيبة قطع عليه الطريق فحيل بينه وبين المقصود بمساكنة مع حال . وإستئناس بخواطر ترد عليه ولذيذ مقال . فهو عند أهل الحقيقة ممكور. وبما يظنه من الوصلة مهجور . وبالتلبيس مربوط . وبخفي خطره منوط وإن كان عند الخلق أنه مغبوط . وفي معناه أنشدوا :

وقد حسدوني قرب داري منهم   وكم من قريب الدار وهو بعيد

وإن أمد الله عز وجل هذا السابح بعونه عبر منازل المكنونات . وجاوز قناطر المرسومات . فأدرك جواهر التوحيد . وتحقق بخصائص التفريد فهذا الذي يسلم له أن يقول سبحان الله . ثم أن التسبيح وما يتعلق به من الرغائب فسنفرد له موضعاً إن شاء الله تعالى .

* * *

ذكرت عنده فلم يصل عليَّ» وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام » أخرجه النسائي . وأما كيفيتها فقد روي عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال : قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم . إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم وغيرهما وعن ابن مسعود البدري رضي الله عنه قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم . . أخرجه مسلم والترمذي وغيرهما . وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد - رواه البخاري ومسلم وغيرهما . ولا بأس من قراءة بعض الصيغ التي ألفها بعض العلماء العاملين والأولياء المحسنين كصلاة ابن مشيش والصلاة الشجرية وأمثالها . ويجب الإحتراس من الصلاة التي عقد أصحابها معانيها ولفظها وتنافي تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذوق السليم .

باب

في معنى قوله تعالى
﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق ﴾

هذه السورة مكية بإجماع ويقال إنها أول سورة نزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما رأى من تباشير المعجزات أنه كان ينقل الحجارة مع عمه أبي طالب والناس لرمة البيت الحرام ولزمزم فغشي عليه وكان متجرداً عن ثيابه فلما أفاق سأله عمه أبو طالب عن حاله فقال رأيت شخصاً أشار إليّ أن أستتر فما رئيت عورته صلى الله عليه وسلم بعد ذلك . ثم أوحى الله إليه بعد ذلك بسنين كثيرة وكان يرى في الإبتداء الرؤيا فيصدق جميعاً كفلق الصبح ثم حببت إليه الخلوة فكان يتحنث في حراء كل سنة شهراً على عادة العرب[1] إلى سنة الوحي فتعرض له الملك وقال أنت رسول الله فذعر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بيت خديجة وقال زملوني زملوني ثم إنه بدا له الملك ثانياً فكاد يلقي نفسه من حالق جبل[2] وهم بذلك فظهر له جبريل عليه السلام قاعداً على كرسي في الهواء في رواية وقال له أنا جبريل رسول الله إليك ثم قال له : إقرأ فقال ما أنا بقارىء فقال إقرأ ففي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : فغتني جبريل عليه السلام أي ضغطني ويشبه أن يكون مثل غطني وفي الحديث في صفة أهل النار أن يغتهم غتاً أي يغمسهم غمساً ثم قال جبريل عليه السلام

---

(١) لم نسمع أنه كان في عادة العرب التحنث ولو كان فلم يكن بغار حراء .

(٢) أنه لم يرعب ولكن جسده الشريف لم يحتمل أن يرى العالمين عالم الغيب وعالم الشهادة في وقت واحد قبل أن يتعود هذا الموقف . ويتحمل جسده شيئاً فشيئاً استمرار الوحي وقوله لما جاءه الملك في الثانية كاد يلقي نفسه من حالق . والصحيح أن ذلك لم يكن وإنما لما فتر الوحي بعد المرة الأولى خشي أن يكون أخطأ في سيره ألى الحق وعدم تحمله في المرة الأولى وكان شوقه ألى ربه زئد الفيضان وكان ذلك من حكمة الله تعالى إذ جعله يشتاق إلى الوحي ليصبر نفسه عليه . ولما اشتد به الشوق كاد أن يلقي نفسه من حالق جبل ، تشبيه لما به من هيمان وشوق وإصطلام .

إقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله ما لم يعلم . فمن شأن الواعظ إن تكلم في هذه الآية أن يذكر شيئاً من مبادىء الوحي ثم يقرنه بشيء من البيانات ثم يذكر طرفاً من بدايات المشايخ ويورد في كل فن ما يليق به من الحكايات والنكت ونحن نذكر طرفاً في هذا الباب من هذا الجنس إن شاء الله تعالى : وإعلم أن تفكير العبد في ابتداء أمره يحمله على خالص الشكر لربه من قلبه قال الله تعالى ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾الآية[1] أي بنعم الله وكل الأحوال والأوقات وقال تعالى : ﴿ **أولا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾ وذكره الله تعالى نفسه لئلا يعجب بحالته وجرده عن كل فضيلة . ولهذا قال المشايخ عرفهم مقدارهم لئلا يتعدوا أطوارهم . وقال ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً** ﴾ ثم قال تعالى ﴿ **الرحمن علم القرآن** ﴾ ثم قال ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ جردك أولاً وعراك ثم أخبرك بما عرفك من العلوم والفهوم وأعطاك ثم ذكرك عظيم ما أنعم به عليك وأولاك ، وفي معناه يقول المنشي :

سقيا لمعهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصبابة معهدا

فمن أين كان لك العرفان والإسلام والإيمان والطاعة والإحسان والإستدلال والبرهان . لولا ما ألبسك من التوفيق . وأخلص لك من التحقيق ، وأهلك له من التصديق . قال الله سبحانه ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾ . ثم أعلم أن سنة الله تعالى مع عباده في بدء أحوالهم تختلف فمنهم من يكون من الإبتداء إلى الإنتهاء على وصف الوفاق محروساً من التدنس والزلات محفوظاً عن التلبس بالمخالفات غذتهم الرحمة وربتهم الرعاية وكنفتهم القربة وشملتهم الوصلة غار الحق سبحانه وتعالى على أحوالهم وأوقاتهم أن تضيع أو يكون لغير الله تعالى فيها نصيب فمن هؤلاء أبو يزيد البسطامي فإنه

---

(١) وذكرهم بأيام الله أي بأقوام أنعم عليهم فكفروا بأنعمه فخسف بهم فضلاً عما سيحيق بهم في الأيام السود يوم القيامة ويوم الحساب .

دخل على والدته في حال صباه يوماً ، وقال إني أجد في قلبي حـزازة لست أدري مـا سببها وقـد حاسبت نفسي فلم أقف عـلى ما يـوجبها فهـل أطعمتني في حـال صبـاي شيئاً من غـير وجهه. ففكـرت فتذكـرت أنها سرحتـه يومـاً بـدهن لبعض الجيـران بغير علمهم ولا طيب نفـوسهم واحتاجت أن تـطلب عليهم فاستحلت منهم فزال عن قلبه ما كان يجـده . وقيل إن رجـلاً جاءه فسـأله عن بـداية أمـره ليستن بهـديه ويسلك مثـل طريقتـه فقال هـو أن تكون في بـطن أمك بحيث لـو أرادت أن تتناول شيئاً من المحـظورات انقبضت يدهـا ، وهكذا سهـل ابن عبد الله فإنه قال لما أسلمـوني إلى الكتاب كنت إذا اشتغلت بتعلم القـرآن ذهل قلبي وإذا اشتغلت بمراعاة القلب ذهب حفـظي . قال : فـدعوت الله عـز وجل حتى سهل عليَّ الجمع بين التعلم ومراعاة القلب . وحكى عنه خاله معروف أنـه كانْ يسهر لصلاة الليل قال : وكان سهل لا ينام فنظر إليه وهو ابن ثلاث سنين وكان يقول خاله يا سهل نم ولا تشغلني فكان لا يـأخذه النـوم حتى يلقنه ذكـر الله عز وجل إلى أن قال لخـاله : مـا تقول فيمن كشف لقلبـه شيء[1] فسجد قلبـه له . فقال : إلى متى . قال : للأبد . قال له خاله : أنا لا أعرف هذه المسألة وحالتي لا تبلغ هذه الرتبة .

وحكي أن يحيى بن معاذ الرازي كانت له بنية فطلبت من أمها شيئاً تـأكله فقـالت لها سـلي الله يعطيكيـه فقالت : أنـا أستحي من الله أن أطلب منه شيئاً يؤكل . وطائفة من الأولياء كانت لهم بدايات مقشـوشة وأحـوال في الظاهـر مختلفة فتداركهم الله تعالى بتوفيق التوبة بعد مدة وعاد بهم إلى الـورع وأحوال السعـادة بعـد شدة مثـل إبراهيم بن أدهم وفضيـل بن عياض وحبيب العجمي والسـري السقطي وبنان الجمال وغيرهم من المشايخ فـإن هؤلاء حسنت أحوالهم من بعـد

---

(١) وأنـا أعلم علم اليقين أن الله تفضـل على بعض النـاس تفضلاً لا علة لـه من اعمالهم بـل بمنه وكرمه . وأعلم أن بعض الناس في عصرنا هذا يقع عليهم أكثر مما وقع لأبي يـزيد . وقـد عاينـوا شيئـاً في القلب والبصيـرة والبصر . لا مـريـة فيـه . ولا إختـلال في الشعـور . أو تلبيس من الشيطان .(والله ينعم على من يشاء ولا يعطي من يشـاء) وممن أعطى أعـلا المقامـات شيخي أبي خليل وأحد تلاميذه الموجودين الآن على ما أعلم . والله يهدينا لأقوم سبيل .

فما زالت خجلة الإبتداء مصحوبة لهم وحشمة ما سلف عاصمة لهم عن محل الإعجاب . ولهذا قال بعض المشايخ من لم يحسن أن يقنعني لم يحسن أن يتقرا . وهذا أبو بكر الشبلي سيد عصره في وقته كان حاجب الموفق إلى أن تاب على يد بعض الشيوخ . والفضيل بن عياض كان يقطع الطريق بين مرو وتبوك إلى أن تاب لما سمع قارئاً يقرأ « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » وكان قد قصد إلى دار ليفجر بامرأة ثم إنه وقعت التوبة في قلبه فكف عما قصد فرأى رفقة نزلوا في موضع فقال لهم ما بالكم لا ترحلون فقالوا نخشى الفضيل فإنه على الطريق فقال : لا عليكم فأنا الفضيل وقد تبت وأنتم في أمان .

وقد ذكر عن بعضهم أنه قال : كنت في بعض الطريق فظهرت اللصوص وخاف الناس وكان معي صرة دنانير فرأيت على البعد رجلاً يصلي فقصدته فاستودعته الصرة فقال : لا تودعنها فإني رئيس اللصوص فقلت : ولم لم تغلبني عليها قال : لا أخون الوديعة . فقلت وما بالك تقطع الطريق وتصلي النافلة . قال يا أخي إدع للصلح موضعاً قال : فرأيته بعد ذلك بمدة متعلقاً بأستار الكعبة يدعو ويتضرع . وقد زال عما كان عليه فقلت ما حالك فقال قد حان أوان الصلح .

فصل : وثم من كان من الناس في بداية أمره صاحب جهد وعنا وجد وشقا . ومعاملات طويلة . ومنازلات كثيرة يقطعون الطريق منزلاً بعد منزل ومنهلاً بعد منهل كما قال قائلهم :

ما زلت أنزل من ودادك منزلاً   تتحير الألباب دون نزوله

إلى أن يلوح لهم علم الوجود . وتتبين لهم تباشير الوصول . فيستريح القلب من تعب الطلب وكد النقلة وإن طولب بأضعاف ما كان مطالباً به قبله من أعباء القربة . فتطلع الشموس . وتحسن النفوس . ويسطع علم الإصباح وتلمع أنوار الفلاح كما قال قائلهم :

فلما استبان الصبح أدرج ضوءه   بأسفاره أنـوار ضوء الكـواكب

وهذا الشبلي قـال : طلبت العلوم إلى أن طلعت الشمس فقلت أريد فقـه الله فقالوا لسنا نعرف ما تقول يشير إلى هذه الجملة التي ذكرتها .

ومن الناس من يكون موفقاً في بـدايته مـرزوقاً من غـير كثير جـد ولا كبير سعي وجـد روح وصلته فـالأول مريـد والثاني مـراد لكن هذا الـوصف قـل مـا يدوم . وما أسرع العين إلى هذه الحالة وأنشد بعضهم :

عين أصابتـك إن العين صائبـة   والعين تسرع أحياناً إلى الحسن

وقلما تـرى محباً إلا وهـو يندب أطـلالاً . ويبكي أحـوالاً . ويشكي نـوى وإرتحالاً .

ولقد حكي عن بعضهم أنه قال : كنت عند الجـريري فجـاء رجل وقـال كنت على بساط الأنس ففتح عليَّ باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مكاني فكيف لي بالسبيل إليه دلني على الوصول إلى ما كنت عليه قال : فبكى أبو محمد الجريري وقال الكل في قهر هذه الخطة لكن أنشدك أبيـاتاً تجـد فيها جـوابك إن شاء الله تعالى ثم أنشأ يقول :

قف بـالـديـار فهـذه آثـارهم   تبكي الأحبـة حسـرة وتشـوقـا
كم قد وقفت بربعها مستخبراً   عن أهلها أو صادقـاً أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى لي مسرعاً   فـارقت من تهوى فعـز الملتقى

وحكي عن بعضهم أنه قال كنت مع الجنيد فسمع مغنياً يغني :

منـازل كنت تهـواهـا وتـألفهـا   أيـام كنت على الأيـام منصورا

فبكي الجنيد وقال ما أطيب الالفة والموانسة وأوحش مقامات المخالفة . لا أزال أحن إلى بدء إرادتي وجدة سعيي وركوبي الأهوال ، طمعـاً في الوصـال فها أنا ذا في أوقات الفترة أتأسف على الأيام الماضية .

فصل : وأن من عدم الأحباب وترك الأصحاب . قطع الأسباب ولازم الإكتئاب وحالف الشجو والإنتحاب فواصل الليل بالنهار وسائل أحجار الديار وتتبع آثار المزار كما قيل :

أهوى الديار لمن قد كان ساكنها   وليس في الدار لي هم ولا شغل

وقال الآخر :

وإني لأهوى الدار ما يستفزني   لهاالود إلا أنها من ديساركا

وأنشدوا :

خليلي هل بالشام عين حزينة   تبكي على نجد فإني أعينها
قد أسلمها الباكون إلا حمامة   مطوقة ورقاء بأن قربتها

هذا والله شرط الوفاء . ملازمة الربع بعد الإرتحال ومساءلة المنزل بعد الإنتقال . والتسلي بالأثر عند عدم النظر والتنغص بالعيش بعد الفرقة لا أبلانا الله بفرقة الأحباب إنه الكريم الوهاب .

* * *

في اسمه تعالى « الله »[1]

الكلام في هذا الباب من وجوه منها : القول في إشتقاق هذه التسمية هل هي مشتقة من معنى أو لا ؟ وإن كانت مشتقة من معنى فما هو ؟ وقد اختلف في ذلك فمنهم من قال إن هذا الإسم غير مشتق من معنى وهو إسم تفرد به الله تعالى فهو إسم خالص كما تكون لغيره أسماء الأعلام والألقاب إلا أنه لم يطلق في وصفه تعالى إسم الملقب والعلم لعدم التوقيف وهذا أحد قولي الخليل بن أحمد . ويحكى عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال بهذا القول وإليه ذهب الشيخ الحسين بن الفضيل وكثير من أهل الحق ممن سلك هذه الطريقة قال لم نر أهل

---

(١) المشهور أن إسم الله تعالى مشتق من إله . أي المتاله المتعالي الذي لا يحكمه أحد ويحكم جميع ما خلق والكل مدين له بوجوده يحتاج إليه في كل شأن أو من الوله أي الذي يتوله في حبه أهل محبته أو من الهوية إذ لا يشير جميع من في الكون إلا إليه فلا إله إلا هو . والإعتراض بأن الله كان ولا شيء معه ولا عابد يعرف المعبود ولا مالوه يعرف المتاله فهذا لا يطعن في أن الإسم مشتق وأن الله سمى نفسه به ليعرف أنه المتاله المعبود بعد خلق المخلوقات وأنه منع أن يسمى به مخلوق وعلى هذا يكون اسم الله المكنون لا يعلمه إلا هو أو من أراد من خلقه وله أسماء ذاتية أكثر من واحد فمما ورد عن رسول الله ما رواه رزين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « من كثر همه فليقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفي قبضتك ناصيتي بيدك ماض فيَّ حكمك [illegible] في قضائك أسألك بكل إسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في مكنون الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء همي وغمي ما قالها عبد قط إلا أذهب الله غمه وأبدله فرحاً » ومن هذا يعلم أن لله أسماء ذاتية غير أسماء الصفات ومنها ما استأثر بها في غيب علمه وجعلها مكنونة يعلمها لمن شاء أو لا يعلمها لأحد ولو أنه سبحانه وتعالى لذاته إسم لا يعلمه إلاَّ هو فهذا حق لأنه يكون اسمه المكنون المخزون المطهر الذي لا يباح بأن يخاطبه به الخلق بارهم وفاجرهم في جدهم وجفوتهم ولو أنه ظهر ونادى به الخلائق بما لا يليق لهم لصعق من ناداه به دون أن يعرف حقه وكذلك وجب أن من ناداه به وكان باراً أن يجيبه تواً وذلك ممتنع في دار التكليف إذ لا بد أن يجري القضاء طبقاً للمقدور .

الله : علم على الذات العلية فهو الاسم الأعظم الجامع الفرد غير مشتق من إسم آخر انفرد به الله سبحانه وتعالى وهو جامع لجميع صفات الجلال والإكرام وذاكره يكون من أهل اليقين ويرى حلاوة الإيمان ويؤت الحكمة وبه نيل كل خير وزوال كل شر .

اللغة تصرفوا في اشتقاق هذا الإسم وما كانوا يستعملونـه في غير الله بـل قل مـا يوجد في كلامهم استعمال لفظ الله قبل الشرع في صفتـه تعالى فضـلاً عن صفة غيره فكانوا يكتبون باسمك اللهم وقد قال الله تعـالى هل تعلم لـه سميا . جـاء في التفسير هل تعلم أحداً تسمى الله غير الله وهذا أحد معجزات الرسـول صلى الله عليه وسلم التي تدل على صدقه في هذا الخبـر حيث أخبر أنـه لا سمي له . فقبض الله سبحانه القلوب عن التجاسر على إطلاق هذه التسميـة في صفة غيـره مع كثرة أعداء الدين وشدة حرصهم وتوفر دواعيهم على تكذيبـه صلى الله عليـه وسلم في أخبـاره ولهذا قـال بعض المشايـخ كـل إسم من أسمـائـه تعـالى يصلح التخلق بـه إلا هذا الإسم فـإنه للتعلق دون التخلق . ومنهم من قـال إنه مشتق من معنى ثم اختلفوا فيما اشتق منه هذا الإسم فمنهم من قـال : الأصل فيـه إله والإله من يوله إليه في الحوائج أي يفزع إليه في النوائب كأكاف إسم لما يؤتكف به ولحاف لما يلتحف به وفي معناه أنشدوا :

ألهت إليكم في بـلايـا تنـوبني   فـألفيتكم كـلاً كـريمـاً ممجـدا

وهذا القول ذهب إليه الحرث بن أسد المحاسبي في جماعة من أهـل العلم والمفسرين وهذا عند أهل العلم لا يصح على وجه التحديد على معنى أنه لم يكن إلهاً إلا بعد الوصف . فإن صح هذا المعنى في نعتـه فهذه العبـارة تصلح للتفسير دون التحـديد وإنمـا قلنا ذلـك لحصول الإجمـاع على أنـه لم يـزل إلهـاً وإن هـذا الوصف ليس مما إستحقه لفعل أظهره ولا لمعنى حصل فيـها لا يزال كـوصفنا لـه بأنه خالق ومعبود . ولم يكن في الأزل من صح منه الفزع إليه ولأنه إله لا يصـح منه الفزع ومن لا يصح كالجمادات والأعراض ومن لا عقـل له ولا تمييـز فيصح منه القصد إليه بالفزع ومن أخذ بهذا القول على الوجه الذي بيَّنا أنه يصـح فمن عرف معبوده سبحانه بأنه هو الذي يفزع إليه في الحوائج أعرض عمن سواه . ولم يأخذ من دونه في دنياه وعقباه . وعلامة صحة ذلك أن يؤثر رضـاه على هـواه ثم يعرف بأنه وإن جد واجتهد فالعجز والتقصير قصاراه فإن تداركته الـرحمة فـالجنة مأواه وإن حق بالعذاب الكلمة عليه فالنار مثواه . فالعبد إذا التجأ إلى ربه قلبـه

دون أن يستبد بتدبيره ولبه . أو يستعين بأقرانه وصحبه . تعجلت له الكفاية في عاجله وتحققت له من الله الولاية في آجله وفي بعض الحكايات لو رجعت إليه في أول الشدائد . لأمدك بفنون الفوائد . لكنك رجعت إلى أشكالك . فزدت في أشغالك . وقد قال بعض المشايخ .إنما يعرف توحيد الرجل عند الصدمة الأولى من المحنة يعني بذلك إقباله على الله بقلبه في أول الوهلة . وقد حكي عن أحمد بن أبي الحواري أنه قال كنت مع أبي سليمان الداراني في طريق مكة فسقطت مني السطيحة فأخبرت أبا سليمان بذلك قال يا راد الضالة يا هادي من الضلالة أردد علينا الضالة . قال : فلم ألبث حتى أتى رجل يقول من سقطت منه سطيحة فإذا هي سطيحتي قال : فأخذتها . قال أبو سليمان حسبت أنه يتركنا بلا ماء فمضينا قليلاً وكان برد شديد وعلينا الفراء فرأينا رجلاً عليه طمران رثان وهو يترشح عرقاً فقال أبو سليمان نواسيك من فضل ما معنا فقال : الحر والبرد خلقان من خلق الله إن أمرهما غشياني وإن أمرهما تركاني فأنا أسير في هذه البادية منذ ثلاثين سنة ما ارتعدت ولا انتفضت يلبسني في البرد فيحاً من محبته ويلبسني في الحر برد رحمته . يا داراني تشير إلى الزهد وتجد البرد يا داراني تبكي وتصيح وتستريح إلى الترويح قال : فمضى أبو سليمان وهو يقول لم يعرفني غيره قال الأستاذ هذه الحكاية تدل على أن أبا سليمان صدق في فزعه إلى الله تعالى والتجائه إلى الله عند فقد السطيحة فحقق الله ظنه لما وصل إليه مفقودة ثم صانه عن محل الإعجاب بما أراه من محل من زاد عليه في معناه ثم صغر في عينه حال نفسه بما اطلع عليه من مزية غيره عليه في مقامه وتلك سنة الله مع أوليائه أن يصونهم عن ملاحظة الأعمال ويصغر في أعينهم ما يصفو لهم من الأحوال .

وكان الشيخ أبو علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول : علامة من كان صادقاً فيما ظهر عليه من التواجد. أن تكون خجلته بعد صحوة من تلك الغلبة أكثر من خجلة من قارف كبيرة وكان كثيراً ما ينشد في معناه .

يتجنب الآثام ثم يخافها فكأنما حسناته آثام

وسئل الشبلي عن أفضل الطاعات فأنشأ يقول :

إذا محاسني اللاتي أدل بها   كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

هكذا وصف من يعتقد في معنى اسم الله تعالى انه الذي يفزع إليه في النوائب لا يساكن المخلوقين . ولا يستعين بغير رب العالمين . يغتنم خلوته ثم يصفي دعوته ويظهر سراً بين يديه غصته ويرفع إليه بإخلاص القلب قصته . فإن وافق دعوته سابق القضا فاز بالنجح والظفر بجزيل العطا وإن كانت القسمة بخلاف ما طلب من البغية ألبسه الله لباس الرضا فهو بحسن أدبه بل بكمال ورده ومحبته بعد المنع عطاء ومنحة والرد إجابة وقربة وفي معناه أنشدوا :

أريد عطاءه ويريد منعي   فاترك ما أريد لما يريد

وأنشد آخر :

حين أسلمتني إلى الذال واللام   تلقيني بعين وزاي

وقل من يوفق للدعاء ثم لا يستجاب له فإن من لا يكون أهلاً للإجابة قل ما ينطق لسانه بالمسألة . وقد حكي عن بعضهم أنه باع جارية له فندم على بيعها فاستحيا من الناس أن يظهر حالته فكتب حاجته على كفه ورفعها إلى السماء فلما أصبح قرع عليه الباب فقال : من أنت فقال مشتري الجارية مع الجارية فقال إصبر حتى آتيك بالثمن فقال لست أريدالثمن فإني أخذت خيراً من ذلك إني رأيت في المنام رب العزة يقول لي : إن البائع ولي من أوليائنا وقلبه معلق بها فإن رددتها إليه بلا ثمن أدخلناك الجنة بلا عمل فأنا آثرت الثواب على الثمن .

قول آخر في اشتقاق هذا الإسم . ومن الناس قال : إن إشتقاق هذا الإسم من الوله قالوا والوله هو الطرب وهو خفة تصيب الرجل لسرور أو حزن وفي معناه أنشدوا :

ولهت نفس الطروب إليكم   ولها حال دون طعم الطعام

قال الأستاذ : وكان الدقاق يقول سماع إسم الله يوجب الوله لأن المسمى به لا شبه له . وهذا القول أيضاً لا يصح على طريق التحديد لإستحالة وجود

الطرب في الأزل ولكونه إلهاً لمن لا يصح منه الطرب كما ذكرنا في الجمادات والأعراض . لكنه يصح في وصفه لا على وجه التحديد كما ذكرنا فإن من عرف الله كان بإحدى وقتين وقت قبض ووقت بسط . فالقبض يوجب هيبته . والبسط يقتضي قربته . وفي حال الهيبة يلحقه طرب هو دهشة وفي حال القربة يسحبه طرب هو فرحة . وقد حكي عن أبي حفص الصغار وكان كبيراً في شأنه أنه قال : تهت في البادية أياماً فعطشت مرة وضعفت فرأيت رجلاً فاتحاً فاه ينظر إلى السماء فقلت له : ما هذه الوقفة فقال : مالك وللدخول بين المولى والعبيد ثم أشار بيده وقال : هو ذا الطريق فنحوت نحو إشارته فما مشيت إلا قليلاً حتى رأيت رغيفين على أحدهما قطعة لحم حار وهناك كوز ماء قال : فأكلت حتى شبعت وشربت حتى رويت ثم رأيت الطريق فرجعت إليه وقلت : ما التصوف ؟ فتبسم ثم قال لائح لاح . فاصطلم واستباح يعني بذلك أنه كشف يرد على الأسرار فيختطف العبد ويستبيح منه كل ماله حتى لا يؤثر لنفسه شيئاً والإصطلام محل القهر نعت الحيرة ووصف الدهشة . وكان الشبلي كثيراً ما يقول : يا دليل المتحيرين زدني تحيراً .

وقال ذو النون المصري المعرفة أولها التحير ثم الإتصال ثم الإفتقار ثم المحبة وفي معناه أنشدوا :

حب من أهواه قد أدهشني	لا خلوت الدهر من ذاك الدهش

وأنشدوا أيضاً :

قد تحيرت فيك خذ بيميني	يا دليلاً لمن تحير فيكا

قول آخر فيما اشتق منه هذا الإسم . ومن الناس من قال إنه مشتق من قولهم لاه فسروه على وجهين : أحدهما أنه بمعنى احتجب واستدلوا عليه بقول الشاعر :

لاهت فماعرفت يوماً بخارجه	يا ليتها خرجت حتى رأيناها

ويقول الآخر :

لاه زدني عن الخلائق طرا خالق الخلق لا يرى ويرانا

وهذا القول خطأ من وجوه وإن كان له تعلق باللغة ، منها أن الإحتجاب لا يجوز في وصفه تعالى لأنه من صفات الأجسام والجواهر لأن المحجوب لا يخلو إما أن يكون مثل الحجاب في القدر أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك محال في وصفه ولأنه لم يزل إلهاً والإحتجاب في الأزل محال لأنه لم يكن في الأزل غيره فيحتجب عنه ولأنه إله الجمادات والأعراض ولا يجوز أن يكون المحجوب محجوباً إلا عمن يجوز أن يكون رائياً والجماد والعرض لا يكون رائياً والبيت الذي إستدلوا به غير معروف فإن قال قائل أردت بالإحتجاب أنه منع المبصرين من إدراكه ورؤيته . فيكون هذا القول صحيحاً في وصفه وإن لم يجز أن يكون حداً له لكونه في الأزل إلهاً ولم يكن معه من منعه وحجبه فعلى هذا من علم أنه منع المبصرين عن إدراكه ورؤيته فشرطه أن يكون متحققاً بإطلاع الحق سبحانه عليه فيكون مراقباً لربه وعلامته أن يكون محاسباً لنفسه . ومن لم تصح محاسبته لنفسه لم تصح مراقبته لربه . وسئل بعضهم عما يستعين به العبد على حفظ البصر فقال يستعين عليه بعلمه بأن رؤية الله تعالى له سابقة لنظره إلى ما ينظر إليه . وقيل : إن إمرأة راودت طاوساً اليماني عن نفسه فقال لها وكانا بمكة ـ تعالي إلى المسجد الحرام فلما دخلت معه المسجد قال لها إقضي ما تريدين قالت : فكيف مع رؤية هؤلاء الناس بأسرهم قال : فكيف لا أستحي ولا تستحين من رؤية الله تعالى . قال : فتابت تلك الساعة وحسنت حالتها .

وهكذا صفة من كان من أولياء الله تعالى لا يكون بينه وبين أحد شيء إلا ويصير سبب نجاته حقاً كان أو باطلاً . وفي هذا المعنى حكي عن أبي سعيد الخراز أنه قال : كنت في بدايتي حدثاً حسن الوجه فكان رجل من الشطار الجبارين يؤذيني في بلدي فعزمت على السفر وخرجت من البلد فبينا أنا أمشي إذا أنا به وقد لحقني وأخذ يؤذيني فقلت له : إما أن تنصرف عني أو أطرح نفسي في

هذا البئر فلم ينصرف قال : فألقيت نفسي في بئر كانت هناك . قال فأمسكني الله وسط تلك البئر في الهواء قال فنظر ذلك الرجل إليَّ وتعجب وغلبت عليه الدهشة والحيرة قال فخرجت فجاء الرجل وتضرع إليَّ وبكى وقاب على يدي وصار أحد الأكابر ولم يتخرج على يدي أحد قبله وكان أول مريد لي .

فصل : ومنهم من قال : إن معنى لاه : علا . يقال لاهت الشمس إذا علت والعرب تسمي الشمس آلهة قال الشاعر :

وأعجلت الالاهة أن تغيبا

فهذا الذي قالوه إن أرادوا به علو المكان والمنزل فمحال في وصفه سبحانه لقيام الدلالة على إستحالة كونه في المكان . وإن أرادوا به علواً الصفة فذلك واجب في وصفه تعالى . فعلى هذاالتفسير من علم علوه وجلاله فشرطه أن يتصاغر في عينه ويتواضع لربه في نفسه وعلامة ذلك أن يعظم أمر الله عز وجل فلا يكون له في الطاعة تقصير . ولا منه لأداء حق الله تأخير . وعلامة صحة ذلك أن يكفيه الله تعالى جميع أحواله ويصونه عن محل الذل فيما يسنح له من أشغاله فإن من حفظ أمر الله حفظ الله عليه وقته . وفي هذا المعنى حكي عن بعضهم أنه قال رأيت راعياً يرعى الغنم وهو في الصلاة والذئب يحفظ أغنامه قال فقلت له : متى صالح الذئب الغنم ؟ فقال : لما تصالح رب الغنم مع رب الذئب وقع الصلح بين الذئب والغنم . وكان الدقاق يقول : إن من له قدر عند الله أو منزلة فلو ظهر منه خلل في بعض أحواله عاتبه حتى السور في بيته .

وكان يحكى عن بعض المراوزة أنه قال : إجتاز الواسطي يوم الجمعة بباب حانوتي فانقطع شسع نعله فأخرجت إليه شمعاً واستأذنته في إصلاح نعله فأذن لي ثم قال : أتدري لم إنقطع شسع نعلي فقلت حتى تقول . فقال : لأني ما اغتسلت للجمعة فقلت ههنا حمام أفتدخله فقال نعم ودخل ـ قول آخر في معنى إسمه الله . قال بعض الناس إشتقاقه من قولهم أله بالمكان إذا أقام به وفي معناه أنشدوا :

ألمنا بدار ما تبين رسومها كأن بقاياها وشام على اليد

فكأنهم قالوا : إنما كان إلهاً بقدمه ودوام وجوده . وقال بعض الناس إن معنى الإله هو القديم وهذا القول باطل لأنه لو كان كما قالوا لوجب أن يكون كل من كان له إقامة بمكان أو تقدم بزمان أو دوام لوجود كان له قسط من الألوهية وهذا باطل .

فأما دوام تقدم الوجود وتقدم الكون فمستحق للقديم سبحانه واجب . فمن عرف ذلك في وصفه فشرطه أن لا يساكن المخلوقات . ولا يوطن نفسه على شيء من المصنوعات . ويرتقي بهمته إلى رب الأرضين والسموات . وقال الله تعالى ﴿ والله خير وأبقى ﴾ فعند ذلك يكون عظيم الهمة شريف الإرادة جليل الحال لا يتعزز بدنياه . ولا يرضى بدون مولاه فيكفيه الله ما لا بد له منه ويجعل الكون بأسره خادماً له . فلا يستوحش من الغربة لما وجده من الإيناس والقربة .

وقد حكي عن بعضهم أنه قال خرجت مرة إلى الحج فبينما أنا في البادية إذ تهت فلما جن عليَّ الليل وكان ليلة مقمرة سمعت صوت شخص ضعيف يقول لي يا أبا إسحاق قد أنتظرتك من الغداة فدنوت منه فإذا هو شاب ضعيف نحيف أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما أعرف ومنها ما لا أعرف فقلت له من أين أنت فقال من مدينة شمساط كنت في عز ورفعة فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت وقد أشرفت على الموت فسألت الله تعالى أن يقيض لي ولياً من أوليائه وأرجو أنك هو فقلت ألك والدان قال : نعم وإخوة وأخوات فقلت هل اشتقت إليهم أو إلى ذكرهم فقال لا إلا اليوم أردت أن أشم ريحهم فطافت بي السباع والبهائم فبكين معي وحملت إلى هذه الرياحين فقال : فبينا أنا معه على تلك الحالة يرق له قلبي إذ بحية أقبلت وفي فمها طاقة نرجس كبيرة فقالت دع شرك عنه فإن الله يغار على أوليائه قال فغشي عليَّ فما أفقت حتى خرجت نفسه ثم وقع على نبات فانتبهت وأنا على الجادة قال : فدخلت مدينة شمساط بعد ما

حججت فاستقبلتني إمرأة بيدها ركوة فيها رأيت أشبه بالشاب منها فلما رأتني قالت يا أبا إسحاق كيف رأيت الشباب فإني إنتظرتك منذ ثلاث ذكرت لها القصة إلى أن قلت قال أردت أن أشمهم فصاحت وقالت أولاً بلغ الشم وخرجت نفسها فخرج أتراب لها عليهن المرقعات والفوط وتكفلن أمرها و تولين دفنها فانصرفت عنها . قول آخر : ومنهم من قال إن معنى الله من أله إذا تحير وهذا أيضاً لا يصح من طريق التحديد وإن صح من طريق المعنى على معنى أنه تحار العقول في جلال سلطان الله تعالى وذلك من أوصاف التعظيم وأن الذي يرى مخلوقاً فيدهش في رؤيته . ويتحير فيما يأخذ عنه من مشاهدته . وهو مخلوق مثله ذو نقص فحقيق به أن يتحير لو حصلت له ذرة من كمال المعرفة . ولقد قال يحيى بن معاذ الرازي ولو دارت ألسنة العارفين مع الناس كما تدور قلوبهم مع الله لقال الناس إنهم مجانين وعلامة صحة هذه الحالة أن لا يقع في أحكام الشريعة تقصير فإن من لم تحفظ عليه أوقاته في أداء ما كلف وإن كان مغلوباً فلنقص في حاله .

وقيل للشبلي ما علامة صحة ذلك في حالك هذه فقال أن لا يجري عليَّ في أوقات الغلبة ما يخالف الصحو ـ قول آخر في معنى إسمه تعالى الله ومن الناس من قال إن معنى الإله أنه المعهود ومنهم من عبر عنه فقال هو المستحق للعبادة ومنهم من قال الذي لا تجب العبادة إلا له قالوا والدليل على أنه من التأله الذي هو التعبد قول الشاعر :

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألّه

أي نعبد . قالوا ولأن العرب سمت الأصنام آلهة لما عبدوها . وهذا أيضاً لا يصح من وجوه : منها أنه لم يزل إلهاً ولا يقال كان في الأزل معبوداً لأن المعبود من له عابد وله عبادة وتقدير ذلك في الأزل محال ولأن العبادة إنما تجب بأمر الله تعالى . ولو قدرنا أنه لو لم يأمر أحداً بعبادة لكان ذلك سائغاً في وصفه ولو كان كذلك لم يكن إلهاًعلى قضيتهم ولأنه لو كان معنى الإله أنه المعبود لكان

العابد بعبادته جعله إلهاً وهذا محال ولأنه إله من لا تصح منه العبادة كـالجمادات والأعراض وغير ذلك وهذا ظاهر . وأما التأله فهو مشتق من الإلـه والإله مشتق من التأله . فالتأله هو التقـرب إلى الإله . عـلى أن هذا المعنى صحيـح في وصفه تعـالى لا على سبيـل التحديـد للإلـه . فمن علم أنه المعبـود سبحانـه دون غيره أخلص في حـالته . وصـدق في طاعتـه . وصفي عن الريـاء أعمالـه وزكى عن الإعجاب أحواله قال تعالى : ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ وقد حكي عن يحيى بن معـاذ رحمه الله تعـالى أنه قـال : لو دخـل عليـك صبي لتغيـرت لأجله وغيـرت ظاهرك من قبله . إن أمر الرياء لدقيق . وحكي عن بعض المشايخ أنه قال : لو أمر بمراء إلى الجنة لإلتفت هل يراه أحد ـ وأمـا الإعجاب الـذي هو رؤيـة المقام واستكبار القدر والجاه واستكثار الـطاعة والفعـل فإنـه سبب الحجاب ولهـذا قال الشيـوخ من أعجب بنفسه حجب عن ربـه ولو لم يكن لتـرك الإعجاب مـوجب سوى قصة إبليس حيث قال : أنا خـير منه ، وقصـة قارون في كثـرة المال حيث خرج على قومه في زينته . وقصة فرعون حيث قـال أليس لي ملك مصر لكان في ذلـك كفايـة في الزجـر والمنع وفي بعض الكتب أن السمكـة التي عليهـا الكـون أعجبت لما أطاقت حمل الأرضين بثقلها فقيض الله تعالى لها بعوضـة حتى لسعت أنفها فأصابها وجع شديد فسكنت والبعوضـة بين عينيهـا لا تجسر أن تتحرك من خوفها[1] .

فصل : فإن قيل فما الذي يصح في معنى هذا الإسم إذا لم يصح ما ذكرتم من اقاويل قلت قد اختلفت أقاويل أهل الحق في ذلـك والشمل متقـارب يرجـع إلى معنى واحـد فمنهم من قال : الإلـه من له الألـوهية والألـوهيـة القـدرة عـلى

---

(١) لم يكن العلم تقـدم وعـلى مبلغ علمهم آن السمكـة تحمـل الأرضـين ولـو أنهم تـأملوا في القـرآن وتحققوا من عبارته وعلمه لعلموا أن الأرض وجميع الكواكب لا تحمل عـلى شيء إنما تحمـل بقدرة الله تعـالى قال تعـالى ﴿ يمسك السـماء أن تقع عـلى الأرض ﴾ وقـال ﴿ رفـع السماء بغـير عمـد ترونها ﴾ وقد فتح الله عليهم في أشياء وغاب عنهم الكثير . واتخذوا من السمكة والبعوضة عـظة أن البعوضة على صغرها تخيف السمكة على عظمهـا . فلا يصـح أن يغتر أحـد بما أوتي والمعـول على العظة لا على غيرها من حال الأرض والسماء وكل عظات الكتاب وأمثاله تحمل على مثل

الإختراع ومنهم من قال : هو المستحق لأوصاف العلو والرفعة ومنهم من قال هو من له الخلق والأمر ، وذلك لأنا وجدنا أهل اللغة أطلقواهذه اللفظة على من اعتقدوا فيه معنى إستحقاق التعظيم فعلمنا بإطلاقهم أنها لفظة موضوعة لمن يستحق ما لأجله يصح أن يعظم فكانوا مصيبين في التسمية مخطئين في التعيين وأمثال هذا كثير كإطلاقهم لفظ الحسن والقبح على شيء معلوم في الجملة ثم أخطأوا في الحكم لبعض الأشياء بأنها حسنة وأنها قبيحة على التعيين ولهذا نظائر كثيرة فمن عرف علوه سبحانه وقدره وتحقق رفعته ومجده فأمارة صحته سقوط قدر الأغيار من قلبه . كما قيل إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين وقيل المعرفة حقر الأقدار سوى قدره ومحو الإذكار سوى ذكره . وصفة من كان بهذا الوصف أن لا تأخذه في الله لومة لائم فيكون بحق الله قائماً وبالحق ناطقاً وفي دين الله قوياً وعن الأغيار بتعظيم السر بريا فإن أفضل الأعمال كلمة حق عند من يخاف ويرجى . وقد حكي أن فيما مضى من الزمان كانوا يعبدون شجرة فخرج رجل من المسلمين من بيته وركب حماراً له وأخذ فأساً بيده وقصد إلى قطع تلك الشجرة غيرة في الدين وحمية . فتمثل له إبليس في صورة رجل فقال له : إلى أين تريد يا عبد الله فقال : أقلع تلك الشجرة التي تعبد من دون الله غيرة مني في الدين فقال له لا تفعل بل إنصرف وأنا أضع تحت وسادتك كل ليلة درهمين فطمع الرجل فيه وانصرف فأصبح ولم يجد شيئاً فلبث اليوم الثاني والثالث فلم يجد شيئاً ثم بعد أيام خرج مغضباً وقد أراد حرده فاستقبله إبليس فقال له : إلى أين تريد فقال الشجرة فقال له إبليس : إنك لو درت حولها لوقصت[1] عنقك إنك لما فات من حظك حردت والمرة الأولى ما كان يقاومك أحد فانصرف راشداً . ثم إن من كان بوصفه التعظيم لربه أورثته تلك الحالة شفقة على خلقه فيتحمل الأذى بطيب نفس من الكل ولهذا قال سهل رحمه الله تعالى الصوفي : من كان دمه هدراً وملكه مباحاً والخلق في الدنيا جيرانك في

---

(١) وقص عنقه كوعد كسرها فوقصت لازم ومتعداه قاموس

السجن بل رفقاؤك في السفر فأحسنهم خلقاً أشرفهم قدْراً . وقد حكي عن مالك بن دينار أنه استأجر داراً من يهودي فحوّل اليهودي مستحمة في الدار التي كان فيها إلى بيت كان على البيت الذي فيه مالك . وإذا الجدار مهدم تدخل النجاسة إلى بيت مالك في محرابه يقصد بذلك أذاه ومالك ينظف البيت كل ليلة ويكنسه ولم يقل شيئاً حتى أتى على ذلك مدة فعرف صبره فدخل عليه فقال : ما الذي صبرك على مقاساة هذه المشقة دون أن تخبرني بذلك فقال : قول نبينا صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه قال فأسلم اليهودي وحسن إسلامه .

فصل آخر في معنى الله : واختلف الناس من وجه آخر في أصل هذه الكلمة أي شيء كان ؟ فذهب الكوفيون إلى أنه كان في الأصل لاه ثم أدخل فيه الألف واللام فصار الله .

وقال البصريون : كان في الأصل إلاه ثم دخل عليه الألف واللام فصار الإله فاجتمع فيه همزتان وبينهما حرف ساكن والساكن لا يحجز حجزاً حصيناً فصار كأنه اجتمع همزتان ومن شأن العرب إذا اجتمع همزتان حذفت إحداهما ولم يجز حذف الأولى لأنها مجتلبة لسكون اللام فحذفت الثانية فاجتمعت لأمان فأدغمت إحداهما فصار الله . وليس هذا موضع البسط فيه فاقتصرنا على اليسير منه . فأما أقاويل شيوخ الصوفية في معنى هذا الإسم فكثيرة وأكثرها يحتاج إلى تفسير وبيان لكونه بوصف الزمن ونحن نذكر منه طرفاً على وجه الإيضاح . فمن ذلك ما حكي عن الشبلي أنه قال : ما قال أحد الله سوى الله فإن من قاله قاله بحظ وأنى تدرك الحقائق بالحظوظ ؟ والأشكال في هذه الحكاية فمن قوله قال أحد الله سوى الله . وتفسير ذلك ما قاله مقترناً به : ان كل من قاله قاله لحظ فعلم أنه أراد به أن ذكر الخلق لله لا يشبه ذكر الله لله . والشيء الذي يقل قدره يعد لا شيئاً بالإضافة إلى ما له قدر . وقال أبو سعيد الخراز ومنهم من جاوز حد نسيان حظوظ نفسه ووقع في نسيان حظه من الله ونسيان حاجته إلى الله فلو تكلمت جوارحه وأعضاؤه ومفاصله لقالت الله الله . وفي هذا المعنى كان الشيخ

أبو علي يحكي أن رجلاً كان يقول الله الله دائماً فأصاب حجر رأسه وشجه فوقع دمه على الأرض فاكتتب الدم على الأرض الله الله . وحكي أن أبا الحسين النوري بقي في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم ويقول الله الله فأخبر الجنيد بذلك فقال : أنظروا محفوظ عليه أوقاته أم لا فقيل إنه يصلي الفرائض فقال الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً . ثم قال : قوموا حتى نزوره فإما أن نستفيد منه وأما أن نفيده . فدخل عليه الجنيد فقال يا أبا الحسن ما الذي دهاك فقال : أقول الله الله زيدوا عليَّ فقال له الجنيد : أنظر هل قولك الله بالله أم قولك بنفسك فأن كنت القائل الله بالله فلست القائل له . وإن كنت تقول بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله . فقال نعم المؤدِّب أنت وسكن وله ، وقال بعضهم إن الألف في هذا الإسم إشارة إلى الوحدانية . واللام إشارة إلى محو الإشارة . واللام الثانية إشارة إلى محو المحو في تكشف الهاء . وحكي أن الشبلي قال في مجلس الجنيد في وله الله الله فقال له الجنيد يا أبا بكر الغيبة حرام قيل معناه إن كنت غائباً فذكر الغائب غيبة وإن كنت حاضراً فهو ترك الحرمة . وحكي عن أبي سعيد الخراز أنه قال رأيت بعضهم فقلت ما غاية هذا الأمر قال الله قلت ما معنى قولك الله قال نقول اللهم ودلني بك عليك وثبتني عند وجودك ولا تجعلني ممن يرضى بجميع ما هو دونك عوضاً منك وأقر فؤادي عن لقائك .

* * *

باب

في معنى « لا إله إلا الله » وما يتعلق به

إعلم أن هذا القول وإن كان إبتداؤه النفي فالمراد به غاية الإثبات ونهاية التحقيق فإن قول القائل لا أخ لي سواك ولا معين لي غيرك آكد من قوله أنت أخي وأنت معيني وقد روي في الخبر أن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال لا إله إلا الله مخصاً من قلبه دخل الجنة » وروي في الخبر « مفتاح الجنة لا إله إلا الله » وإنما يكون العبد قائلاً في الحقيقة لا إله إلا الله إذا كان قائلاً بقلبه لأن الكلام المخلوق محله القلب وذلك معلوم من مذهب أهل الحق . وكذلك من طريقة أهل الله قال الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وإنما يكون قائلاً لا إله إلا الله بقلبه إذا كان عارفاً بربه . وكل الناس يحملون قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا إله إلا الله » مخلصاً على أنه أراد أنه إذا مات على الإخلاص . وأهل الإشارة قالوا إذا كان مخلصاً في مقالته . كان داخلاً في الجنة في حالته . قال الله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قيل جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات . ولذاذة المناجاة والإستئناس بفنون المكاشفات وجنة مؤجلة هي فنون المثوبات وعلو الدرجات .

ولقد أحسن من قال : لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا راحة للمؤمن دون لقاء الله » وأن العارف لا جلوة له إلا في خلوته ولا راحة له إلا في مناجاته على بساط قربته . قال قائلهم :

إذا تمنى النـاس روحـاً وراحـة   تمنيت أن ألقـاك ياعـز خـاليـاً

وأما أقاويل المشايخ في هذه الكلمة فقد قـال بعضهم إنه نفي مـا يستحيل كونه وإثبات ما يستحيل فقده . ومعنى هذا أن يكون الشريك له سبحانه محالاً وتقدير العدم لوجوده مستحيلاً .وقال بعض المشايخ مجيباً لمن قـال له لم تقـول : الله الله ولا تقـول : لا إلـه إلا الله فقـال : نفي العيب حيث يستحيـل العيب عيب . وكان الدقاق رحمه الله تعـالى يقول : إنمـا قول لا إلـه إلا الله لاستصفاء الأسرار عن الكدورات لأنه إذا قال العبـد لا إله إلا الله صفـا قلبه وحضر سـره ليكون ورود قوله الله على قلب منقى وسر مصفى . وقال رجل للشبلي : يا أبـا بكـر لم تقول الله الله ولا تقـول : لا إله إلا الله فقـال : لا أنفي له ضـداً فصاح وقـال : أريد أعـلى من ذلك فقـال : أخشى أن أوخـذ في وحشـة الجحـد فقـال الرجل أريد أعلى من ذلك فقال : قال الله تعالى ﴿ **قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾ فزعق الرجل وخـرجت روحه . فتعلق أوليـاء الرجـل بالشبـلي وادعوا عليه دمه وحملوه إلى الخليفة فخرجت الرسالة إلى الشبلي من عند الخليفة فسـألوه عن دعـواهم فقال الشبـلي : روح صفت فرنت فـدعيت فأجـابت فـما ذنبي ؟ . فصـاح الخليفة من وراء الحجاب : خلوه فلا ذنب له .

وقيل فمعنى قوله لا إله إلا الله مفتاح الجنة أن العبـد إذا كان مـطيعاً كـان داره في الجنـة أشد عمـارة وأكثر زينـة . وإذا عصي كان لا يعمـر داره ولا يزول ملكه ولا يسلب مفتاح الـدار ممن لا يعمرهـا . فكذلـك ما دام العبـد مخلصاً في قول لا إله إلا الله كان من أهل الجنة .

* * *

باب

في معنى « هو »

إعلم أن هو إسم موضوع للإشارة وهو عند الصوفية إخبار عند نهاية التحقيق وهو يحتاج عند أهل الظاهر إلى صلة تعينه ليكون الكلام مفيداً لأنك إذا قلت هو ثم سكت فلا يكون الكلام مفيداً حتى تقول هو قائم أو قاعد أو هي حي أو ميت وما أشبه ذلك .

فأما عند القوم فإذا قلت هو فلا يسبق قلوبهم غير ذكر الحق فيكتفون عن كل بيان يتلوه لإستهلاكهم في حقائق القرب بإستيلاء ذكر الله على أسرارهم وإنمحائهم عن شواهدهم فضلاً عن إحساسهم بمن سواه وكان الإمام أبو بكر بن

هو : إسم من أسماء الله له هيبة وجلال عند أرباب الطريق والمكاشفات وأهل المشاهدة ومخرجه من باطن القلب وله حرارة تزكي الجسد والروح ومعناه حاضر لا يغيب لا يشتمل عليه زمان ولا يحويه مكان منزه عن مشابهة الحوادث قريب من عبده في أي زمان ومكان . الإله هو ولا إله إلا هو وهو مصدر الإفتتاح والإيجاد والباء هو الله أحد . هوالأول والآخر . والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم . هو الحق . هو مصدر الجلال والجمال لأهل شهود النور الذاتي والمعنوي فلم يحتاجوا إلى غيره ولا إلى الأسباب والنتائج وهو مصدر الإكرام والأنعام لأهل شهود القيام في الكائنات بما احتاجوا إليه لظهورهم في العوالم الحسية . هو هو ولا مشهود غيره هو المحبوب الذي يستغنى بحبه ومعرفته عن كل ما سواه . هو نهاية النهايات ولا نهاية لكماله . وكل العوالم والكائنات والمعاني والدلالات تشير إليه « هو الله الذي لا إله إلاهوعالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو هو نهاية أملي وشاغل عقلي وربي هو الذي أحياني وأقامني ولولاه ما سرى فيّ الحس والإدراك . فلم لا أرجع المملوك إلى مالكه إختياراً وحباً فأزداد وجوداً وحياة وقرباً من ذي البقاء والقدم فلا أرد إلى أسفل سافلين بظلمةالنظر إلى أهل الفناء والعدم . « فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين . رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين » سبحانك تخرج الحي من الميت . وتخرج الميت من الحي حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم . فهو اسم الاشارة لذات واجب الوجود . لمراقبة حضوره وخوف عقابه . وهو الضمير الدال على اسم الله تبارك إسم ربك ذي الجلال والإكرام .

فورك رضي الله عنه يقول هو حرفان هاء وواو . فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهو آخر المخارج والواو تخرج من الفه وهو أول المخارج فكأنه يشير إلى إبتداء كل حادث منه وإنتهاء كل حادث إليه وليس له إبتداء ولا إنتهاء . وهو معنى قوله سبحانه . « هو الأول والآخر » فقوله : هو الأول . إخبار عن قدمه وقوله : الآخر إخبار عن إستحالة عدمه . وهو الأول بإحسانه إليك بدياً والآخر بإتاحته لك وإدامته عليك لطفاً أبدياً فكل خير لك به نظامه وعليه تمامه قال الله سبحانه ﴿ **تماماً على الذي أحسن** ﴾ ، وقد حكي عن بعضهم أنه قال رأيت بعض الوالهين فقلت ما اسمك فقال هو قلت من أنت فقال هو قلت من أين جئت فقال هو قلت من تعني بقولك هو فقال هو فما سألته عن شيء إلا قال هو فقلت لعلك تريد الله قال فصاح وخرجت روحه . وقال أهل الإشارة إن الله تعالى كاشف الأسرار بقوله هو وكاشف القلوب بما عداه من الأسماء وقيل كاشف المحبين بقوله هو وكاشف المتيمين بقوله الله وكاشف العلماء بقوله أحد وكاشف العقلاء بقوله الصمد وكاشف العوام بقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفراً أحد . وقيل كاشف الخواص بالاهيته وكاشف خاصة الخاصة بهويته وكاشف العوام بأفعاله الحاصلة بقدرته .

* * *

باب

في معنى أسمه « الملك »

إعلم أن الله سبحانه وتعالى يوصف بأنه الملك قال الله تعالى﴿ فتعالى الله الملك الحق﴾ ويوصف بأنه المالك قال الله تعالى : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ ويوصف بأنه مالك الملك . قال الله تعالى ﴿ **قل اللهم مالك الملك** ﴾ ويوصف بأنه المليك . قال الله تعالى ﴿ **عند مليك مقتدر** ﴾ فالمالك مشتق من الملك . والملك مشتق من الملك . والمليك مبالغة من المالك كالعليم مبالغة من العالم والملك مبالغة من الممالك وأصل الملك في اللغة الشد والربط . ومنه قولهم ملكت العجين إذا بالغت في عجنه . ووجه ثان أنه مشتق من القدرة قال الشاعر :

ملكت بها كفي فأنهزت فعنقها   يرى قائم من دونها ما وراءها

ويقال ملكت كفي بالطعن إذا بالغ فيه ويقال لعقد المصاهرة الإملاك لأنه إرتبط بعقد التزويج وصلة ما بين الزوجين ، وأما حقيقة المالك عند أهل التحقيق فهو القدرة على الإبداع والإنشاء . وعلى هذا فلا مالك على الحقيقة إلا الله ، والعبد إذا وصف بالملك فلفظ الملك في وصفه مجاز ، وإن كان أحكام الملك في مسائل الشرع تكون عى الحقيقة فإن كون اللفظ في الشيء توسعاً ومجازاً لا يمنع أن تكون أحكام ذلك المسمى في الشريعة على الحقيقة . كلفظ الإستنجاء في الإستنظاف توسع . ثم لا يمنع أن تكون أحكام الإستنجاء في الشريعة على الحقيقة .

الملك : الذي أوجد كل شيء وله التصرف المطلق في كل شيء ولا يحتاج إلى غيره مع إحتياج جميع المخلوقات إليه وذكره يورث الإتكال عليه والغنى وعدم الإحتياج إلى غيره .

وقول المخالفين في حد الملك أنه القدرة على الإطلاق لا يصح لأنه يجب على قضيتهم أن يكون الغاصب مالكاً للمغصوب لكونه قادراً على النصب وهذا محال وقول من قال حقيقة الملك جواز التصرف في الشيء على الإطلاق إحترازاً من الولي والوصي والوكيل لأنهم لا يتصرفون على الإطلاق بل يتصرفون بالإذن لا يصح لأن الصبي مالك على الحقيقة والمجنون والمحجور عليه مالكان على الحقيقة ولا يصح منهم التصرف فبطل ما قالوه هذا طرف من الكلام في معنى الملك والمالك مما يتعلق باللغة ومسائل الأصول فأما ما يتعلق من الكلام فيه بطرائق التذكير فعلى أقسام منها أن يقال أن العبد إذا تحقق أن الملك لله تعالى تنكب عن وصف الإدعاء وتبرأ من الحول والقوة في تسليم الأمر لمالكه . ولم يعول على اختياره ولم يفزع إلى إحتياله عند طلب الخلاص من مهالكه . فلا يقول بي ولا يقول لي ولا يقول مني . ولهذا قال المشايخ : التوحيد إسقاط الياءات يريدون الإضافة إلى نفسه وقيل لبعض المشايخ ألك رب فقال أنا عبده وليس لي ملك فمن أنا حتى أقول لي .

فصل : ومن تحقق بملك سيده عاد جمال ذلك لنفسه بل شهد بذلك استغلال نفسه وفي معناه قيل :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

وحكي عن شقيق البلخي أنه قال : كان ابتداء توبتي أني رأيت غلاماً في سنة قحط يمزح زهواً والناس تعلوهم الكآبة لمقاساة الجدوبة فقلت له يا هذا ما هذا المرح أما ترى ما فيه الناس من المحن ؟ فقال ما يحق لي حزن ولسيدي قرية مملوكة يدخر منها ما أحتاج إليه فقلت في نفسي إن هذا العبد لمخلوق ولا يستوحش لأن لسيده قرية مملوكة فكيف يصح أن أستوحش وسيدي مالك الملوك فانتبهت وتبت .

فصل : وإذا ثبت أنه مالك مملك كما قال عز من قائل : ﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء** ﴾ يملك من عباده من

سبقت له عنايته وحقت له في عموم الأحوال رعايته فيملكه هواه ويعتقه من أسر نفسه ومناه . ويحـرر عن رق البشريـة ويخلصه من رعـونة الإنسـانية ـ وفي معنـاه قيل : من ملك النفس فحر ما هو . والعبـد من يملكه هـواه . وحكي أن بعض الأمـراء قال لبعض الصـالحين سلني حـاجتـك قـال أولى تقـول ولي عبـدان همـا سيـداك قـال ومن همـا قـال : الحـرص والأمـل فقـد غلبتهـما وغلبـاك وملكتهـما وملكاك . وقال بعض أهـل الإشارة في معنى قـوله تعـالى : ﴿ رب قد آتيتني من الملك ﴾ أنه أراد بهذا الملك علو النفس حيث امتنـع من مراودة امـرأة العزيـز . وقد حكي عن بعضهم أنه قال كنت أمر بعسفـان فوقـع بصري عـلى إمرأة جميلة فمال إليها قلبي فاستعنت بالله واتقيت ومررت فلما نمت تلك الليلة رأيت يوسف عليـه السلام في المنـام فقلت : أنت يوسف فقـال : نعم فقلت الحمد لله الـذي عصمك من إمرأة العزيز فقال لي والحمد لله الذي عصمك من العسفانية .

فصل : ومن عرف أنه التوحد بالملك أنف أن تتـذلل لمخلوق لأن المعـرفة بمـالكه تـوجب التجرد لـه في التقـرب إليـه وقصـده . وفي معنـاه مـا حكي عن الساجي في فصل ما يقول أيجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد . وقال بعضهم : من عرف الله لم يحتمل غنـج[1] المخلوقين ولا فتنهم . وحكي عن بشر الحافي أنه قال رأيت أمير المؤمنين علي ابن أبي طـالب رضي الله عنه في النوم فقلت له عظني يا أمير المؤمنين فقال لي : مـا أحسن عطف الأغنيـاء عـلى الفقراء طلبـاً للثواب وأحسن من ذلـك تيه الفقـراء على الأغنيـاء ثقة بـالله فقلت : زدني يا أمير المؤمنين فقال :

قـد كنت ميتـاً فصـرت حيـاً   وعـن قـريب تـصـير ميتـاً
عـز بـدار الـفنـاء بـيت   فـابـن بـدار البقـاء بيتـا

فصل : ومن آداب من عرف أن الملك لله أن يثق بما يرجوه من الله ويأمله

---

(١) بضم الغين وسكون النون والمعنى لم يأنس لخلاعة المخلوقين واستغنى عنهم فلم يفتن بهم ولم يحتج إليهم في شيء وأنه مستغني بمالك الملك .

في جميع ما ينفق فيه ويفعله ويذره ويستعمله ويكون بما بيد الله أوثق مما في يده . قال سهل ابن عبد الله من لم يدبر فمولاه يدبره وكان الدقاق رحمه الله يقول : من آمن بالخلف لم يحتشم من القلف . وحكي عن بعضهم أنه قيل لبعض الفقراء حين دخل عليه ولم يجد شيئاً من المتاع في داره ليس لكم شيء فقال بلى لنا داران إحداهما دار أمن والأخرى دار خوف فما يكون لنامن الأموال ندخره في دار الأمن يعني بذلك إنفاقه في سبيل الله وقيل في بعض الكتب بشر من ادخر ماله بحادث أو وارث . وحكي عن بعض أهل المعرفة أنه قال كنت أسير في البادية مع القافلة فتقدمت الرفقة يوماً فرأيت إمرأة تمشي بين يدي القافلة فقلت : إنها ضعيفة فسبقت القافلة لئلا تنقطع وكان معي دريهمات فأخرجتها من جيبي وقلت لها خذيها فإذا نزلت القافلة فاطلبيني لأجمع لك شيئاً لتكتري مركوباً يحملك قال : فمدت يدها وقبضت شيئاً من الهواء وإذا في يدها دراهم فناولتني وقالت أخذت من الجيب وأخذنا من الغيب .

وقال بعضهم من إمارات التوحيد والثقة بالمعبود كثرة العيال على بساط التوكل ومن آداب من كان واثقاً بالله تعالى أن لا يحتشم من الإنفاق والبذل في سبيل الله تحققاً بأن الخلف منه تعالى معجل وجميل العقبى مؤجل . وحكي عن حاتم الأصم أنه كان صائماً يوماً فلما أمسى قدم إليه فطوره فجاء سائل فدفع ذلك إليه فحمل إليه في الوقت طبق عليه من كل لون من الأطعمة والحلاوة فأتاه سائل آخر فدفعه إليه ففتح له بصرة فيها دنانير في الوقت فلم يتمالك أن صاح : الغوث من الخلف . الغوث من الخلف وكان في جيرانه من يسمى خلفاً فتسارع الناس إليه وقالوا : لم تؤذي الشيخ حتى يصيح منك وحملوه إليه فقال : إني لم أعنيه وإنما عجزت عن شكر الله تعالى على ما يعجل لي من الخلف وذكر القصة .

* * *

باب

في معنى اسمه « القدوس »

القدوس على وزن فعول وهو من القدس والقدس الطهارة والتقديس التطهير والأرض المقدسة المطهرة . ومعناه في وصفه تعالى يعود إلى إستحالة النقائص في وصفه . وتنزههمن الآفات وذلك باستكماله نعوت الجلال فمن تحقق معنى ذلك في وصفه علم أنه عزيز لا يرتقي إلى تصويره وهم . ولا يطمع في جواز تقديره فهم فلا تنبسط في ملكه بغير تقديره يد حدثان . ولا يقف مضي أحكامه على نصرة أعوان تاهت العقول في قفار الحيرة عن الإحاطة بصمديته . كيف لا وهو مستحق لنعت سرمديته متوحد بتقدم أزليته . وكلت الأبصار عند رؤيته عن إدراك حقيقته . ولم لا والجبروت حقه بإستحقاق الملكوت عينه وذاته .

ومن آداب من عرف هذا الإسم أن يطهر نفسه عن متابعة الشهوات وماله عن الحرام والشبهات . ووقته عن دنس المخالفات . وقلبه عن كدورة الغفلات . وروحه عن المضاجعات والمساكنات ، وسره عن الملاحظات والإلتفاتات . فلا يتذلل لمخلوق بالنفس التي بها عبده ولا يعظم مخلوقاً بالقلب الذي به شهده ، ولا يبالي بما فقده بعد ما وجده ولا يرجع قبل الوصول إليه بعد ما قصده فهو عن الأعراض والأدناس متعاون وبما يفوته من الأغراض وصحبة الأجناس متهاون . به يقول إذا قال . وبه يصول إذا صال . دلت نجوم عقله على ثبوت وجوده . وأضاءت أقمارعلومه بتحقق نعت شهوده . وطلعت شموس معارفه فأذنت بغنائه وخموده . تفرد عند أفعاله عن دعواه وتجرد في عموم أحواله

القدوس : المنزه عن صفات النقص والحدوث لا يدركه حس ولا يسبق إليه وهم أو يحيط به عقل ، وذكره يورث صفاء الباطن .

عن متابعة هواه . وآثر في جميع أوقاته متابعة رضاه .

فصل : ومن آداب من عرف أنه القدوس أن تسمو همته إلى أن يطهره الحق سبحانه من عيوبه وآفاته ويقدسه عن دنس عاهاته في جميع حالاته . فيحتال في تصفية قلبه عن كدوراته . ويرجع إلى الله تعالى بحسن الإستجابة في جميع أوقاته فإن من طهر لله لسانه عن الغيبة طهر الله قلبه عن الغيبة . ومن طهر لله طرفه عن النظر بالريبة. طهر الله سره عن الحجبة حكي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أنه مر بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد تقايأ فنظر إليه وقال : بأي شيء أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله بهذا الغم فغسل فمه فلما أن أفاق السكران أخبر بما فعله إبراهيم بن أدهم فخجل الرجل وتاب وحسنت توبته فرأى إبراهيم بن أدهم فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول : غسلت فمه لأجلنا فلا جرم طهرنا لأجلك قلبه . وفي الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم نظفوا أفواهكم فإنها مجاري القرآن وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال بني الإسلام على النظافة .

فصل : واعلم أن الحق سبحانه يطهر نفوس العابدين بحسن تأييده عن دنس المخالفات وإتباع الهوى ويطهر قلوب الزاهدين بيمن التسديد عن الرغبة في الدنيا واستشعار المنا . ويطهر أسرار العارفين بنور توحيده عما سوى المولى . فالعابدون متصفون بطاعة الله مقبلون على عبادة الله محترقون باستشعار الخلوص في تقوى الله والزاهدون مقيمون على الإكتفاء بوعد الله معرضون عما يوجب التهمة في ضمان الله ، والعارفون إن قاموا قاموا بالله وإن نطقوا نطقوا بالله وإن سكتوا سكتوا بالله فكيفما دارت أوقاتهم وتصرفت أحوالهم فالغالب على قلوبهم ذكر الله لاح لأسرارهم منه علم فطاح[1] عن إحساسهم كل وصم[2] أذاقنا الله مما أذاقهم شمة ، وإنه ولي كل نعمة .

* * *

---

(١) ذهب .

(٢) مرض .

باب

في معنى إسمه « السلام »

السلام إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن الكريم واختلفوا في معناه فمنهم من قال إن معناه ذو السلام والسلام بمعنى السلامة كاللذاذ بمعنى اللذاذة والرضاع بمعنى الرضاعة ومعناه يعود إلى تنزه الرب سبحانه عن الآفات وتقدسه عن سمات المخلوقات وهو بمعنى القدوس ، وقيل معناه ذو السلامة أي منه السلامة لعباده . ولهذا قيل إن معنى السلام أنه سلم المؤمنين من عذابه . وقيل إنه السلام أي ذو السلام على أوليائه : قال الله تعالى ﴿ **قل الحمد لله وسلام علي عباده الذين اصطفى** ﴾ وإذا قلنا إنه ذو السلام أي ذو السلامة من الآفات كان من صفات ذاته . وإذا قلنا إن المؤمنين يسلمون من عذابه كان من صفات فعله .

ومن آداب من عرف أنه السلام أن يسلم منه المؤمنون كما ورد في الخبر عن سيد البشر صلوات الله عليه أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وقيل لبعضهم : من البر؟ قال : الذي لا يضمرالشر . ولا يؤذي الذر . وحكي عن بعضهم أنه رأى إنساناً يغتاب رجلاً فقال : هل غزوت العام الروم فقال : لا فقال : وهل غزوت الترك والهند قال لا قال : وكيف تسلم منك الكفار ولم يسلم منك أخوك المسلم . وقيل إن أبا يزيد البسطامي حضر الجامع يوماً فوقف بجنب شيخ ركز عصا له في الأرض فركز أبو يزيد عصاه . فوقعت على عصا الرجل وأسقطت عصاه فلما انصرف أبو يزيد من الجامع مضى إلى دار الرجل وقال : إنك احتجت أن تنحني إلى الأرض لتأخذ عصاك فتعنيت من أجلي

السلام : الذي سلم من كل عيب وبرىء من كل آفة ويعطي السلام والأمان لمن التجأ إليه : وذكره يورث الأمان والعافية .

فاجعلني في حل . وقيل إن عثمان بن عفان رضي الله عنه عرك[1] أذن غلام له لترك أدب حصل منه فقال الغلام آه قد أوجعتني يا مولاي فقال عثمان خذ أذني واعركها فأبى الغلام فألح عليه وقال : لأن تقتص مني في الدنيا أحب إلى أن تقتص مني في الآخرة فعرك الغلام أذنه فقال عثمان زد فقال الغلام : يا أمير المؤمنين إن كنت تخاف من القصاص يوم القيامة فأنا أخافه أيضاً . وحسبك في هذا الباب ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه اقتص من نفسه » . وسئل بعضهم عن الورع فقال : هو أن تطالب نفسك بما يطالب به الشريك الشحيح شريكه فيناقشه في النقير والقطمير .

فصل : ومن آداب من تحقق بهذا الإسم أن يعود إلى مولاه بقلب سليم والقلب السليم هو الخالص من الغل والغش والحسد والحقد ولا يضمر للمسلمين إلا كل خير وخلوص وكل صدق ونصح ويحسن الظن بكافتهم ويسيء الظن بنفسه . فيلاحظ أحواله بعين الإزدرا . وأقواله بعين الإفترا : يعتقد أنه شر الخلق . كما قيل إنه إذا رأى من هو أكبر منه سناً قال هذا خير مني لأنه أكثر مني طاعة وعرف الله قبلي وإن رأى من هو دونه في السن قال : هو خير مني لأنه أقل مني معصية . وقد قال بعض المشايخ : إذا ظهر لك من أخيك عيب فاطلب له سبعين باباً من العذر . فإن اتضح لك عذر . وإلا فعد على نفسك باللوم وقل : بئس الرجل أنت حيث لم تقبل سبعين عذراً من أخيك ، وحكي عن معروف الكرخي أنه مر بإنسان يتصدق بماء وهو يقول : رحم الله من يشرب فأخذ معروف ذلك الماء وشرب . فقيل له : أليس كنت صائماً قال : بلى . كنت نويت أن أصوم ولكن قلت : دعوة مسلم لعلها تستجاب ومن امارات من يكون سليم القلب أن ينصح المسلمين ولا ينطوي لهم على سوء وحيلة تخفى ويدعو لهم بظهر الغيب ويحسن إليهم ويظلم نفسه وينتصف لهم ولا ينتصف منهم . وحكي أن بهلولاً كان الصبيان يؤذونه ويرمونه بالحجارة وهو

---

(١) عرك الشيء دلكه وبابه نصر .

يقول : إن كان ولا بد فارموني بالصغار من الأحجار لئلا أحتاج إلى غسل الدم فقيل له في ذلك فأنشد :

حسبي الله وتكلاتي عليه	من نواصي الخلق طراً في يديه
رب راض لي بأحجار الأذى	لم أجد بداً من العطف عليه
فعسى يطلع الإله على فرح	القوم فيدنين إليه

وقد قال بعض المشايخ : كن في التصوف ذنباً ولا تكن رأساً . فإن علل الرأس كثيرة معناه سلم للناس التقدم عليك يطب لك العيش فمن رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته . واعلم أن الناس يرضون منك باليسير ولهذا قالوا : كيلوا على الناس من هذه الرخيصة يعني ما استسر به أشكالك من تسليمك لهم تقدمهم عليك . وقد روي في الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم قالوا يا رسول الله ومن أبو ضمضم ؟ قال رجل كان إذا خرج من منزله قال : اللهم إني تصدقت بعرضي على عبادك . وسمعت منصوراً المغربي يقول كان شيخ من المشايخ بالشام أو بالمغرب له أصحاب فجاءه إنسان فقال إني أريد أن أخدم هؤلاء الفقراء فقال الشيخ ما اسمك فقال عيي وكان يخدمهم وكل من له شغل كان يستعمله فيه فجرى يوماً بين هذا الشيخ وبين شيخ آخر مسألة فتنازعا فيها فقال الشيخ للآخر تعالى نتحاكم إلى أحد فقال : إلى من تريد فقال إلى عيي - على جهة الإستخفاف به والثقة بأن الصواب فيما يقوله فتحاكما إليه فقال عيي . أي شيء قلتما فذكرا له ما قالا فقال أخطأتما جميعاً والصواب كيت وكيت . فقام الشيخ وقبل رأسه وقال أنت أحق بأن تكون أستاذاً وأكرموه فقام وفارقهم وقال : إنما طاب العيش معكم حيث كنت عيياً وكنت مستوراً فيكم .

* * *

باب

في معنى إسمه « المؤمن »

المؤمن إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن الكريم ـ ومعناه المصدق فإن حقيقة الإيمان في اللغة هو التصديق ومعناه في وصفه تعالى تصديقه لنفسه . وهو علمه سبحانه وتعالى ـ بأنه صادق ويكون تصديقه لعباده هو علمه بأنهم صادقون ويكون أيضاً بمعنى تصديقه بوعده ووعيده وهو أن يفعل ما وعد به وأوعد . فعلى هذا يكون من صفات فعله ويكون معنى المؤمن من الأمان الذي هو الإجارة يقال أمنه يؤمنه إذا أجاره وذلك إذا أعطى الأمان لمن إستعاذ به فيكون هذا من صفات فعله فالعبد يؤمن بالله سبحانه . والحق تعالى يؤمن العبد ومن آداب من تحقق بهذا الإسم أن يخلص فيما يثبت من هذه التسمية فيصدق في إيمانه . وصدقه في الإيمان تحققه بالدلائل والبرهان ، ثم ينظر فيما قال الناس في معنى هذه الصفة التي هي إيمان العبد فيأتي بجميع ما قيل في ماهية الإيمان من الاقرار المعرفة والخضوع وترك الإستكبار والمحبة وإجتناب الكبائر فإذا استوفى جميع ذلك من نفسه وقف عندالدعوى فإذا قيل له أمؤمن أنت يقول إن شاء الله فيكون قائماً بحق المعنى قاعداً عن وصف الدعوى . واعلم أن الموافقة في الأسماء لا تقتضي المشابهة في الذوات فيصح أن يكون الحق سبحانه مؤمناً والعبد يكون مؤمناً ولا يقتضي مشابهة العبد الرب ألا ترى أن الخلافين يشتركان في الإسم ولا يشتبهان في المعنى : ومما يتعلق بهذا الباب من طريق التذكير أن يقال : إن الملوك يأبون أن يجسر أحد من رعيتهم أن يتسمى باسم الملك والله سبحانه سمى نفسه

المؤمن : الذي لا إله بالتحقيق والثبوت غيره فمن آمن به أمن واستوفى عهده وأجره ومن لم يؤمن به لا ذمة له ولا عهد له وهو الذي ينصر رسله ومن دعا إلى الله وعمل صالحاً ويؤمن على دعائهم ودعوتهم ويثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وذكره يورث الإيمان وعدم الخوف مما سوى الله .

المؤمن وسمى العبد مؤمناً وسمى عباده المؤمنين وهـذا لطف منه سبحانـه بهم . وقيل ينادي غداً في القيامة منادٍ إن كل من هو سمي نبي من الأنبياء من المؤمنين فليدخل الجنـة فيبقى أقوام من المؤمنـين فيقال لهم من أنتم فيقـولون نحن من لم يـوافق إسمـه إسم نبي فيقـول الله تعـالى : أنـا المؤمن وأنـا سميتكم المؤمنـين فيدخلهم الجنة . ويحكى عن يحيى بن معاذ أنه قال في مناجاته إلهي سيقني مسلماً فتفاءلت به وقلت سلمت من عذابك وسميتني مؤمناً فتفاءلت به وقلت آمنت من عـذابك ورزقتني شيبـة وقلت الشيب نوري فتفـاءلت بـه وقلت لا تحـرق نـورك بنارك .

فصل : وإذا كان أحد معاني اسمه المؤمن أنه يؤمن عبـاده ويجيرهـم فـاعلم أن إجارته وأمانه للعبد على قسمين مؤجل ومعجـل فالمؤجـل في القيامـة في الجنة قال الله تعالى ﴿ **أولئك لهم الأمن** ﴾ والمعجل على أقسام لكل عبد على حسب ما يليق بوقته فمنهم من يؤمنـه من خواطـر الشيطان التي تقـدح في الإيمان بمـا يتيح لقلوبهم من واضـح البـرهـان . ويتيـح لأسـرارهـم من لائـح البيـان . حتى إذا عـارضهم بوارح الشكـوك وناظـرهم من هو في حكم المخـالف في عقد الفقـه غيروا في وجه الشبهـة وردوا بالحجـج على أصحـاب البدعـة . قال الله تعـالى : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فـإذا هم مبصرون** ﴾ . لا يتـداخلهم شك ولا يتخـالجهم ريب ولا تعرضهم مـريـة ولا تنـازعهم شبهـة الناس في أسر التهمة وكرب الغمة وإمتداد الظلمـة . وهـم في روح اليقين والنور المبين . وفي معناه أنشدوا :

ليلي من وجهك شمس الضحى   وإنمـا الـشـرقـة في الجـو
فـالناس في الـظلمـة من ليلهم   ونـحـن مـن وجهـك الضـو

وكان الدقاق رحمه الله تعالى كثيراً ما ينشد :

إن شمس النهـار تغـرب بـالليـل   وشـمس الـقـلوب ليس تغيب

وأنشد بعضهم :

هي الشمس إلا أن الشمس غيبة وهـذا الـذي نعنيـه ليس يغيب

ومما يؤمن أولياءه منه هواجس النفوس ودواعي الزلات . ونوازع المخالفات حتى لا تدعوه نفسه إلى إرتكاب محظور . ولا يكون له إلى إقتحام المخالفات ميل نفس ونوازع طبع . ويحكي عن أبي يزيد أنه قال :

كنت هممت أن أدعو الله سبحانه حتى يكفيني شهوات النساء . ثم قلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل عن ذلك فتركت هذا الدعاء . فمن بركات اتباع السنة كفاني الله تعالى شهوة النساء حتى لا أميز بين إمرأة تستقبلني وجدار . وحكي أن بعض الأكابر سئل كيف تصبر على العزوبة فقال قاسيت مشقة ذلك سنة ثم إن الله سبحانه سهل ذلك حتى لم تبق لي مطالبة .

فصل : ومما يؤمن أولياءه منه خوف الفقر ورغب لحوق الضر حتى يكون فارغ الكف طيب النفس ساكن السر يثق بموعود ربه كما يثق أرباب الغفلة بمعلوم النفس ومكاسبها . وسأل أبا يزيد رجل عن سبب معيشته . وكان قد صلى أبو يزيد خلفه فقال إصبر حتى أعيد الصلاة التي صليت خلفك حيث شككت في أرزاق المخلوقين . وقيل لبعضهم : من أين يأكل فلان ؟ فقال : من عرف خالقه لم يشك في رازقه وإن خوف الفقر قرينه الكفر وإن حسن الثقة بالرب نتيجة الإيمان .

يحكى عن أبي بكر الكتاني أنه قال منذ كذا سنة ما خطر ببالي ذكر الطعام حتى يقدم إليّ . وحكي عن بعضهم أنه قال : كنت أخدم الكتاني في المدينة وكان يصوم فكنت أقدم إليه كل ليلة ما يفطر إليه وأمضي فكنت أرى فيه أثر الضعف والنحول فراقبته ليلة فجاء إنسان ووقف عليه فسأله فأومأ إلى الطعام فحمله الرجل ومضى فقفوت أثر الرجل وقلت له أخبرني عن القصة فقال هذا الشيخ منذ ليال يعطيني كل ليلة رغيفين وكان ذلك ما أقدمه إليه فحملت إليه طعاماً آخر وقلت هلا قلت لي حتى أحمل إليك شيئاً آخر فقال : كنت أنسى كل ليلة أني لم آكل شيئاً .

* * *

باب

في معنى اسمه « المهيمن »

إعلم أن المهيمن اسم من أسمائه تعالى نزل به نص القرآن في قوله ﴿ المؤمن المهيمن ﴾ واختلفوا في معناه فقال بعضهم : إنه بمعنى الرقيب الحافظ وقيل هو الأمين . وقال الكسائي : هو : الشهيد وقال المبرد : أصله المؤيمن ثم قلبت الهمز هاء كما قالوا أرقت الماء وهرقه وإياك وهياك وأرجت وهرجت وبابه . وعلى هذا التأويل فهو بمعنى المومن فذكر على الأصل لأن مؤمناً كان في الأصل مويمناً وقد جاء بعض هذا البنا على الأصل كقول القائل : وصاليات ككما يؤثفين . وكقول القائل : كساء مورنب أراد به مرنب وقد مضى بعض معنى المومن في وصفه وأما إذا كان بمعنى الرقيب والحفيظ والشهيد والأمين فمعناه ظاهر في وصفه وسيجيء بيان هذه الأسماء في موضعها إن شاء الله تعالى وقد قال العباس بن عبد المطلب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم : حتى احتوى بيتك المهيمن من خدف علياء تحتها النطق . قيل معناه حتى احتويت أنت أيها المهيمن من خندف علياء وبيته شرفه . والعرب تقول فلان كريم البيت أي كريم الشرف والمهيمن في هذا البيت يراد به الأمين وكان صلى الله عليه وسلم أميناً وكان يسمى الأمين قبل النبوة وإذا قيل إنه بمعنى الشاهد فيكون معناه أنه الرائي والمدرك والعالم بالخفيات والمطلع عليها . ومن آداب من تحقق بهذا الإسم أن يكون مستحيياً من محل إطلاعه عليه محتشماً من رؤيته وهذا المعنى يسمى المراقبة في لسان أهل المعاملة ومعناه علم القلب بإطلاع الرب وقال أبو محمد الجريري من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة وكان

المهيمن : المطلع على أفعال مخلوقاته الذي له حق السيطرة عليهم وذكره يورث الخوف من الله ومراقبته ومعاملة الخلق بالحق .

الشيخ أبو على الدقاق يحكي أن بعض الأمراء كان له وزير وكان بين يديه يوماً فسمع بعض الغلمان يحدث بعضاً فنظر الوزير إلى من يحدث فاتفق أن الأمير نظر إلى الوزير فخاف الوزير أن الأمير توهم بأنه نظر إلى ذلك الغلام بالريبة فجعل ينظر إليه ليرى من نفسه أن ذلك حول فيه . فكان يدخل على الأمير كل يوم على ذلك الوصف حتى توهم الأمير أن ذلك فيه خلقة فإذا كان المخلوق يراعي من مخلوق كل هذه المراعاة فأولى بالعبد أن يستحي من ربه فيترك ما نهاه عنه لعلمه بأنه يراه .

وحكي أن إبراهيم بن أدهم كان يصلي قاعداً فجلس ومد رجله فهتف به هاتف أهكذا تجالس الملوك . وكان الجريري لا يمد رجله في الخلوة فقيل أنه ليس يراك أحد وقد خلوت بنفسك فهلا تمد رجلك فقال : حفظ الأدب مع الله أحق وفي معناه أنشدوا :

كأن رقيباً منك يرعى خواطري	وآخر يرعى ناظري ولساني
فما رمقت عيناي بعدك منظراً	يسوؤك إلا قلت قد رمقاني
وما خطرت في السر مني خطرة	لغيرك إلا عرجا بعناني
وإخوان صدق قد سئمت حديثهم	وأمسكت عنهم ناظري وجناني
وما الدهر أسلو عنهم غير أنني	وجدتك مشهودي بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم	ولاحظت معلوماً بغير عيان

وإذا قيل أن معنى المهيمن هو الأمين فالأمين في وصفه يكون بمعنى كونه عدلاً في أفعاله ويعود ذلك إلى إستحقاقه لصفات جلاله إذ كل ما يفعله فهو منه عدل ولا يخشى منه حيف لأن تقدير وجود القبيح منه محال .

* * *

باب

في معنى اسمه « العزيز »

العزيز إسم من أسمائه تعالى ورد به القرآن والأخبار الصحيحة وأجمعت الأمة عليه وتكلموا في معناه فقال بعضهم معناه الغالب الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر يقال عز يعز إذا غلب بضم الغين في المستقبل قال الله تعالى ﴿ وعزني في الخطاب ﴾ أي غلبني وفي المثل من عز بزاي من غلب سلب وقيل العزيز الذي لا مثل له يقال عزالشيء يعز بكسر العين في المستقبل أي صار عزيزاً يقال : عزالطعام في البلد إذ قل وجود مثله فإذا كان من يقل وجوده عزيزاً فالذي لا مثل له أولى أن يكون عزيزاً . وقيل العزيز في وصفه بمعنى القادر القوي . يقال : عز يعز بفتح العين في المستقبل إذا اشتد قال الله عز وجل ﴿ فعززنا بثالث ﴾ أي قوينا والأرض الصلبة التي لا تستقل عليها الإقدام تسمى عزازاً لقوتها وقيل العزيز الممتنع وهو الذي لا يوصل إليه يقال حصن عزيز إذا تعذر الوصول إليه فإذا قيل لما يتعذر الوصول إليه مع جوازه عزيز فالذي يستحيل الوصول إليه أولى أن يكون عزيزاً إذ لا حد له .

وقيل العزيز في وصفه تعالى هو المعز والفعيل بمعنى المفعل في كلام العرب كثير كالأليم بمعنى المولم . والوجيع بمعنى الموجع . وما أشبه ذلك فهذا الوجه الواحد في وصفه من صفات الفعل . وما ذكرنا قبله من صفات الذات هذا طرف مما قاله أهل اللغة وأصحاب الأصول في معنى اسمه العزيز على لسان أهل الظاهر . وأما على طريق أهل الإشارة فيجيء الكلام فيه على وجوه منها أن معنى العزيز هو الذي لا يدخر من خدمة عن خدمته شيئاً ولا يؤثر من عرفه هواه

العزيز : الذي لا نظير له والقوي الذي لا غالب له . وذكره يورث العز والإتكال عليه والنصر .

على رضاه . فيقضي حقوقه فرضاً ولا يرى أحد لنفسه عليه حقاً وفي قريب من هذا المعنى أنشد بعضهم :

ويـذكـرنها جـاراتهـا فـيـزرنها وتـعقـد عـن إتيـانهن فـتـعـذر

فالعزيز من يمنع فيشكر . ويبتلى فلا يشكو من يعرفه ولا يضجـر . يستلذ لحكمته الهوان . ويستحلي منه الحرمان دون الإحسان . وفي معناه أنشدوا :

وأهنتني فـأهنت نفسي صـاغـراً مـا من يهـون عليـك ممن يكـرم
أشبهت أعـدائي فصـرت أحبهم إذا كـان حظي منـك حـظي منهم

وكـان الدقـاق رحمه الله تعـالى كثيـراً مـا يقـول : إنمـا يستعـذب الأوليـاء البلوى . للمناجاة مع المولى . واعلم أن القلوب مجبولة على أن تتحمل المشاق من الأكابر والأعزة والإنقياد إلى أحكام من تجل رتبتـه بمواطـأة القلب حتم مستحسن ولهذا قيل إنما يعرفه عزيـزاً من أعز أمـره وطاعتـه فأمـا من استهان بـأوامره فمن المحال أن يكون متحققاً بعزة مولاه . وفي هذاالمعنى ما حكي أن رجلاً قال لبعض العارفين كيف الطريق إليه فقال لو عرفته عـرفت الطريق إليـه فقال أتـراني أعبد من لا أعرفه فقال المسؤول أو تعصي من تعرفـه . وقيل لبعضهم مـا علامـة أنك تعرفه فقال لا أهم بمخالفته إلا ناداني من قلبي مناد أستحي منه . وقيل لبعضهم متى عرفته فقال ما عصيته مذ عرفته . وقيل العزيـز من لا يرتقي إليـه وهم طمعاً في تقديره ولا يسموا إلى صمديته فهم قصد إلى تصوير . وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار عظمته . وحارت الألباب دون إدراك نعمتـه وكلت الألسن عن إستيفاء مدح جلاله . ووصف جماله . وفي معناه أنشدوا :

وكـل من أغـرق في نعـمتـه أصبـح منسـوبـاً إلى العـي

قال سيد الأولين والآخرين وخطيب المرسلين صلوات الله عليـه وعلى آلـه أجمعين بعد ما بالغ في ثنائه سبحانه وتعالى ونعت كبريائه : لا أحصي ثناء عليـك أنت كما أثنيت على نفسك .

فصل : ومن آداب من عرف أنه العزيز أن لا يعتقد لمخلوق إجلالاً ولهذا قالوا المعرفة حقر الأقدار سوى قدره . ومحو الأذكار سوى ذكره وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني لأجل غناه ذهب ثلثا دينه . سمعت الدقاق يقول إنما قال ذهب ثلثا دينه لأن المرء بثلاثة أشياء قلبه ولسانه وبدنه . فإذا تواضع بلسانه وبدنه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد بقلبه ما حصل منه بلسانه وبدنه للغني لأجل غناه من التواضع لذهب دينه كله . وقيل إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين[1] .

فصل : وإذا عرف أنه المعز لم يطلب العز إلا منه ولا يكون العز إلا في طاعته سبحانه وقال ذو النون المصري لو أراد الخلق أن يثبتوا لأحد عزا فوق ما يثبته اليسير من طاعته لم يقدروا . ولو اجتمع الخلق على أن يوجبوا لأحد ذلاً أكثر مما يوجبه اليسير من زلته ومخالفته لم يقدروا . وقد حكي أن رجلاً أمر بالمعروف هارون الرشيد فحنق عليه وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال أربطوه معها تقتله برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره . فقالوا اطرحوه في بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا فرئي في بستان وباب البيت مسدود فأخبر هارون بذلك . فأتى بالرجل وقال من أخرجك من البيت فقال الذي أدخلني البستان فقال ومن الذي أدخلك البستان قال الذي أخرجني من البيت . فقال اركبوه دابة وطوفوا به البلد وليقل قائل ألا إن هارون أراد أن يذل عبداً أعزه الله فلم يقدر . و حكي عن بعضهم أنه قال رأيت رجلاً في الطواف وبين يديه شاكريه - أي خدم قال القاموس والشاكري الأجير والمستخدم معرب جاكر . انتهى - له يطردون الناس عنه فبعد ذلك بمدة رأيت إنساناً يتكفف على جسر بغداد ويسأل شيئاً قال فكنت أنظر إليه وشبهته بذلك الرجل فقال إيش تنظر فقلت شبهتك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا فقال أنا ذاك الرجل إني تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فوضعني الله في موضع

(٢) المقصود أنه لا يصح للعبد التواضع والذل للغني استجداء لماله ولكن يعامله بحسن الأدب الواجب للمسلم دون أن يذل نفسه له أو يشتغل به عن ربه أو يميزه على الفقراء الحاضرين معه .

يـرتفـع النـاس فيـه قـال الله سبحـانـه تعـز من تشـاء وتـذل من تشــاء فليس أعزازه لعلة ولا إذلاله لعلة بل هما حاصلان بالقضا والمشيئة صادران عن الإرادة والقضية ويليق بهذا الباب أن نذكر طرفاً من معنى قولـه تعالى ﴿ من كـان يريـد العزة فلله العزة جميعاً ﴾ وقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وكيف الجمـع بينهما فإن إحدى الآيتين توجب انفراده تعالى بالعزة . والثـانية تشـير إلى إن لغيره عـزة ولا منافاة بينهما بالحقيقـة لأن العز الـذي للرسول وللمؤمنـين فهو لله تعـالى ملكاً وخلقا وعزته سبحانه له وضعاً فإذا العز كله لله تبارك وتعالى

* * *

باب

في معنى إسمه « الجبار »

الجبار إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وتكلم الناس في معناه فمنهم من قال هو مأخوذ من قولهم نخلة جبار إذا فاتت الأيدي قاله ابن الأنباري وغيره فيكون في وصفه أنه لا تناله يد جائرة ولا تنازعه معارضة بل له العظمة والجبروت والعزة والملكوت فيكون هذا من صفات ذاته لأنه إخبار عن وجوده على وصف السمو والجلال وقيل الجبار هو المتكبر والجبروت هو التكبر يقال جبار بين الجبرية إلا أن التكبر في وصف الخلق مذموم وفي وصف الله سبحانه وتعالى محمود وهذا أيضاً من صفات ذاته . لأن تكبره هو إستحقاقه لصفات العلو وتقدسه عن النقائص ولوجوده هو كذلك . وقيل الجبار من قولهم جبرته على الأمر وأجبرته أي أكرهته وأجبرته في الإكراه أكثر من قولهم جبرته فيكون على هذا أنه يحصل مراده من خلقه ولا يجري في سلطانه إلا ما يريد شاء الخلق أم أبوا أو الإكراه من صفات الفعل وقيل إن الجبار من قولهم : جبرت الكسر إذا أصلحته يقال : جبرت العظم وأجبرته . وجبرت أكثر في الإصطلاح من أجبرت قال الشاعر:

قد جبر الدين الإله فجبر

وعلى هذا يكون من صفات فعله . والإسم إذا احتمل معاني مما يصح في وصفه فمن دعاه بذلك الإسم فقد أثنى عليه بتلك المعاني فهو الجبار على معنى أنه عزيز متكبر محسن إلى عباده لا يجري في سلطانه شيء يخالف مراده . فأما آداب من عرف أنه لا تناله الأيدي لعلو قدره فهو أن يتحقق بأنه لا سبيل اليه

الجبار : الذي علا فوق خلقه وقهرهم على ما أراد ولا يفلت من عقابه ظالم جبار وذكره يورث الخوف من الله والحفظ من ظلم الجبابرة .

ولا بد له من الوقوف بين يديه فلا يصيب العبد منه إلا لطفه وإحسانه اليوم عرفانه . وغدا غفرانه . ثم ثوابه وامتنانه وعفوه ورضوانه وأنشدوا :

فلا نيل إلا ما تزود ناظر   ولا وصل ألا بالخيال الذي يسري
وقلن لنا نحن الأهلة إنما   نضيء لمن يسري الينا ولا تقري

فصل : وإذا علم أن الجبار بمعنى مصلح الأمور . فوض أموره إليه . وتوكل في جميع أحواله عليه إن كان خيراً علم أنه مسديه ومتحفه . وإن كان ضراًعلم أنه ينجيه منه ويكشفه . لم يحتشم من اختلال أحواله وقلة ماله . وكثرة عياله . وضعف احتياله . ثقة بلطفه وأفضاله واستكانة إلى جوده وكريم نواله . وحسن أفعاله . وقد حكي أن رجلاً كان كثير العيال وأنه ضاقت عليه أسباب المعيشة فهم أن يهرب عنهم فاستقبله شخص فقال له هل تأجرني على أن تسقي طيراً لي في القفص فترويه وتأخذ مني ديناراً فاسترخص الرجل ذلك وأجابه إليه فدله على بئر وقال تستقي من هذا البئر وتروي هذا الطائر فلم يزل الرجل يسقي الطائر طول نهاره إلى المساء والطائر لم يرو فلما أمسى ضاق صدر الرجل فقال له ذلك الشخص إني لست ببشر وإنما أنا ملك بعثني الله إليك ليريك ضعفك أنك لم تقدر أن تروي طائراً . فكيف ترزق عيالك إرجع إليهم وانتظر الرزق من الله تعالى فإنه هو الرزاق لا أنت . وحكي عن بعض الصالحين أنه سئل عن سبب توبته فقال إني كنت رجلاً دهقاناً (الدهقان يطلق على رئيس القرية) فاجتمع عليَّ أشغال ليلة من الليالي كنت أحتاج إلى أن أسقي زرعاً لي وكنت حملت حنطة إلى الطاحونة فوثب حماري وضل فقلت إن اشتغلت بطلب الحمار فات سقي الزرع . وإن اشتغلت بالسقي ضاع الطحين والحمار وكان ذلك ليلة الجمعة وبين قريتي وبين الجامع مسافة بعيدة فقلت إترك هذه الأمور كلها وامضي إلى القصبة[1] لأدرك غداً صلاة الجمعة . فمضيت وصليت فلما

---

(١) القصبة المدينة قال في المختار قصبة السواد مدينتها .

انصرفت إجتزت بالزرع فإذا هو قد سقي فقلت من سقى هذا فقيل إن جارك أراد أن يسقي زرعه فغلبته عيناه وانفتق السد فدخل الماء زرعك . فلما وافيت باب الدار إذا أنا بالحمار على المعلف فقلت من رد هذا الحمار فقالوا صال عليه الذئب والتجأ إلى البيت فلما دخلت الدار إذا أنا بالدقيق موضوع هناك فقلت كيف سبب هذا فقالوا إن الطحان طحن هذا بالغلط فلما علم أنه لك رده إلى المنزل فقلت ما أصدق ما قيل من كان لله كان الله له . ومن أصلح لله أمراً أصلح الله أموره فتركت الدنيا وتبت إلى الله تعالى .

فصل : وإذا علم أنه يجبر الخلق على مراده وعلم أنه لا يجري في سلطانه ما يأباه ويكرهه ترك ما يهواه وإنقاد لما يحكم به مولاه فيستريح عن كد الفكرة وتعب التدبير وفي بعض الكتب عبدي تريد وأريد فلا يكون إلا ما أريد فإن رضيت بما أريد كفيتك ما تريد وإن لم ترضى بما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد قد قيل :

سيكون الذي قضى سخط العبد إم رضي
فدع الهم يا فتى كل هم سينقضي

وقيل :

ملكت نفسي وكنت عبداً فزال رقي وطاب عيشي
أصبحت أرضى بحكم ربي إن لم أكن راضياً فأيش

* * *

باب

في معنى اسمه « المتكبر »

المتكبر إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وتكبره وكبرياؤه ورفعته وعلاه ومجده وسناؤه وعلوه وبهاؤه كل ذلك أخبار عن إستحقاقه لنعوت الجلال وتقدسه عن النقائض والآفات وكل ذلك يعود إلى ذاته ووجوده على ما وصف والتكبر في صفة الخلق مذموم لأن الخلق محل النقص فإذا تكبر تكلف أن يتصف بغير ما يليق بنعته ومن عرف علوه سبحانه وكبرياءه لازم طريق التواضع وسلك سبيل التذلل . وقد قيل هتك ستره من جاوز قدره وفي بعض الحكايات أن أميراً عرضت عليه جارية بمائة ألف درهم فاحضر الثمن فلما نظر الأمير إليها استكثر الثمن وقال إن شراء مملوكة بهذا الثمن لغال فقالت الجارية إشترني يا أمير المؤمنين فإن فيَّ مائة خصلة كل واحدة منها تساوي أكثر من مائة ألف درهم فقال وما ذاك ؟ فقالت أدناها أنك أن أشتريتني وقدمتني على جميع عبيدك لم أغلط في نفسي وعلمت أني مملوكة فاشتراها وحكي أنه رفع إلى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه أن إبنك اتخذ خاتماً اشترى له فصاً بألف درهم فكتب إليه أما بعد فلقد بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم فبعه وأشبع به ألف جائع واتخذ خاتماً من حديد صيني واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه . وقد قيل الفقير في خلقه أحسن منه في جديد غيره ولا شيء أحسن على الخدم من التواضع بحضرة السادة وفي معناه أنشدوا :

المتكبر : المتعالي عن صفات الخلق لم يلد ولم يولد منفرد بالكبرياء ولا يتصف به غيره يذل من تكبر ويقصمه ولا يبالي بأحد فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء وذكره يعين على مغالبة الشهوات وترك المنكرات ويهب الله لذاكره والذرية الطيبة حيث تعالى الله أن يكون له صاحبة أو ولد أو يشتهي شهوة من الشهوات أو يتداخل في شأنه غيره فهو واحد لا يحتاج إلى أحد أو أن يتحكم فيه أحد أو يشاركه في فعله وله الخلق جميعاً .

ويظهر في الهوى عز الموالي فيلزمني له ذل العبيد

فصل : وإن الله سبحانه يتفضل على عباده ويتعزز على قوم من خواص عباده فيجعل عيش أسرارهم بتكبره أكثر من عيش قلوبهم بتفضله وفي معناه أنشدوا :

أعز من مدرك التمني ونيل ملك بلا تعني
قول محب لذي جفاء يهيم فيه تنح عني

وسئل يحيى بن معاذ عن المحبة فقال هي ما لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفا . ويحكى عن الشبلي أنه جن مرة فحبس في المارستان فدخل عليه قوم من إخوانه فقال من أنتم فقالوا أحبابك فأخذ يرميهم بالحجارة ففروا ومروا فقال يا كذبة لو صدقتم في هواي ما هربتم من بلاي .

فصل : إعلم أن من أخلص في وده وصدق في حبه كان إستلذاذه بمنعه أكثر من إستلذاذه بعطائه فإن كل أحد بذكره وهو بقربه وإنما المخلص في عقده وصدقه من لا يفتر عن أداء حقه وإن كان يبتليه ويعذبه . وحكي أن الشبلي كان في داره ديك يصيح بالليل فأخذه ليلة وشد قوائمه وطرحه في بيت فلم يصح تلك الليلة فلما أصبح قال له يا مدع إنما كنت تذكره من رأس العافية فلما أصابك البلاء سكت ولم تذكره وأنشدوا :

يا مدعي الحب لمولاه من ادعى صحح دعواه
من ادعى دعوى بلا شاهد يوشك أن تبطل دعواه

* * *

باب

في معنى اسمه « الخالق »

إعلم أن الخالق اسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وانعقد عليه الإجماع واختلفت الناس في معناه والصحيح أن الخالق هو المخترع للأعيان وأن الخلق هو الإبداع والإختراع ومن الناس من قال الخلق هو التقدير قالوا والعرب تسمي الإسكاف خالقاً لأنه يقدر الأديم وقال الشاعر :

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

ويقال فرته أيدي الخوالق يعني الأساكفة ومنهم من قال أن الخلق بمعنى التصوير قال الله تعالى وإذ تخلق من الطين أي تصور . ومنهم من قال الخلق لفظ مشترك في معانٍ فيكون بمعنى التصوير ويكون بمعنى التقدير ويكون بمعنى الإختراع ويكون بمعنى الكذب قال الله تعالى(١) ﴿ وتخلقون افكاً ﴾ وقال تعالى ﴿ إن هذا إلا خلق الأولين ﴾ يعني كذب الأولين وزعم الجبائي أن الله تعالى يسمى خالقاً على المجاز وغيره يسمى خالقاً على الحقيقة وهذا خطأ بين من قوله والصحيح أن الخلق هو الإختراع وما عداه مجاز ولا خالق إلا الله عز وجل ، والذي يدل على صحة هذا وفساد ما عداه من الأقاويل أنه لو كان الخلق بمعنى التقدير لكان كل مقدر خالقاً ولما كان الخياط يقدر والبنا يقدر وغيرهم قد يحصل منه التقدير ثم لا يسمى واحد منهم خالقاً علم أنه ليس معنى الخلق معنى التقدير ولا يجوز أن يكون الخلق بمعنى التصوير لأن المصور على الحقيقة هو الله لأن القول بالتولد

الخالق : الذي أظهر الموجودات بقدرته من غير معين . وقد كل شيء منها بمقدار معين بارادته ولم يعي بخلق السموات والأرض وهوالقادر على أن يخلق أمثالها وذاكره يحسن خلقه و خلقه ويستنير قلبه وقالبه .

(١) قال الجلال إلا خلق الأولين أي إختلافهم وكذبهم وفي قراءة بضم الخاء واللام أي ما هذا الذي نحن عليه من أن لا بعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم .

باطل . فما يجعل في العين من الصور ليس بكسب للمخلوق ولا بفعل له وإنما يسمى الكذب خلقاً على المجاز تشبيهاً بالإبداع لأن الكاذب يخبر عما لا أصل له كما أن المخترع يوجد ما لم يكن عيناً فيجعله عيناً ومن قال إن الله تعالى يسمى خالقاً على المجاز وغيره يسمى خالقاً على الحقيقة فكفاه خزياً بهذا القول وإجماع المسلمين يكفي في الدليل على فساد قولهم وقوله تعالى ﴿ **وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير** ﴾ أي تصور فإنما أطلق هذا اللفظ على التوسع وكذلك قوله تعالى ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

فصل : ومن شرط الإعتقاد أن يتحقق العبد أنه سبحانه خالق الأعيان والآثار والجواهر والأعراض لا يخرج حادث عن أن يكون مخلوقاً له فيقتضي هذا تبرأ العبد عن حوله وقوته ورجوعه إلى الله تعالى بصدق الإستعانة ودوام الإستكانة في سكونه وحركاته فإن من صحت بالله إستعانته وجب من الله تعالى معونته ، ومن آداب من عرف أنه الخالق أن يمعن النظر في إتقان خلقه لتلوح لقلبه دلائل حكمته في صنعه . فيعلم أنه خلق من نطفة بشراً ركب أعضاءه ورتب اجزاءه . وقسم تلك القطرة فجعل بعضها مخاً وجعل بعضها عظماً وبعضها عروقاً وبعضها أعصاباً وبعضها شحماً وبعضها لحماً وبعضها جلداً وبعضها شعراً ثم ركب كل عضو على ترتيب يخالف صاحبه وخص كل جزء بتركيب لا يشبه صاحبه فتبارك الله أحسن الخالقين . قال الله سبحانه ﴿ **هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه** ﴾ ثم أنه يقسم الطعام الذي يأكله والشراب الذي يتناوله على هذه الأجزاء ويوصله إلى هذه الأعضاء فيجعل لكل عضو مما يتناوله نصيباً مقدراً فسبحان من يعلم هذا الذي يخلقه كيف يخلقه . وحكي عن بعضهم أنه قال كنت مع الشبلي ففتح عليه بمنديل حسن فمر بكلب ميت ملقى على الطريق فقال لي احمل ذلك الكلب الميت وكفنه في هذا المنديل وادفنه وسر قال فجعلت الكلب في ذلك المنديل وطرحته في موضع وغسلت المنديل وعدت إليه فقال لي قد فعلت ما أمرتك به فقلت لا فلم يقل لي شيئاً فقلت أيها الشيخ إيش السبب فما كان السبب فيما أمرتني فقال لما مررت بتلك

الجيفة استقذرته واستقبحته فنوديت في سري أليس قد خلقناه فقلت لك ما قلت وفي خبر مسند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخي نوحاً كان اسمه يشكر ولكن لكثرة بكائه على خطيئته أوحى الله إليه يا نوح كم تنوح فسمي نوحاً فقيل يا رسول الله أي شيء كانت خطيئته فقال أنه مر بكلب فقال في نفسه ما أقبحه فأوحى الله إليه يا نوح أخلق أنت أحسن من هذا . ويحكى أن سنياً كان يناظر معتزلياً في مسألة القدر فقطف المعتزلي تفاحة من شجرة فقال أليس أنا فعلت هذا فقال السني له إن كنت أنت فعلته فرده إلى ما كان عليه فافحم المعتزلي وانقطع وإنما لزمه ذلك لأن القدرة التي يحصل بها الإيجاد لا بد من أن تكون صالحة للضدين فلو كان تفريق الأجزاء من جهته لكان قادراً على وصلها .

فصل : ومن آداب من عرف أنه الخالق المنفرد بالإيجاد أن لا يجحد الكسب ولا يطوي الشرع لأنه ليس بأن يخلق الحق تعالى شيئاً ما يجب أن يكون للعبد حجة فيما يطالبه به من مراعاة حقوقه ويحكى أن بعض الأكابر قيل له ما أعجب قول الملائكة حيث تجاسروا على أن قالوا الله سبحانه أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال له وما عليهم هو انطقهم فبلغ قوله يحيى بن معاذ الرازي فقال، هو أنطقهم ولكن أنظر كيف أخرسهم بين رحمة الله أن وجود الخلق من قبل الحق سبحانه ثم لا يكون عذر للعبيد في سقوط اللوم عنهم .

* * *

باب

في معنى إسمه « الباري المصور »

إعلم أنـه ورد به نص القـرآن قال الله تعـالى : ﴿ هو الله الخـالق البارىء المصور ﴾ يقال برأ الله الخلق تبرؤهم برءاً والبرية الخلق بغير همز وإن كان أصله الهمز إتفاقاً منهم وإجماعاً كما تركوا الهمزة من الذرية والنبي وما جرى مجراه .وقد قيل إن البرية من البرا وهو التراب والعرب تقول بغية البرا تعني التراب ويقـال : برأت من المرض أبرأ وبرئت من المرض أيضاً وبـرئت من فلان من دينـه وبرى الرجل من شريكه إذا فارقه وبريت القلم بغير همز . وأما المصـور فمن التصويـر وهو تمييز الشيء على صورة يقال صوره إذا جعله عـلى صورة . وصـور الأمر أي قدره ويقال صاره يصيره ويصوره إذا أماله هو من قوله فصـرهن إليك . ورجـل صير شير إذا كان ذا صورة وشارة حسنة والصـور جمع صـورة وعليه يحمـل قولـه تعالى ونفخ في الصـور أي في الصور عـلى بعض التأويـلات . والصور أيضـاً هو القرن الذي ورد به الخبر أنه ينفخ فيـه الملك والله تعالى مصـور الخلق ومقدرهم ومـدبر العـالم ومعيدهم . وإذا عـرف العبـد أن الله تعـالى بـرأه من البـر الـذي هـوالتراب وأنـه لم يكن شيئاً ولا عينـاً فجعله شيئاً وعينـاً فبالحـري أن لا يعجب بحاله ولا يدل بأفعاله . بـل يبتهج بصفـو حالـه وقد أشكـل عليه حكم مآله . وكيف لا يتواضع من يعلم أنـه في الإبتدا نـطفة وفي الإنتهـا جيفة . وفي الحـال صـريع جـوعه . وأسـير شبعه . وجمـاله وحسنـه يختلف في أطواره في قميص إن

البـارىء : الذي خلق الخلق لا على مثال سبق تعلمه أو سبب يتقيد بـه خلق الأجسام وبرأ النسم والروح وهو قادر على إيجاد الأشيـاء من العدم وربـك يخلق ما يشـاء ويختار وذكـره يفيد من تقطعت بهم الأسباب واحتجبت عنهم مطالب الخير من حاجات الدنيا والآخرة .

المصور : المبدع للصور والمخترعات وأنشأ خلقه على صور مختلفة وذكـره يفيد من قصر إدراكهم وانحط فهمهم .

أمسك عن الأكل ساعة تغير عليه خلوقه وإن عرق في سعيه سطع بغير المستطاب صنان إبطه ورائحة جلده ثم إذا شاهد نقص نفسه عرف جلال ربه قال الله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وقال تعالى ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ وأحد ما قيل في قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون هو أن تفكر فتعلم كيف زين العضو الذي لا يزال ظاهراً على مجرى المادة من أعضائك . وهو وجهك وستر الوحشة منك ، وفيه تقوية للأمل والرجاء بأن يديم معك هذه السنة في إسداء النعم وإكمال الكرم فإن من ستر في الحال منك المساوىء لحقيق بأن لا يفضحك على رؤوس الأشهاد يوم التناد . وفي بعض الحكايات أن بعضهم رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أقامني وأعطاني كتابي فمررت بسيئة فخجلت أن أقرأها فقال لي لا بد من قرائتها فقلت إلهي لا تفضحني . فقال الوقت الذي عملتها فيه ولم تستح ما فضحتك أفأفضحك الآن وأنت تستحي وقال بعضهم لما قال تعالى ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ نبههم على حسن الخلق بما دلهم على صفة الأرض وذلك أنه يلقي عليها كل وحشة فتخرج كل زهرة وخضرة . وهكذا المؤمن ينبغي أن يكون متآنساً غير متوحش متحملاً للجفا غير منتقم لا يقابل بالجفا إلا قابل الجافي بالإحتمال وجميل الأغضا . يحكى عن بعضهم أنه كان يسيء القول في رجل والرجل يسمع ويسكت فضاق صدر هذا الرجل فقال له إياك أعني فقال له الرجل وعنك أحلم .

فصل : وقد قال تعالى ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ لم يقل لشيء من المخلوقات أنه أحسن صورته إلا للإنسان تخصيصاً له من بين المخلوقين وهكذا قال في آية أخرى ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ وهذا أيضاً مما لا يشاركه فيه غيره . وقد ورد في القصص والآثار أن الله تعالى خلق لجبريل ستمائة جناح كلها مرصعة بالياقوت والدر والجلاجل الذهب محشوة . بالمسك لكل جلجل صوت لا يشبه الآخر وإن إسرافيل إذا أخذ في تسبيح عطل على الملايكة تسبيحهم بحسن صوته وطيب نغمته وإن نور العرش لو بدا لصار نور الشمس

بالإضافة إليه كنور السراج بالإضافة إلى نور الشمس إلى غير هذا من أوصاف المخلوقات ثم أنه سبحانه لم يقل لشيء منها أحسن صورته ولا قال لشيء إني خلقته في أحسن تقويم إلا لهذا الشخص المخلوق من سلالة من طين ثم دع هذا الذي هو عائد إلى الخلقة وانظر إلى قوله تعالى ﴿ **يحبهم ويحبونه** ﴾ هل قال هذا لملك مقرب أو مخلوق على جمال الصورة مركب . كلا إن هذا لأولاد آدم خاصة خصوصية . ولهم بها على أمثالهم مزية . فضلاً من الله ونعمة . وإحساناً بدأهم به ومنة عليهم ورحمة .

فصل : واعلم أن حسن التصوير وإن كان في ظاهر الخلق فإن حقيقة ذلك أتم في باب الخلق فإن الله تعالى أحسن خلق الأكثرين وقليل من حسن خلقه وإنما يمتاز العوام من البهائم بتسوية الخلق . ويمتاز الخواص من العوام بتصفية الخلق . وكما أن الآدمي يفارق البهائم بتركيب القامة وترتيب الأعضاء فالخواص تباين العامة بحسن الخلق وخلوص الصفة . ولم يمن الله سبحانه على رسوله بشيء كما منَّ عليه بحسن خلقه ألا ترى كيف أثنى عليه بقوله ﴿ **وإنك لعلي خلق عظيم** ﴾ والإنسان مستور بخلقه بين أمثاله . مشهور بخلقه عن أشكاله .

يحكى عن يحيى بن معاذ أنه قال : أنا واحد من الناس إذا سكت . واحد فيهم إذا نطقت . هكذا يحسن للمرء أن يكون واحداً من الناس من حيث الصورة والخلق واحداً فيهم من حيث الخلق فسبحان من ركب من قطرة واحدة نسمة[1] وأوجد فيها بكمال حكمته وشمول قدرته صورة . ثم كما لا تشبه صورة صورة لم يشبه خلق خلقاً .

ويحكى أن بعض الأمراء سأل ندماه عن شر الأشياء فقال بعضهم المرأة السوء . وقال بعضهم الجار السوء . وقال بعضهم الخلق السوء . فتواضعوا أن يتحاكموا إلى أول من يلقونه إذا خرجوا من البلد فخرجوا من البلد فاستقبلهم سوادي معه حمار عليه جرار من خزف فأرادوا أن يمتحنوا الرجل فقالوا لم لا

---

(١) أي نفساً .

تسلم علينا فقال لهم الراكب ينبغي أن يسلم على الراجل فقال بعضهم لبعض إنه يشبه أن يكون حكيماً فقالوا له وقعت لنا مسئلة فأردنا أن نتحاكم إليك فيها فقال لهم إحفظوا حماري إذاً لئلا يشتغل قلبي وقعد . فذكروا له المسألة فقال شر الثلاثة الخلق السوء لأن المرأة يمكن أن يتخلص منها بالطلاق والجار السوء يرجى الخلاص منه بالغيبة والفراق والخلق السوء معك أينما كنت فاستحسن الأمير ذلك وقال سل حاجتك فقال الرجل : إني لا أريد أن أتحكم عليك في خزائنك ولكن أسألك حاجة لو قضيتها نفعتني ولم تضرك فقال وما هي فقال إن النيروز والمهرجان قريب منا والناس يبعثون إليك الهدايا ويتحفونك بها فناد في البلد إني لا أقبل من أحد هدية إلا مع جرة من عملي لأبيع ذلك بحكمي . فاستحسن الأمير ذلك وأجابه إليه وأمر حتى نودي في البلد بما قال فكل من طلب منه جرة قال لا أبيع إلا بدينار واحدة فكان الناس يشترون . وكان للأمير وزير فارسي فقيل له إن هذا الرجل يبيع جرة بدينار فقال إنها تساوي نصف درهم فليأخذ منا درهماً أو درهمين . فأتاه الرسول وأخبره بقول الوزير فقال الرجل لا تشتر إن لم ترد فأعاد عليه الرسول في اليوم الثاني فقال تعالى وخذ الدينار فقال لا أبيع إلا بمائة دينار فحرد الوزير وقال بالأمس لا أعطيك ديناراً واليوم أعطيك مائة فقال لا تشتر إن لم ترد . فصبر ذلك اليوم . فلما كان اليوم الثالث لم يجد بداً من الجرة فأرسل إليه وقال تعالى وخذ الذهب فقال لا أبيع إلا بألف دينار ، فزاد غضبه وأبى أن يشتري فلما كان الغد كان ذلك يوم العيد وكانت العادة لم يرسل أحد هدية قبل الوزير فبقي الوزير حائراً . فأرسل إلى الرجل وقال له تعالى وخذ ما تريد فقال لست أبيع الجرة فألح عليه كل الإلحاح فأبى فقال على كل حال إيش تريد فقال لا أبيع ولا أعطيك الجرة إلا بشرط واحد تحملني على رقبتك والجرة بيدي وتمر بي إلى مجلس الأمير . ففعل ذلك إذ لم يجد بداً من إرسال الهدية . فلما وقع بصر الأمير عليه نادى بالفارسية يا أمير حتى الأونان كواي معناه سوء الخلق الحمل الثقيل . فاستحسن الأمير ذلك فعزل الوزير وولاه الوزارة بدله وسلم إليه ماله وملكه

* * *

باب

في معنى اسمه « الغفار »

ومن أسمائه الغافر والغفور والغفار فالغفور للمبالغة والغفار أشد مبالغة من الغفور والمصدر منه المغفرة . يقال غفر يغفر مغفرة وغفراً وغفراناً فهو غافر وغفور على الكثرة وغفار على المبالغة ومعنى الغفر الستر والتغطية ويقال لجنة الرأس المغفر لأنه يستر الرأس وغفر الثوب زئبره[1] .

ويقال جاء القوم جماً غفيراً ، وجما الغفير أي جماعتهم . ومغفرة الله تعالى للعبد ذنوبه ستره وعفوه فالله تعالى يغفر ذنوب عباده بفضله ورحمته لا باستحقاقهم ذلك باكتسابهم التي هي طاعتهم أو توبتهم عن زلاتهم . وغلط مخالفوا أهل الحق في مسألة المغفرة من وجهين : أحدهما أنهم قالوا غفران الكافر والفاسق من غير إيمان وجد منهم غير جائز في الحكمة والثاني قولهم إن غفران التائب من الذنب في الحكمة واجب وقال أهل الحق غفران الزلة من الله تعالى جائز لمن شاء إذا شاء كما شاء قال الله تعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك من يشاء** ﴾ والله تعالى يغفر الذنوب ويستر العيوب ويكشف الكروب ويكفي الخطوب كل ذلك فضلاً من الله وإنعاماً ولطفاً وإكراماً . وفي بعض الأخبار . عبدي لو أتيتني بقراب الأرض ذنوباً لأتيتك بقراب الأرض مغفرة ما لم تشرك بي . وفي خبر مسند أن رجلاً يؤمر به إلى النار فإذا بلغ ثلث الطريق التفت وإذا بلغ ثلثي الطريق التفت فيقول الله تعالى ردوه . ثم يسأله ويقول لم التفت فيقول يا

الغفار كثير المغفرة . يستر المعصية على عبده ويغفرها له كلما توجه إليه ولا يجوز الإستغفار إلا له كما أنه لا يأخذ بالذنب أو يغفره إلا هو وهو ذكر أهل التوبة ويفرج الله به الهموم .

---

(١) زئبر الثوب كزغبره لفظاً ومعنى وهو ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخز .

رب لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك « وربك الغفور ذو الرحمة » فقلت لعلك أن تغفر لي فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك « ومن يغفر الذنوب إلا الله » فقلت لعلك تغفر لي فلما بلغت ثلثي الطريق تذكرت قولك قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . فازددت طمعاً . فيقول الله تعالى : اذهب فقد غفرت لك .

قال الله تعالى ﴿ ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ كأنه قال من أرخى عمره في الزلات . وأفنى حياته في المخالفات . وأبلى شبابه في البطالات . ثم ندم قبل الممات . وجد من الله العفو عن السيئات . لأن قوله « ثم » يقتضي التراخي كأنه قال من لم يتب في الحال ولكن في آخر العمر وقيل إن رجلاً كان يقول إلهي أبطأت إلهي أبطأت . فهتف به هاتف لم تبطىء إنما أبطأ من مات ولم يتب . وقوله تعالى ﴿ يعمل سوءاً ﴾ أخبار عن الفعل وقوله ﴿ ثم يستغفر الله ﴾ إخبار عن القول كأنه قال الذين زلاتهم أفعال توبتهم أقوال . ولقد سهل عليك الأمر من رضي عنك بمقالة وقد عملت ما عملت ثم أنظر إيش قال في قوله يجد الله طلبوا المغفرة فوجدوا الله أي نكتة لمن يعقلها . ليس العجب من السيارة حيث طلبوا الماء ليشربوا فوجدوا يوسف . إنما العجب من عاص طلب المغفرة فوجد الله تعالى . وجاء في بعض الأخبار أن رجلاً في الزمن الأول قتل تسعة وتسعين رجلاً بغير حق فجاء إلى بعض العلماء فقال ما تقول فيمن قتل تسعة وتسعين رجلاً بغير حق . فقال العالم إنه في النار فغضب الرجل وقتل العالم ثم أنه بعد مدة ندم فجاء إلى عالم آخر فقال ما تقول فيمن قتل ماية رجل بغير حق ثم تاب فهل يقبل الله توبته . فقال نعم . فقال أنا ذلك الرجل فما تأمرني به . فقال له العالم : سبيلك أن تمضي إلى البلد الفلاني فإن الله تعالى يقبل توبك هنالك . ومضى الرجل فمات في الطريق فتخاصم ملايكة الرحمة وملايكة العذاب في قبض روحه فبعث الله ملكاً وقال له إمسح الأرض التي قطعها والتي بقيت وإنظر إلى أي البلدين هو أقرب فنظر الملك فوجده أقرب إلى أرض التوبة بشبر فأمر الله به إلى الجنة .

باب

في معنى اسمه « القهار »

القهار : إسم من أسمائه تعالى . ورد به نص القرآن بأنه قـاهر وأنـه قهار قال الله تعالى ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ وقال سبحانه وتعالى ﴿ **هو الله الواحد القهار** ﴾ واختلف أهل الحق في معنى القهـار هل هـو من صفات الـذات أو من صفـات الفعل فقـال قوم إنـه من صفات الـذات وهو بمعنى المبـالغة من القـاهر ومنهم من قال إنه من صفات الفعل ومعناه الجبار الـذي يحصل مـراده من خلقه شاءوا أو أبوا رضـوا أم كرهـوا وأما الإشـارة فيه فمن علم أنـه القهار خشي بغتـة مكره وخاف فجأة قهره . فيكون وجلا بقلبه . منفرداً عن قومه مستـديماً لخـدمة ربه . مفارقاً لخلطائه وصحبه . كما قيل :

فـريـد عن الخـلان في كـل مـوطن إذاعـظم المطلوب قـل المسـاعـد

فصل : واعلم أن الله سبحانه قهر نفوس العابـدين وقهر قلوب العـارفين وقهـر أرواح المحبين . فنفس العـابد مقهـورة بخوف عقـوبتـه . وقلب العـارف مقهور بسطوة قربته وروح المحب مقهورة بكشف حقيقته . فـالعابـد بلا نفس . لإستيلاء سلطان أفعاله عليه . والعارف بلا قلب لإستيلاء سلطان إقبالـه عليه . والمحب بلا روح لإستيلاء كشف جلاله وجماله عليه .

فصـل : واعلم أن قهر الحق سبحـانـه وتعـالى لـلأغيـار بتنغيص أحـوال الدنيا . وأن قهره الأحباب باختطاف الأسـرار عما سـوى المولى . فليس لهم مـع مخلوق قـرار . ولا للأغيـار عندهم مقـدار . طلعت شـواهـدهم عنـد شهـوده .

القهار الذي يقهر ولا يقهر : وهـو ذكر من أراد قهـر النفس . والعدو والشيـطان وهو نافع من داء الكبر .

وبادت[1] سرائرهم عند ظهوره . فهم محو فيها هنالك الأشباح موجودة . والأرواح مفقودة . وفي معناه أنشدوا :

محوت إسمي ورسم جسمي   وغبت عني ودمت أنتا
وفي فنائي فني فناني   ففي فنائي وجدت أنتا
فأنت مني خيال عيني   وحيث ما كنت كنت أنتا

فصل : واعلم أن الله تعالى قهر جميع عباده بالموت الذي ليس لأحد عنه محيد لم ينج منه نبي مرسعل ولا صفي مفضل . ولا ينجو منه ملك مقرب . ضاقت عند ذلك صولة المخلوقين وبادت عند سطوته قوى الخلائق أجمعين . ويقال إن الله تعالى يذيق ملك الموت طعم الموت فيقول عند الفزع وعزتك لو علمت أن طعم الموت يكون مثل هذا ما قبضت روح أحد وناهيك من قهره للعباد أنه يقبض أرواح جميع المخلوقين ثم يقول لمن الملك اليوم فيرد على نفسه لله الواحد القهار فأين سلطان الجبابرة عند ذلك وأين ولاية الأكاسرة فيها هنالك وأين الأنبياء والمرسلون وأين الملايكة المقربون وأين السفرة الكاتبون وأين آدم وذريته واين أهل الجحد والالحاد وأين أهل التوحيد والزهاد زهقت النفوس

(١) وبادت أي ذهبت وانقطعت .

وبليت الأرواح[1] وبقي الـذي لم يزل ولايـزال وفي بعض الحكايـات أن بعض خلفاء بني العباس كان له غـلام صاحب جيش لـه وأنه تملك خمسـة آلاف غلام

(١) والأرواح لا تبلى إنما تغيب عن وجودها فلا تستطيع الجواب عند الصعقة وقد صعق موسى عليه الصلاة والسلام عندما قال « رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن أستقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً » والصعق ليس معناه الإماتة جسداً وروحاً فإنما يغيب عن وجوده كذلك عند النفخة يصعق من في السموات والأرض وليس معنى ذلك فناءالأرواح ثم إيجادها ثانية قال تعالى ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ ويستدل على ذلك أيضاً بما رواه البخاري ومسلم وكثير من أصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم : والذي اصطفى محمداً على العالمين : وقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم اليهودي فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق أو كان فيمن استثنى الله تعالى . وفي الحديث إشارات :

١ ـ أن الصعق لم يمت الجسد أو الروح .

٢ ـ أنه لو كانت الروح يفنيها الله معناها إفناء الكل حتى لا تكون وبذلك تخلق من جديد وليس في القرآن ما يشير إلى ذلك إنما الموت للأجساد وإعادتها ثانية من أصل لها قال تعالى ﴿ **قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ** ﴾ .

٣ ـ إنباء المصطفى عليه الصلاة والسلام بأن موسى عليه الصلاة والسلام لن يصعق ثانية لأن الوحي أنبأه بذلك لأنه خصوصية له .

٤ ـ أنه عليه الصلاة والسلام ذكر هذه الخصوصية لموسى تأديباً للمسلمين ورعاية وإجلالاً للمرسلين والنبيين ومجادلة لأهل الكتاب بالحكمة والموعظة الحسنة حتى لا تجفو القلوب .

وقوله عليه الصلاة والسلام في موضع آخر : « لا تفضلوني على يونس ابن متى » وهذا يريد به إظهار فضل يونس بن متى في موقف من مواقفه المجيدة مع أنه صلى الله عليه وسلم بلغ بأنه أفضل خلق الله ولكن إظهار فضيلة لرسول أو نبي إنما هي لتأديب المسلمين ولئلا يحقروا رسولاً أو نبياً بالجدل أو الإفتخار الموجب للمعاندة .

٥ ـ قال الله تعالى ﴿ **فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله** ﴾ وليست من شاء الله محددة بواحد أو أكثر إنما يمن الله بها على من يشاء وقوله تعالى ﴿ **لمن الملك اليوم** ﴾ وقد يقولها هؤلاء المستثنون من الصعق لله الواحد القهار نيابة عن جميع الخلائق لأنهم مفردون وموحدون أو أن يقولها الحق وهم مؤمنون ومتلذذون من تقرير الحق بالحق لذاته .

٦ ـ قال الله تعالى ﴿ **رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق . يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ وهذه الآيات تشير إلى أن الكافرين والمشركين والفاسقين لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم أو الإستنصار لأحد وعلموا باليقين أن مالك الملك هو الواحد القهار الذي قهرهم في هذا الموقف وهم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء وهذا تقرير للواقع أنه الواحد القهار باليقين الذي حصل وأنه مالك الملك فالحال والمقال من شهود الحق يجيب لله الواحد القهار وليس في هذه الآيات ما يشير إلى إفناء الروح كما شاع عند كثير من المسلمين .

فقربت وفاة هذا الخليفة فأحضر أركان الدولة لأخذ البيعة لبعض أولاده وكان هذا صاحب الجيش قائماً على رأسه وكانوا على بهو فنظر هذا الخليفة إليه فخاف صاحب الجيش أنه نظر سخط فرجع القهقرى فسقط من ذلك البهو واندقت عنقه من هيبة نظر الخليفة . فتوفي الخليفة في ذلك الوقت والساعة فوضعوه في بيت وتشاغلوا عن دفنه بأخذ البيعة لولي عهده فلما رجعوا إليه وجدوا الفأره قد فقأت عينه التي نظر بها إلى ذلك الغلام .

فسبحان من قهر عباده بما شاء من خلقه . وفي القصص أن نمروداً خرج بعسكره وكان معسكره أربعة فراسخ في أربعة فراسخ فقال لإبراهيم عليه السلام . قل لهذا الرب الذي تدعوه حتى يخرج لمحاربتي فقال إبراهيم إلهي تسمع ما يقول هذا الكلب فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أرسل عليه أضعف بعوضة خلقتها فعرض جبريل جيش البعوض فوجد بعوضة عرجاء شلا فسلطها الله عليه وقال لها أمهليه ثلاثة أيام كل ذلك إبلاء للعذر وإبقاء للمكر فكانت البعوضة تنتقل على وجهه من جانب إلى جانب فلم يقلع عن غيه فصعدت البعوضة إلى دماغه وكانت تأكل دماغه حتى وضع عند رأسه مرزبة وكان كل من يدخل عليه يأمره أن يضرب بها على دماغه عشر مرات . وكان يجهد في ذلك راحة حتى هلك . قال الله سبحانه ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾

* * *

باب

في معنى اسمه « الوهاب »

إعلم أن الواهب والوهاب من أسمائـه تعالى ورد بـه نص القرآن في قـوله العزيز الـوهاب وانعقـد عليه الإجمـاع . يقال وهب يهب وهبـا وهبة فهـو واهب ووهـاب على الكثـرة ومعناه المعـطي وهو من صفـات الفعل والله تعـالى جـزيـل العطاء جميل الهبة والحبا كثـير اللطف والإقبال . عـظيم المن والنوال يعـطي قبل السؤال . ويسمع خصائص الأفضال . وجاء في القصـة أن موسى صـلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه إني أرى في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم من هم قال تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم حتى اشتـاق موسى إلى لقـائهم فقال إنـك لا تراهم . ولكن إن شئت أسمعتك أصواتهم فنادى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم في أصلاب آبائهم فقالوا لبيك ربنا فقال تعالى يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني . ومن تحقق بأنه الوهـاب لم يحتشم من الفقر ومقاساة الضر ويرجع إليه في كـل وقت يحسن القصد . ويحكي أن الشبـلي سأل بعض أصحاب أبي علي الثقفي أي إسم من أسمائه يجري عـلى لسانـه أكثر فقال الرجل اسمه الوهاب . فقال الشبلي لذلك كثر مالـه . ويحكى عن بعضهم أنه قال كنت جالساً في جماعة فوقف علينا سائل وسأل شيئاً فلم يعطه أحد شيئـاً فبكى ذلك الرجل بكاءاً شديداً فرق له قلبي فقلت له تعالى حتى أعـطيك شيئـاً فقال إني لم أبك لما توهمت ولكن ذكـرت ذل من يفتقر من رحمـة الله كيف حالـه ومضى . فلما كان بعد أيام إذا نحن بإنسان عليه ثيـاب حسنة وقف علينـا وسلم وقال تعرفوني فقالوا ولا ننكرك فمن أنت فقال أنا السائل الذي رددتموني في ذلك

الوهاب : كثير العطاء لا تنفد خزائنـه يمنح من يشـاء بلا سبب إلا سبق جـوده وكرمـه وذكره يورغنى الدنيا والآخرة .

اليوم فرجعت إلى ربي فسألته النعماء فأغناني وأعطاني وأحسن إنعامي ومن الذي يحتاج منكم إلى شيء قلنا لا يخلو منا واحد إلا وله شيء لك الفضل .

وحكي عن بعضهم أنه قال رأيت شيخاً عرياناً في الطواف وهو يقول :

أما تستحي يا خالق الخلق كلهم ... أناجيك عرياناً وأنت كريم
وترزق أبناء الخنازير والزنى ... وتترك شيخاً من سراة تميم

فقلت له ألا تعلم أنه لا يخاطب بمثل هذا فقال إليك عني فإني أعلم به معك ومضى . فلم ألبث أن جاء وعليه جبة خز وهو يتبختر فلما رآني قال ألم أقل لك أنا أعلم به منك قبضت منه جبة خز .

فصل : ومن تحقق أنه الوهاب لم يرفع حوائجه إلا إليه . ولم يتوكل على أحد إلا عليه فربما يسئل بحكم الخشوع والتذلل . وربما يسئل بحكم البسط والتذلل . حكي عن بعضهم أنه قال كنت في بيت المقدس في المسجد فرأيت إنساناً ملتفاً بعبائة قائماً فسمعته يقول إن أطعمتني الخبز والطعام الفلاني والعصيدة وإلاَّ كسرت قناديلك . قال فقلت إنّا لله إما مجنون وإما وليٌّ مدل . قال وعاد إلى حالته ونام وإذا أنا بحمال معه ما أشار إليه فوضعه بين يديه فاستوى الرجل فأكل منه شيئاً وحمل الرجل الباقي ومضى . قال فقفوت أثره وسألته عن القصة فقال : إني رجل حمال تشهى على صبياني هذا منذ زمان فأصلحته اليوم فأغفأت إغفاءة فرأيت كأن قائلاً يقول لي ولي من أوليائنا في المسجد إشتهى هذا فاحمله إليه ثم أحمل ما فضل إلى صبيانك . وإعلم أن من صح توكله عليه لم يرفع حوائجه إلا إليه .

* * *

باب

في معنى اسمه « الرزاق »

الرزاق إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وانعقد عليه الإجماع ومعناه المبالغة من الرازق وحقيقة الرزق ما كان معه الإنتفاع به مهيأ له وهو مصدر رزقه يرزقه رزقاً فهو رازق فكل ما يمكن أن ينتفع به فهو في ذاته رزق وينقسم إلى حلال وحرام وشبهه فما كان موافقاً للأذن فهو حلال وما كان بعكسه فهو حرام ويبطل قول المخالفين أنه الملك لوجوب القول بأن الله سبحانه رازق الطير والبهائم والسباع ولا ملك لها ومن عرف أن الله هو الرزاق أفرده بالقصد إليه وتقرب إليه بدوام التوكل عليه قال الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقيل لبعضهم من أين يأكل فلان فقال مذ عرفت خالقه ما شككت في رازقه .

وجاء رجل إلى حاتم الأصم فقال : من أين تأكل فقال من خزائنه فقال الرجل يلقي عليك الخبز من السماء فقال لو لم تكن الأرض له لكان يلقي على الخبز من السماء فقال الرجل أنتم تقولون الكلام فقال أنه لم ينزل من السماء إلا الكلام فقال أنا لا أقوى على مجادلتك فقال لأن الباطل لا يقوم مع الحق .

وقيل لبعضهم من أين تأكل فقال من خزائن ملك لا تدخلها اللصوص ولا يأكلها السوس ودخل حاتم الأصم على إمرأته فقال إني أريد أن أسافر فكم تحتاجين من النفقة حتى أضعها لك فقالت بقدر ما نخلف من الحياة فقال حاتم وما يدريني كم تعيشين فقالت له كله إلى من يعلمه فلما خرج حاتم إلى السفر

الرزاق : المتكفل بأرزاق مخلوقاته يطعم ولا يطعم « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » يبسط ويقدر كيف يشاء وكل شيء بيده خزائنه يفتح للمتوكلين أبواب جوده . وذكره يورث الإتكال على الله ويرزق من حيث لا يحتسب .

دخل النساء عليها يظهرن الإهتمام لشأنها وأنه تركها بلا نفقة فقالت تلك المرأة أنه كان كيالاً للرزق ولم يكن رزاقاً .

فصل : واعلم أن الله سبحانه خص الأغنياء بوجود الأرزاق وخص الفقراء بشهود الرزاق وأن من سعد بوجود الرزاق ما ضره ما فاته من وجود الأرزاق ومن عرف أنه هو الرزاق رجع إليه فيما يسنح له من جليل خطب ودقيق شغل لأنه علم أنه لا شريك له في رزقه كما لا شريك له في خلقه وقيل إن موسى عليه السلام قال يوماً في مناجاته إنه لتعرض لي الحاجة الصغيرة أحياناً أفأسئلها منك أم أطلبها من غيرك فأوحى الله تعالى إليه لا تسل غيري وسلني حتى ملح عجينك وعلف شائك . وسمعت الشيخ أبا علي يقول من علامات المعرفة أن لا تسأل حوائجك قلت أو كثرت إلا من الله تعالى مثل موسى اشتاق إلى الرؤية فقال أرني أنظر إليك وأحتاج مرة إلى رغيف فقال رب أني لما أنزلت إلى من خير فقير طلب القليل . والكثير من الله . ويحكى عن حماد بن مسلمة أنه قال كان في جواري إمرأة أرملة لها أيتام وكانت ليلة ذات مطر فسمعت صوتها تقول يا رفيق أرفق قال فخطر ببالي أنها أصابتها فاقة فصبرت حتى احتبس المطر فحملت معي عشرة دنانير ودققت عليها الباب فقالت حماد بن مسلمة فقلت نعم حماد كيف الحال فقالت خير وعافية احتبس المطر ودفي الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير واصلحي بها بعض شأنك قالت فصاحت بنية لها خماسية[1] لا نريد يا حماد أن تكون بيننا وبين ربنا واسطة ثم قالت لأمها لما رفعت صوتك بإظهار السر علمت أن الله يؤدبنا بإظهار الرفق على يد مخلوق .

فصل : ومن الناس من تسمو هممهم فلا يطلبون منه الحوائج الخسيسة ويحكى عن الشبلي أنه أرسل إلى ابن يزدانيال أن أبعث إلينا شيئاً من دنياك فكتب إليه ابن يزدانيال سل دنياك من مولاك فكتب إليه الشبلي دنياي حقيرة وأنت حقير وإنما أطلب الحقير من الحقير وألا طلب من مولاي غير مولاي .

---

(١) خماسية . طولها خمسة أشبار .

ويحكي عن امرأة يحيى بن معاذ أنها قالت ليحيى لقد قضيت العجب من بنيتنا هذه انها طلبت مني شيئاً تأكله مع الخبز فقلت لها سلي من الله فقالت أنا استحي من الله أن أسأل منه ما آكل فشتان بين من هي صبية بلغ من حسن أدبها أن تستحي أن تسأل من الله مباحاً من الحلال وبين من هو شيخ طعن في السن لا يستحي من الله وهو يراه على محظور عنه نهاه لكنه يختص برحمته من يشاء ويفعل في بريته ما يريد قال سبحانه ﴿ **الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ فمنهم من يرزقه لطائف التوحيد وخصائص التوفيق ومنهم من يحرمه ذلك ويربطه بالخذلان وسوء الحرمان فنعوذ بالله من ذلك .

فصل : واعلم أنه يرزق الأرواح والسرائر . كما يرزق الأشباح والظواهر . وأرزاق القلوب . الكشوفات والمعاني كما أن أرزاق الأجساد الغذا والأحاظي . يحكى أن رجلاً كان يخدم سهل بن عبد الله فأصابه الجوع فقال يا أستاذ القوت فقال سهل الله الحي آلذي لا يموت ثم قال له بعد مدة يا أستاذ لا بد من القوت فقال سهل لا بد من الله الحي الذي لا يموت وقيل لبعضهم أي شيء القوت فقال ذكر الحي الذي لا يموت وفي معناه أنشدوا :

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها فكم تلبث النفس التي أنت قوتها

والحق سبحانه وتعالى يقبض أرزاق الظواهر ويضيقها على قوم ويبسطها على قوم آخرين كذلك سنته في أرزاق القلوب يرددها بين قبض وبسط وقبول ورد . وإنما يعطيهم إذا شاء ما شاء كما شاء لا بعلة استحقاق ولا بسبب ايجاب . قيل أن موسى عليه الصلاة السلام قال يوماً في مناجاته إلهي إني جائع فأوحى الله إليه إني أعلم ذلك فقال أطعمني فقال سبحانه إلى أن أريد . وكما أن للظواهر طعاماً وشراباً كذلك للسرائر طعام وشراب قال أهل الإشارة في قوله تعالى والذي هو يطعمني ويسقين لم يشر إلى طعام معهود ولا إلى شراب مألوف وإنما أشار إلى طعام المعرفة وشراب المحبة وأنشدوا :

شربت الحب كأساً بعد كأس فلا نفد الشراب ولا رويت

وأنشدوا أيضاً :

سقـاني شـربـة أحيـي فـؤادي فـلا أسـلو إلى يـوم الـتـنـاد

وقال بعضهم : دخلت على داود الطائي فرأيته منبسطاً وكنت إذا دخلت عليه أراه منقبضاً فقلت أي شيء حالك فقال سقاني البارحة شراب أنسه فأردت أن أجعل اليوم يوم عيد فقلت أتأذن لي أن أحمل إليك طعاماً حتى تفطر فقال لست أشير إلى هذا وشتان بين شراب يدار على الكف وشراب يكون في موجب لطف وروية كشف وأنشدوا :

فـاسـكـر الـقـوم دور كـأس وكـان سـكـري مـن المـديـر

* * *

باب

في معنى اسمه « الفتاح »

الفتاح إسم من أسمائه تعالى ورد به الخبر ونص القرآن كقوله تعالى ربنا افتح (أي أحكم) بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين (أي الحاكمين) . فيكون ذلك في وصفه بمعنى القضا والحكم والعرب تسمي الحاكم الفتاح لأنه يفتح بقضائه ما انغلق من خصومتهم ويكون الفتاح في وصفه الذي يفتح لهم ما انغلق من أبواب الرزق وتقاصرت عنه حيلهم ويقال فتح لهم باب الخير وفتح عليهم باب العذاب قال الله سبحانه فتحنا عليهم أبواب كل شيء **﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ﴾** والفتح في اللغة ضد الغلق والمفتاح الآلة التي بها يفتح الغلق وجمعه مفاتيح وهو المفتح أيضاً وجمعه المفاتح وإذا علم العبد أنه هو الفتاح والقاضي بين عباده تجنب سبل الظلم وتنكب عن جميع الجور تحققاً بأنه يحاسب على الصغير والكبير ويطالب بالنقير والقطمير .

يحكى عن بعض الصالحين أنه قال لولده يوماً لي إليك حاجة فقال وما هي قال أن تقول لي بالمساء كل ما قلته بالنهار فتكلف الابن ذلك اليوم وحفظ ما قاله للناس وأعاد إلى أبيه . فلما أصبح قال له أبوه مثل ذلك فقال له الابن عذبني بما شئت ولا تكلفني هذا فإني لا أطيقه فقال الأب يا بني إذا كنت لا تطيق محاسبة أبيك ليوم واحد مع هذا اللطف . فكيف تطيق محاسبة عمرك يوم لا يسمع من الجواب إلا ما كان صادقاً ويقال أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة ينادي أن الله تعالى يقول أنا ظالم إن جاوزني اليوم ظلم ظالم فإذا علم العبد أنه

الفتاح : الذي لا يفتح أبواب الخير ولا يوصد أبواب الشر إلا هو ولا يفصل بين الحق والباطل إلا هو حكمه العدل وقوله الفصل وذكره يورث النصر على الأعداء ويهدي إلى الحق ومعرفته .

مسئول عن جميع أفعاله وأقواله استعد لذلك اليوم فلا يعمل ما يخاف عليه العتاب ويخشى لأجله العقاب .

وقد روي في الخبر أنه لا يزول قدم عبد من مكانه حتى يسئل عن ثلاث يقال له شبابك فيما أبليته . وعمرك فيما أفنيته ومالك من أين جمعته وفيما أنفقته . وفي هذا المعنى تسلية للمظلومين . وتفريج لكربة الممتحنين ووعيد شديد على الظالمين قال ابن عباس في معنى قوله سبحانه ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون** ﴾ . ما نزلت هذه الآية إلا وعيداً للظالم وتسلية للمظلوم وأما من علم أنه الفتاح للأبواب الميسر للأسباب الكافي للخطوب المصلح للأمور فإنه لا يتعلق قلبه بغيره ولا يشتغل بدونه فكره يعيش منه بحسن الإنتظار ولا يزداد بلاء إلا ويزداد بربه ثقة ورجاء كيعقوب عليه السلام قال لبنيه بعد ما طال الأمد وتمادت الغيبة ورعوا غير مرة خائبين « يا بني إذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله » .

ويحكى عن بعض الفقراء أنه كان يأتي كل يوم ويقف بحذاء الكعبة بعد ما كان يطوف ما شاء الله . ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد أيام فعل مثل ذلك ثم تباعد ومات . فجاء بعض من كان يرمقه ونظر في الرقعة فإذا فيها « وأصبر لحكم ربك فإنكَ بأعيننا » فكان الرجل إذا أصابته الفاقة صبر ولم يظهر حاله لمخلوق حتى مات .

فصل : واعلم أنه يفتح للنفوس بركات التوفيق . وللقلوب زوائد التحقيق فبتوفيقه تتزين النفوس بالمجاهدات . وبتحقيقه تتزين القلوب بالمشاهدات .

فصل : ومن آداب من علم أنه الفتاح أن يكون حسن الإنتظار لوجود لطفه . دائم الترقب لحصول فضله . مستديم التطلع لنيل كرمه . تاركاً للإستعجال عليه ساكناً تحت جريان الحكم عالماً بأنه لا يقدم ما حكم بتأخيره ولا يؤخر ما حكم بتقديمه .

ويحكى أن رجلاً كان يؤذن لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه في مسجده . وكانت تخرج من دار علي رضي الله عنه جارة تستسقي بالغدوات فكان المؤذن يقول لها كل يوم يا فلانة إني أحبك . فشكت يوماً إلى علي رضي الله عنه وقالت إن المؤذن يقول لي كل يوم إني أحبك فقال علي رضي الله عنه قولي له وأنا أيضاً أحبك فإيش بعد هذا فقالت الجارية للمؤذن ذلك فقال المؤذن إذاً نصبر حتى يحكم الله بيننا فذكرت ذلك لعلي رضي الله عنه فدعا بالمؤذن وسأله عن القصة فأخبره بالصدق فقال علي رضوان الله عليه خذ بيدها واحملها إلى بيتك فقد حكم الله بينكما . وقيل[1] إن رجلاً باع جارية فندم واستحى أن يقول ذلك للناس وأن يعود إلى المشتري فكتب على كفه حاجته ورفع يده إلى السما ولم يقل بلسانه شيئاً فرأى المشتري في المنام أن قلب ولينا مشغول بالجارية . فردها عليه وأجرك عليَّ فلما أصبح الرجل حمل الجارية إلى البائع ودق الباب عليه فقال من أنت فقال مشتري الجارية مع الجارية : فقال أصبر حتى أخرج اليمن فقال أردها بلا ثمن فقد رضيت بما يعطيني الله بها من الأجر . وروي أن رجلاً من الفقرا طاب قلبه يوماً فخرج في وجده وطلب بلاد الروم من غير قصد فأسر وأقيم للبيع فيمن يزيد . والرجل في سكره فأفاق ورأى نفسه على تلك الحالة فقال :

أقامني حبك فيمن يزيد	في صفة الذل ونعت العبيد
ما ضرني مبتاع أم مشترى	في حبكم لأن أمري رشيد
مولاي ولهي بلغ ما ترى	فكيف نمدح غيركم يا حمد
قد حضر البائع والمشترى	عبدك موقوف فماذا تريد

قال فتغافلوا عنه في تلك الحالة ومضى الرجل على وجهه وخرج من بلاد الروم إلى بلاد الإسلام ولم يقل له أحد شيئاً .

* * *

---

(١) تقدمت هذه الحكاية .

باب

في معنى اسمه « العليم »

العليم إسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن وهو عالم وعليم وعلام والتوقيف في أسمائه تعالى معتبر والأذن في جوازها منتظر فلا يسمى إلا بما ورد به الكتاب والسنة وانعقد عليه إجماع الأمة ولهذا لا يسمى عارفاً ولا فطناً ولا عاقلاً ولا دارياً ولا ذكياً ولا شاعراً ولا إماماً . وإن كان الجميع بمعنى واحد وعلمه سبحانه نعت من نعوته . ووصف مختص بذاته ليس بمكتسب ولا ضروري دل على ثبوته شهادة أفعاله المحكمة فإذا ثبت ذلك فمن شأن من تحققه أن يكون مكتفياً بفعله عند جريان حكمه ساكناً عن تدبيره وتقديره فارغاً عن اختياره واحتياله قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . ولما أن تعرض جبريل للخليل صلوات الله تعالى عليهما وهو في الهوا حين رمي من المنجنيق قال له هل لك من حاجة . فقال أما إليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي . وقيل أن رجلاً قال لبعض الموفقين أيطلب الرجل الرزق فقال إن علم أين هو فليطلب . فقال أيسأل الله تعالى فقال إن علم أنه نسيه فليذكره قال فما الحيلة قال ترك الحيلة . ومن آداب من علم أن الله تعالى عالم الخفيات خبير بما في الصدور عليم بما في الضمائر والسرائر من الخطرات . لا يخفى عليه شيء من الحوادث في جميع الحالات فبالحري أن يستحي عن موضع إطلاعه ويرعوي[1] عن الإغترار

العليم : الذي وسع علمه كل شيء ولا يغرب عن علمه مثقال ذرة ولا تخفى عليه خافية ولا يعلم مقدار عظمته إلا هو . ولا نهاية لكماله . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . خلق العلماء والمتعلمين ويمدهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ويكشف لهم ما شاء من أسرار العلوم وذاكره يفتح الله عليه ويخاف ربه « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

(١) إرعوى عن القبح مثل ارتدع .

بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومعاجلة مكره . قال الله تعالى ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم . .** ﴾ الآية . وفي بعض الكتب إن لم تعلموا أني أراكم فالخلل إيمانكم وإن علمتم إني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم .

فصل : ومن آدابه أن لا يعارض مخلوقاً فيما يحتاج إليه من مطالبة إكتفاء بعلمه فإنه إن ساكن بقلبه مخلوقاً عوتب في الوقت إن كان له عند الله قدر . يحكى عن إبراهيم الخواص أنه قال كنت في البادية وكنت قد تهت فسمعت نباح كلب من بعيد فأصغيت إليه وأخذت نحو ذلك الصوت وقلت في نفسي أمشي نحو نباحه لأوافي العمارة فإنه لا يكون إلا في عمارة فلم ألبث أن صفعني شخص من ورائي ولم أره فوقع على البكاءوقلت إلهي هذا جزاء من توكل عليك قال فهتف بي هاتف ما دمت في خفارتنا كنت عزيزاً وإنما صفعت لأنك دخلت في خفارة كلب وهذا رأس من صفعك فنظرت فإذا برأس مقطوع بين يدي . ويحكى عن الخواص أيضاً أنه قال كنت جائعاً في الطريق فوافيت الري فخطر ببالي أن لي بها معارف فإذا دخلتها أضافوني وأطعموني قال فلما دخلت البلد رأيت منكراً احتجت أن آمر فيه بالمعروف فأمرت بالمعروف فأخذوني وضربوني فقلت في نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت في سري إنما أصابك ذلك لأنك سكنت إلى معارفك بقلبك وقلت أنهم يطعموني إذا دخلت البلد . ويحكى عن بعضهم أنه قال كنت جائعاً فقلت لبعض معارفي إني جائع فلم يفتح لي من قبله بشيء فمضيت فوجدت درهماً ملقى على الطريق فرفعته فإذا فيه مكتوب أما كان الله عالماً بجوعك حتى قلت لضعيف إني جائع . ويحكى عن أبي سعيد الخراز أنه قال خرجت وقتاً في البادية وكنت جائعاً فدخلت الكوفة وكان لي بها صديق يقال له الحواري وكان يضيفني إذا دخلت الكوفة فأتيت حانوته فوجدته غائباً فدخلت مسجداً بقرب حانوته انتظر رجوعه وقلت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين المتوكلين وقعدت مستنداً إلى إسطوانة أنتظر الحواري قال فدخل داخل فقال

الحمد لله رب العالمين وسبحان من أخلى الأرض من المتوكلين وسلام علينا وعلى جميع الكذابين يا أبا سعيد يا مدعي التوكل في الصحاري والبراري .
ليس التوكل الجلوس على البواري تنتظر الحواري قال فالتفت فلم أجد أحداً . وهكذا سنة الله مع خواص عباده لا يسامحهم في خطرة ولا يتجاوز عنهم في لحظة يطالبهم بالكبير والصغير . ويضايقهم بالنقير والقطمير وأما الذين خست رتبتهم وقلت قيمتهم . فيذرهم بإمهاله يغترون . وفي غفلاتهم ينهمكون حتى إذا أخذهم بغتة أهلكهم مرة ونعوذ بالله من ذلك .

* * *

باب

في معنى اسمه « القابض الباسط »

إعلم أنهما أسمان لله تعالى ورد بهما الخبر ونطق بهما لفظ الكتاب وهما من صفات فعله قيل معناه قابض الأرواح عن الأشباح عند الممات وباسط الأرواح في الأجساد عند الحياة وقيل معناه أنه يقبض الصدقات من الأغنياء يعني يقبلها ويبسط الأرزاق للفقراء يعني يعطيها ويهبها وقيل يقبض القلوب أي يضيقها ويوحشها ويبسط القلوب أي يبهجها ويؤنسها وقيل يقبض الرزق أي يضيقه ويبسطه أي يوسعه . واعلم أن القبض والبسط على إصطلاح أهل المعرفة في تخاطبهم نعتان يتعاقبان على القلوب فإذا غلب على قلب عبد الخوف كان بعين القبض وإذا غلب على قلبه الرجا صار من أهل البسط يحكى عن الجنيد أنه قال الخوف يقبضني والرجا يبسطني والحق يجمعني والحقيقة تغرقني وهو في ذلك كله موحشي غير مؤنسي بحضوري بذوق طعم وجودي فليته غيبني عني[1] وأفناني مني .

القابض : الذي ملك زمام كل شيء يقبض ويبسط كيف يشاء يقبض العقل فلا يفهم والقلب فلا يغنم والصدر فلا يفرح والرزق فلا يمنح والروح فلا تسرع والنفس فلا تمرح ولا يفر من حكمه وقضائه خلق من خلقه حكيم في فعله وتقدير أعرف بتبيده وهو ذكر نافع للخائفين من الأعداء ليقبض الله أيدي أعدائهم ... تصل إليهم بأذى والأولى ذكره مع اسمه تعالى الباسط . **الباسط** . الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده وكل شيء عنده بمقدار ومن ذكره يؤتيه الله بسطة في الرزق والعلم والعدل في الحكم وفي كل شيء في نفعه في الدنيا والآخرة .

---

(١) وفي كلام سيدي إبراهيم الدسوقي في هذاالمعنى إذ كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصلاة ـ اللهم صلى على الذات المحمدية اللطيفة الأحدية شمس سماء الأسرار ومظهر الأنوار ومركز مدار الجلال وقطب فلك الجمال . اللهم بسره لديك وسيره إليك آمن خوفي وأقل عثرتي وأذهب حزني وحرصي وخذني إليك مني وارزقني الفناء عني ولا تجعلني مفتوناً بنفسي محجوباً بحسي واكشف لي عن كل سر مكتوم يا حي يا قيوم . ـ

فصل : فإذا كاشف الحق سبحانه عبداً بنعت جماله بسطه وإذا كاشفه بوصف جلاله قبضه فالقبض يوجب أيحاشه والبسط يوجب إيناسه واعلم أنه يرد العبد إلى أحوال بشريته فيقبضه حتى لا يطيق رده ويأخذه مرة عن نعوته فيجد لتحمل ما يرد عليه قوة وطاقة . يحكى عن أبي عثمان الحيري أنه كان عند أبي حفص أستاذه فمد يده إلى زبيب فأخذ أبو حفص على حلقه واسترده منه فلما سكن أبو حفص قال له أبو عثمان يا أستاذ أنا أعلم أنه ليس للدنيا عندك حظ فكيف ضايقتني في زبيبة فقال أبو حفص من ذا يثق بقلب لا يملكه صاحبه . ويحكى عن بعضهم أنه قال كنت مع الخواص في سفر فنزلنا تحت شجرة فجاء أسد فربض بقربنا ففزعت فزعاً شديداً وعلوت الشجرة وقعدت على غصن إلى الصباح من خوف الأسد وقام الخواص ولم يحفل به فلما كان الليلة الثانية نزلنا في مسجد فنام الخواص فوقع على وجهه بقة فضج فقلت إن هذا عجباً لم تحتشم البارحة من الأسد وفزعت الليلة من البقة فقال إن البارحة كنت مأخوذاً عني والليلة أنا مردود عليَّ . فلهذا جزعت . ويحكى عن الشبلي أنه قال من عرف الله حمل السموات والأرضين على شعرة من جفن عينيه ومن لم يعرف الله لو تعلق به جناح بعوضة لضج فحمل هذا منه على حالتي القبض والبسط . وقال بعض أهل المعرفة إذا قبض قبض حتى لا طاقة وإذا بسط بسط حتى لا فاقة[1] .

فصل : واعلم أن الله يقبض الصدقات من الأغنياء ويقبلها لئلا يمن الغني على الفقير ويبسط الرزق للفقير لئلا تلحقهم منة من الأغنياء ليكون دفع الغني

---

(١) والقبض والبسط حالين يهذب بهما الله الذاكرين ويفتح بهما عليهم أبواب العلم والحكمة فإذا هجم القبض على أحد يهجم على صدره من أبواب الجلال وحكمة الكبير المتعال وتكثر الخواطر في إيضاح مستقبل المخاطر فيشتد خوف العبد من الله تعالى ويتذوق حكمة لا يتذوقها إلا من هذا الباب وهو عند ذلك القبض يرى أضلاعه لا تطيق صدره يكاد يتمزق من الضيق فإذا اشتد عليه الحال لطف الله به عند ذلك المقدار الذي يطيقه فينعرج صدره بالبسط إذ تهجم عليه خواطر الحق بايقاظه للنعم التي أعدها الله لأحبابه ويتعلم عن صاحب الإكرام وعود الأنعام ويغرقه في بحار من البسط لا يسعها إلا صدره ولو فتحت للخليقة لسرتها ورنحتها فإذا هجم عليه حال الدلال أخافه الله من مكره حتى يصل إلى الإعتدال وتهجم عليه بعد ذلك أحوال القبض وهكذا دواليك تتناوب عليه أحوال القبض والبسط وهو يترقى من إنتقال إلى إنتقال ومن قبض إلى قبض ومن بسط إلى بسط فهذه تربية الله لأحبابه من المختارين من عباده .

غير الله وكان الإشارة إلى الجملتين إفراد القلب لله عن غير الله وتصفية السر عما سوى الله فالغنى ينبغي أن لا يذل على الفقرا بل يذل لله والفقير يجب أن لا يذل لغير الله بل يشتغل بالله تعالى .

فصل : وكان الدقاق رحمه الله تعالى يقول القبض حق الحق منك والبسط حظ العبد منه ولأن تكون بحقه منك أتم من أن تكون بحظك منه وينبغي أن يتجنب الضجر في وقت نهضه وتتجنب ترك الأدب في حال بسطه . وفي بعض الحكايات أن بعضهم قال فتح عليَّ باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مكاني . وسئل بعض المشايخ عن تلك الزلة أيش كانت فقال إنبساط مع الحق بغير إذن ومن هذا خشي الأكابر والسادة .

* * *

باب

في معنى اسمه « الخافض الرافع »

إعلم أنهما إسمان من أسمائه تعالى ورد بهما الخبر وهما من صفات فعله يرفع من يشاء بأنعامه ويخفض من يشاء بانتقامه وعلى هذا يحمل تصريفه لعباده في حالتي عزهم وذلهم وغناهم وفقرهم وكذا رفع الحق وحزبه وخفض الباطل وصحبه . ورفع الدين وشعاره وخفض الكفر وآثاره ورفع التوحيد ودليله . وخفض الألحاد وسبيله ، ورفع الإسلام وأنواره وخفض الأصنام ومن رضي تعظيمها واحقاره . ورفع القلوب بتقريبه وخفض النفوس بحكم تعذيبه . ورفع أولياءه بحفظ عهده وحسن وده وجميل رفده وصدق وعده وخفض الأعداء بصده ورده وطرده وبعده ورفع من اتبع رضاه . وخفض من أتبع هواه . وقيل من رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته .

وقيل في بعض الحكايات إن رجلاً رئي واقفاً في الهوا فقيل له بم بلغت هذه المنزلة فقال أنا رجل جعلت هواي تحت قدمي فسخر الله لي الهوا وليس المرفوع قدراً . والمعلى شأناً وأمراً . والمستحق مجداً وفخراً . من وضع الطين على الطين وتكبر على المساكين . وافتخر على أشكاله بكثرة ماله واستقامة أحواله . وإنما المشرف شأناً . والمعلى رتبة ومكاناً من رفعه الله بتوفيقه وأيده بتصديقه وهداه إلى طريقه . صفا مع الله قلبه وخلا له وجهه ولبه . وصعد إلى السماء أنينه . وصدق إلى الله شوقه وحنينه .

الخافض : الذي ينزل العتاة والمتكبرين وأهل الظلم منازل الذل والهوان وذكره يورث خشية الله تعالى والنصر على الأعداء وخفض الجناح للمؤمنين .

الرافع : الذي يهب الدرجات العلا لمن يشاء من عباده وينصر أحباءه ويرفع أقدارهم على غيرهم ومن ذكره يترفع عن الأمور الموجبة للنقص في درجات الآخرة ويزداد في التواضع لله ومحبته .

وروي في الخبر كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له[1] لو أقسم على الله لأبر قسمه . واعلم أن المخفوض حقاً من النكبة التوفيق والنصرة . وأدركه الخذلان والفترة . وأسرته نفسه فهو بشهواتها مربوط . وفي وقته تقصير وتخليط وتفريط . إن رجع إلى قلبه لم يجد خيراً من ربه وإن رجع إلى ربه لم يجد خطراً لقدره . فهو بالهجران موسوم . وبين الفترات والأشغال مقسوم . يبيت في فترة . ويصبح على حسرة وفي بعض الحكايات من أراد ملك الدارين فليدخل في مذهبنا يومين وفي معناه أنشدوا :

لله درهم من فتية[2] بكروا مثل القضاة وكانوا كالمفاليس

وقيل إن إمرأة كانت تكنس المساجد وكانت تسمى مسكينة فماتت فرئيت في المنام فقيل لها ما حالك يا مسكينة فقالت هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغني الأكبر .

فصل : واعلم أن من تذلل لله تعالى في دنياه رفعه الله في عقباه قال الله تعالى ﴿ **وملكاً كبيراً** ﴾ وجاء في التفسير أنه سبحانه يرسل الملك إلى وليه ويقول له استأذن على عبدي فإن أذن لك فادخل وإلا فارجع فيستأذن عليه من سبعين حاجباً ثم يدخل عليه ومعه كتاب الله مكتوب على عنوانه من الحي الذي لا يموت إلى الحي الذي لا يموت فإذا فتح الكتاب وجد مكتوباً فيه عبدي اشتقت إليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركبه فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق إلى أن يصل إلى بساط اللقا وأما الذين يخفضهم فهم أذل من التراب تطؤهم الأقدام قال الله تعالى ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً** ﴾ .

* * *

(١) أي لا يبالى ولا يحتفل به .
(٢) جمع فتى وهو العبد .

باب

في معنى اسمه « المعز المذل »

هما إسمان من أسمائه تعالى وصفات فعله فاعزازه للعبد يكون في الدنيا والآخرة فأما في الدنيا فيكون بالمال والحال فالمال لتجمل الظواهر . والحال لتزين السرائر . والمال يتحصل الإستغنا بهمن الأمثال والأشكال والحال يتحصل الإفتقار بها إلى من لم يزل ولا يزال فالإعزاز بالمال فيما بين الخلق والإعزاز بالحال على باب الحق . واعلم أن الله سبحانه وتعالى يعز الزاهدين بعزوب نفوسهم عن الدنيا ويعز العابدين بسلامة نفوسهم عن الرغائب والمنا ويعز أصحاب العبادات بسلامتهم عن إتباع الهوى ويعز المريدين بزهادتهم في صحبة الورى وانقطاعهم إلى باب المولى ويعز العارفين بتأهيلهم لمقامات النجوى ويعز المحبين بالكشف واللقا والفقا عن كل ما هو غير وسوى ويعز الموحدين بشهود جلال من له البقاء والبهاء .

فصل : واعلم أن إعزاز الحق لعباده يكون بصحة القناعة فإن الذل كله في الطمع وقيل أن العقاب يطير في الهواء في تصاعده فلا يرتقي طرف إلى مطاره ولا تسمو همة إلى الوصول إليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فيدليه الطمع من مطاره فتعلق الشبكة بجناحه فيصيده صبي ثم يلعب به ولولا الأطماع الكاذبة لما استعبد الأحرار بكل شيء لا خطر له وفي معناه أنشدوا :

المعز : الذي يهب العز وموجباته لمن شاء من خلقه لأهل الدنيا بالجاه والمال ولأهل الآخرة بالعلم وصالح الأعمال وذاكره يكرمه الله في الدنيا والآخرة ويكون محبوباً مهيباً .

المذل : الذي يهين المتكبرين وقد أعد لهم جهنم ويذل النفوس الطاغية بالجوع والفقر والمرض والضعف والمعاصي « ومن يهن الله فما له من مكرم » وذكره يورث الخوف من الله والتواضع وقهر النفس على معرفة الحق الكامخ بفتح الميم وربما كسرت معرب وهو ما يؤتدم به .

وخير رداء يرتديه ابن حرة　　سلامة عرض لم يدنس بمطمع

وأنشدوا :

طمعت بليلى أن تجود وإنما　　تقطع أعناق الرجال المطامع

وأنشدوا :

إذا أظمأتك أكف اللئا　　م كفتك القناعة شبعاً وريا

فكن رجلاً رجله في الثرى　　وهامة همته في الثريا

أبيا لقاءك ذا ثروة　　تراه بما في يديه أبيا

فإن إراقة ماء الحيا　　ة دون إراقة ماء المحيا

وأنشدوا :

وإني عفيف عن مطاعم جمة　　إذا زين الفحشا للنفس جوعها

وقيل أن فتحا الموصلي كان قاعداً فسئل عمن يتابع الشهوات كيف صفته . وكان بقربه صبيان مع أحدهما خبز بلا أدام ومع الآخر خبز مع كامخ[1] فقال الذي لم يكن له كامخ لصاحبه أطعمني مما معك فقال بشرط أن تكون كلبي فقال له صاحبه نعم فجعل خيطاً في فمه وجعل يجره كما يقال الكلب فقال فتح للسائل أما أنه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخه لم يصر كلباً لصاحبه . وقيل لولا الأطماع لما اندقت الأعناق .

فصل : وإذا أراد الله إعزاز عبد قربه من بساطه وأهله لمناجاته وإذا أراد الله إذلال عبدٍ ربطه بشهواته وحال بينه وبين قربته ومخاطباته وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة . وحكي عن بعضهم أنه دخل على تلميذ له فقدم التلميذ إليه خبزاً قفاراً ولم يكن له إدام فأخذ يتمنى بقلبه أن ليت كان له إدام يقدمه إلى أستاذه فقام الأستاذ وقال تعال معي فحمله إلى باب

---

(١) الكافح بفتح الميم كسرت معرب وهو ما يؤتدم به

السجن فرأى الناس يضرب واحد ويقطع آخر ويعذب كل واحد بنوع من العذاب فقال الأستاذ للتلميذ ترى هؤلاء هم الذين لم يصبروا على الخبز القفار . وقيل إن رجلاً خرج من السجن وفي رجله قيد ويسأل الناس فقال لا لسان أعطني كسرة فقال له لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك . وحكي أن رجلاً خطر بباب أمير فرأى الناس محجوبين عليه إلا خادماً كان يدخله بلا حجاب فسأل عن حاله فقيل دار الحرم متى شاء بلا حجاب فقال ولم ؟ فقالوا إنه مفقود آلة الشهوة فقال سبحان من وعظني بعد سبعين سنة بخصي . فمن أراد الدخول بلا حجاب فعليه بترك الشهوات .

فصل : ليس العزيز من تطاول على أشكاله بماله ورياشه[1] وانتظام أسباب معاشه . ويتطاول على أبناء جنسه ويعجب بسلامة نفسه . وينسى ما كان يقاسي في أمسه إنما العزيز من له ذرة من روح أنسه . وجنب عن صحبة نفسه . وأبناء جنسه . وشهود قدسه .

واعلم أن الذليل من اعتز بالعصيان . وتعود موجبات النسيان . واتصف بالكفر والطغيان فهو بآفاته موسوم . وبمخالفاته في أغلب أوقاته عن وجود توفيقه محروم ، فإن المشايخ قالوا ما أعز الله عبداً بمثل ما يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبداً بمثل ما يرده إلى توهم عزه وقيل في معنى قوله تعالى ﴿ **تعز من تشاء وتذل من تشاء** ﴾ تعز من تشاء بأن يكون لك بك معك بين يديك وتذل من تشاء بأن يكون في أسر نفسه وغطاء شهواته وسجن تمنيه وأفاته يصبح عجوباً ويمسي محروماً لا بالطاعات توفيق ولا بالقلب تصديق . ولا في الحال تحقيق . نعوذ بالله من شر الأقدار وسوء الإختيار وبالله التوفيق .

* * *

(١) الرياش بالكسر يقال في الجال والحالة الجميلة . مصباح .

باب

في معنى اسمه « السميع البصير »

هما إسمان من أسمائه تعالى ورد بهما النص وانعقد عليهما الإجماع وسمعه وبصره صفتان له زائدتان على علمه بخلاف من خالف فيه من القدرية وهما إدراكان له فلا يخرج مسموع عن سمعه. ولا موجود عن بصره وحد ما يحدون أن يسمع ويرى على الحقيقة فهو الموجود وليس من شرط سمعه وبصره حلول في عضو واختصاص منه بجزء لأنه سبحانه أحدي الذات فردي الحقيقة غير منقسم في ذاته ولا متألف بشيء من أمثاله وسمعه وبصره لا يتعلقان بمعدوم لإستحالة أن يكون المعدوم مدركاً وأنه لا يحجب شيء عن بصره وسمعه يسمع السر والنجوى[1] ويبصر ما هو تحت أطباق الثرى وكل من عرف من عباده أنه هو

السميع : المدرك للموجودات العليم بحركاتها وسكناتها فلا تصدر إلا عن تدبيره ويسمع أصواتها الحادثة بسمعه القديم المنزه عن مشابهة الحادث فلا تختلف عليه دعوات خلقه ولا يشتغل بشيء عن شيء سبحانه وتعالى ﴿ **أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً** ﴾ وذاكره يخاف أن يظلم الناس ومن قرن ذكره باسمه تعالى العليم يكون أرجى لإستجابة الدعاء .

البصير : المدرك للموجودات العليم بحركاتها وسكناتها فلا تصدر إلا عن تدبيره ويبصر حركاتها الحادثة وكلياتها وجزئياتها ببصره القديم المنزه عن مشابهة الحادث ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا شيء شيئاً . وذاكره يكون من أهل مراقبة الحق ويصفو باطنه حتى ينظر بنور الله ويكون من أهل الكشف .

ولله سبحانه وتعالى سبع صفات معان قائمة بالذات وهي الإرادة والقدرة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام . وقال أئمة الشريعة أمروها كما جاءت واختلف الأشاعرة مع المعتزلة فالأشاعرة جعلوا هذه الصفات واجبة كل صفة بذاتها وأما المعتزلة فجعلوا هذه الصفات مندرجة تحت صفة العلم . وأما حاسة اللمس والذوق والشم . فقال بعض الأشاعرة أن من صفاته الإدراك والإدراك تابع للعلم . . وبعضهم رد عليهم بأن الصفات توقيفية ولا يجوز زيادتها وأضافوا الإدراك إلى العلم فوقعوا فيما وقع فيه المعتزلة .

---

(١) النجوى المسارة .

السميع البصير فمن آدابه دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة وقيل إن رجلاً من الملوك كان له عبد وكان يقبل عليه أكثر مما يقبل على أمثاله ولم يكن أحسن منهم صورة ولا أكثر قيمة فتعجبوا منه وكان قد ركب الأمير يوماً في صحراء ومعه ندماؤه وغلمانه فنظر إلى جبل من بعيد وعليه قطعة ثلج فنظر

• الكل متفق على أن السمع بلا آلة وكذلك البصر وغيره بلا آلة ولكن المعتزلة قالوا إن صفة السمع أو البصر أو غيرها . إذا لم تكن بآلة تتبع العلم . لأنهم لم يتصوروا أن تكون بغير آلة وتكون كل صفة وحدها .

والحقيقة أن قياسها على الحوادث قياس خاطىء لأننا لا ننظر إلا بالعين ولا نسمع إلا بالأذن ولا نشم إلا بالأنف ولا نتذوق إلا باللسان ولا نتكلم أيضاً إلا له ولا نلمس إلا بأداة اللمس وهي متجزأة . ولكن إذا أمعنا النظر وتحققنا نجد أن هذه الحواس لا تنظر ولا تسمع ولكنها توصل دقات كهربائية دقيقة وبسرعة مذهلة إلى المركز العام للروح وهي تميز المسموعات والمبصرات وهي تميز بها صوراً وأنغاماً وألواناً إلى غير ذلك مما تميزه الروح .

والتمييز في الروح غير متجزأ مع أنها محدثة ؟ . وأثبت العلم أن الموجات الأثيرية التي يشعها الجسم الإنساني أدق وحساس أكثر من أي موصل من الطاقة الذرية ولذلك الآن يستخدمون الطاقة الجسمانية في التوصيل إلى العقول الألكترونية وهي في أقصى أبعاد السموات ولا زال العلم يكشف عن إعجاز الله في خلقه وقدرته وأحكامه . وهذا مثل مع الفارق إذ لم يكشف سر الروح واضحاً على حقيقته للآن قال تعالى ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ ولكن جميع هذه الصفات بالنسبة لله موجودة ولكن ليست متجزأة فالسمع ليس متجزأ في الذات والبصر ليس جزءاً من الذات وكذلك غيره لأنه ذات واحدة غير متجزأة بالصفات ولما كان إدراك كنه الذات بعيد المنال . فلم يعقل المعتزلة أن يكون سميعاً بذاته بصيراً بذاته . . . إلخ دون أن تتجزأ هذه الصفات بالذات فلم يقدروا على فهم ذلك وجعلوا كل صفة من هذه الصفات مضافة للعلم ولا يجوز الدخول في هذه المناقشات الكلامية . ويجب إثبات كل صفة لله تعالى دون التكلم في كيفية الذات وكيفية الإبصار أو السمع أو غيره لأنه لايدري كنه ذاته إلا هو ومن أراد الزيادة فليرجع إلى كتابنا « نور الحي القيوم يظهر لباحث العلوم وتجريد التوحيد للجيل الجديد »

وهذه الصفات العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والحياة والكلام صفات قديمة بقدم الذات وأثرها يظهر عند الخلق والإيجاد فمثلاً البصر أزلي قديم ثابت لا يعتريه الإهتزاز أو النقص أو الزيادة أو تحجبه الظلمة أو يبهره النور وهو خالق الظلمة والنور وبصره إذا خلق أبصر جميع ما خلق والعلم صفة للذات غير السمع والبصر وغيرهما من الصفات ولم تتجزأ كلها بالذات فالذات واحدة ولها جميع الصفات فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الملك نظرة واحدة وأطرق فركض هذا الغلام دابته من غير أن ينظر الأمير إليه أو أشار بشيء عليه ولم يعلم الناس لما يركض فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء الغلام ومعه شيء من ذلك الثلج فسئل بما عرفت أنه أراد الثلج فقال لأنه نظر إليه ونظر الملوك إلى شيء لا يكون إلا على أصل فقال الأمير إنما أقبل على هذا أكبر من إقبالي على غيره بهذا الذي رأيتم لأن الكل مشتغلون بأنفسهم وهذا مشتغل بمراعاة أحوالي وأن من علامات من يعلم أنه السميع البصير أن يكون مستحيا من إطلاعه عليه وسمعه لما يقول، روي عن الصديق رضوان الله عليه أنه قال إني لأغتسل في الليلة الظلماء فأحني صلبي حياء من ربي ويقال إن عصيت مولاك فاعص في موضع لا يراك .

فصل : ومن الطاف الله سبحانه بعباده الذين يحفظون له سمعهم وبصرهم أن يكفيهم مؤنة أنفسهم ويصونهم في أحوالهم فتكون أسماعهم مصونة عن سماع كل لغو[1] وأبصارهم محفوظة عن شهود كل كبيرة ولهو . روي في الخبر أن الله تعالى يقول ما تقرب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى يحبني وأحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً فيَّ يسمع وبي يبصر وهذا هو محل الحفظ ووصف التخصيص في العناية روي عن سهل بن عبد الله أنه قال مذ كذا سنة أنا أخاطب الحق سبحانه والناس يتوهمون أني أكلمهم وفي معناه أنشدوا :

وظنوني مدحتهم قديماً ... وأنت بما مدحتهم مرادي

وهذا هو صفة الجمع الذي أشار إليه القوم أن لا يكون العبد لنفسه بنفسه بل يكون لربه بربه وإذا علم أن مولاه يسمع ما يقول ويرى ما يختلف به من الأحوال فإنه يكتفي بسمعه وبصره عن انتقامه وانتصاره فإن نصرة الحق سبحانه أتم له من نصرته لنفسه قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » ثم أنظر بماذا سلاه وكيف خفف عنه تحمل

---

(١) إخلاط الكلام .

أثقال بلواهم بما شغله به فأمره به حيث قال عن ذكره « فسبح بحمد ربـك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » أي إتصف أنت بمدحنا وثنائنا إذا تأذيت بسماع السوء فيك فاستروح بروح ثنائك علينا ثم أنه سبحانه لما قالوا لـه عليه الصلاة والسـلام أنه مجنـون تـولى نفي ذلـك عنـه ورد عليهم فقـال تعـالى ﴿ ن والقلم ومـا يسطرون مـا أنت بنعمة ربـك بمجنون ﴾ فنفى ذلـك عنه بمـا أقسم عليه تحقيقاً لتنـزيهه وتـطهيراً لنعمتـه صلى الله عليـه وسلم ثم عاب قـائله بعشر خصال من الذم حيث قال « ولا تطع كـل حلاف مهـين » إلى قولـه « عتل بعد ذلك زنيم » فإن رد الحق سبحانه الذي رد به عنه عليه الصلاة والسـلام أتم من رده ذلك لنفسه .

* * *

باب

في معنى اسمه « الحكم العدل »

الحكم هو الحاكم وحكمه خبره عن الشيء على وصف فيكون ذلك من صفات ذاته ويكون حكمه أيضاً بين عباده بشيء وهو أن يخلق ذلك الشيء على الوجه الذي يريد يقال حكم لفلان بالنعمة أي أنعم عليه وحكم على فلان بالمصيبة : إذا خلق الله له البلاء فيكون هذا من صفات الفعل وأما الوصف له بأنه العدل فيكون من صفات الذات على أن له أن يفعل في ملكه ما يريد فيشير إلى إستحقاقه لصفات العلو لأن حقيقة العدل أن يكون فعلاً حسناً صواباً وإنما يكون حسناً صواباً إذا كان لفاعله أن يفعله فهو عادل وأفعاله عدل وله أن يفعل بحق ملكه ما يريد في خلقه . حكي أن رجلاً جاء إلى سمنون وقال له ما معنى قوله تعالى ومكروا ومكر الله فأنشد سمنون :

ويقبح من سواك الفعل عندي ... فتفعله فيحسن منك ذاكا

فقال الرجل نسألك عن آية من كتاب الله تعالى فتجيبني ببيت شعر فقال له سمنون من أي بلد أنت فقال من الجبل فقال له من الذين هم في الناس كالكرات في البقل لم أجبك ببيت لقصوري في الجواب ولكن أردت أن أبين لك أن في أقل القليل أدل دليل على ما سألت بخليته إياهم مع مكرهم مكره بهم فمن علم أنه العدل لم يستقبح منه موجوداً ولم يستثقل منه حكماً بل يستقبل حكمه بالرضى ويصبر تحت بلاياه بغير شكوى ولم يضق بتحمل بلاياه قلباً ووسع بمقاساة مفاجآة تقديره صدراً . يحكى عن أبي عثمان المغربي أنه قال قلوب العارفين أفواهها[1] فاغرة لمفاجأة القدر .

(١) أي منفتحة .

فصـل : واعلم أن الله تعالى حكم في الأزل لعباده بما شاء فمنهم شقي وسعيد وقريب وبعيد فمن حكم لـه بالشقاوة لا يسعد أبداً ومن حكم لـه بالسعادة لا يشقى أبداً ولذا قالوا من أقصته السوابق لم يدنه الوسائل وقالوا من قعد به جده لم ينهض به جده وقيل إذا كان الرضى والغضب صفة أزلية فما تنفع الأكمام المعقدة والأقدام المورمة والوجوه المصفرة وقيل إن بعض الأكابر كان قاعداً فمر به تابوت يهودي أوصى بأن يدفن في بيت المقدس فقال ذلك الشيخ أيكابرون الأزل أما علم هؤلاء أنهم لو دفنوا هذا في فراديس العلا لجاءت لظى بأنكالها[1] وحملته إلى نفسها . وكان الدقاق رحمه الله كثيراً ما ينشد :

ما حيلتي تفعل الأقدار ما أمرت   والناس من بين ذي غي وذي رشد

واعلم أن الناس على أربعة أقسام أصحاب السوابق فتكون فكرتهم أبداً فيما سبق لهم من الله سبحانه يعلمون أن الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبد سمعت الدقاق يقول سمعت بعضهم يقول كان الواسطي رحمه الله يصيح ليلة إلى الصباح فلما أصبح قيل له ما أصابك فقال سمعت البارحة رجلاً يقول أيا راهبي نجران ما فعلت هند فقلت في نفسي ما الذي سبق لك من الله تعالى في الأزل وطائفة ثانية هم أصحاب العواقب يتفكرون فيما يختم به أمرهم فإن الأمور بخواتيمها والعاقبة مستورة ولهذا قيل لا يغرنكم صفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات وقيل ظلال الأسنة تلوح من خلال المنة[2] فكم من ربيع تتورد أشجاره وتظهر ثماره وأزهاره ووطن عليه أهله قلوبهم فلم يلبثوا أن أصابته جائحة سماوية فطاح واضمحل قال الله سبحانه أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس وكم من مريد لاحت عليه أنوار الإرادة وظهرت عليه آثار السعادة وانتشر صيته في الافاق وعقدت عليه الخناق بالأطباق . وظنوا أنه من جملة أوليائه وأهل صفائه . فأبدل بالوحشة صفاوة . وبالغيبة ضياؤه وأنشدوا :

---

(١) الإنكال جمع نكل بكسر النون وهو القيد الثقيل .
(٢) الخلال جمع خلل كجبل الفرق بين الشيئين .

أحسنت ظنك بالأيام إذا حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقيل أيضاً في معناه :

يا سائلي كيف كنت بوري لقيت ما ساءني وسره
ما زلت أحتال في رضاه حتى أمنت الزمان مكره
صال على الصدود حتى لم يبق مما شهدت ذره

سمعت الشيخ أبا علي الدقائق يقول كان بعض المشايخ له حالة مع الله جميلة فلم ير مدة فلما رئي بعد زمان لم يكن على ما عهد عليه قبله من صفاء الوقت فقيل له يا أبا فلان إيش أصابك فقال آه حجاب وقع . والطائفة الثالثة هم أصحاب الوقت لا يشتغلون بالفكر في السوابق والعواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت وأداء ما كلفوا من أحكام الوقت فيكون الغالب عليهم هذا . وقد قيل العارف ابن وقته . وقيل لبعضهم تكلم فقال : حتى أجد إنساناً فقيل له ومن تريد فقال من لا يهمه ماضي وقته ولا آتيه بل يهمه وقته الذي هو فيه . وقيل الصوفي من لا ماضي له ولا مستقبل . وسمعت الشيخ منصور المغربي يقول : رأى بعض الفقراء أبا بكر الصديق فقال أوصني فقال كن ابن وقتك . وأما الطائفة الرابعة فالغالب عليهم ذكر الحق سبحانه فهم مأخوذون بشهود الحق على مراعاة الأوقات لا يتفرغون إلى مراعاة وقت وزمان ولا يتطلعون لشهود حين وأوان . قال عبد الله بن يوسف دخلت على بعض المشايخ بهراة فأردت أن أقوم من عنده فقال لي تخرج فقلت لا أشغل في وقت الشيخ أكثر من هذا فقال يا بني أنا لست للوقت الوقت ما شغلني به ربي وفي معناه أنشدوا :

لست أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلا
إن للعاشقين عن قصر الليل وعن طوله من الهجر شغلا

ويحكى عن الجنيد أنه قال دخلت على السري يوماً وقلت له كيف

أصبحت ؟ فأنشأ يقول :

مـا في النهار ولا في الليـل لي فـرج ولا أبـالي أطـال الليـل أم قصـرا

ثم قال : ليس عند ربكم صباح ولا مساء . أشار بهذا إلى أنه غير متطلع للأوقات . بل هو مستغرق بشهود الموقف عن الحالات والتيـارات . وفي معناه أنشد :

لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا أكـون إن كنت أدري كـيف لم أكـن
كن لي كـما كنت لي في حـين لم أكن يـا من به صـرت بين الـرزء والحـزن

وربما يزيد المعنى ويغلب على صاحب هذا النعت حتى يصير فانيـاً عن كل إحسـاس وحتى يفني عن فنـائـه قـال الله سبحـانـه : ﴿ **وتحسبهم أيقـاظـاً وهم رقود** ﴾ . وحكي أن رجلاً دق الباب على أبي يزيد فقـال إيش تريـد ؟ فقال أبـا يزيد فقال ليس في الدار أبو يزيـد . وحكي أن رجلاً قـال للشعلي أين الشبـلي ؟ فقال مات لا رحمه الله . وقيل إن ذا النون المصري بعث رجلاً يتعرف لـه أحوال أبي يـزيد البسـطامي ويصفها لـه لما تنـاهى إليه أخبـاره فحضر الـرجـل بسـطام واستدل على أبي يزيد فدل عليه وهـو في مسجده فـدخل عليـه وسلم فقال إيش تريد ؟ فقال : أريد أبا يزيد فقال أبو يزيد أين أبو يزيد أنا في طلب أبي يزيـد . فقـال الرجـل في نفسه : هـذا مجنون لقـد ضاع سفـري فـرجـع إلى ذي النـون ووصف لـه مـا رأى وسمـع فبكى ذو النـون وقـال : أخي أبـو يـزيـد ذهب في الذاهبين في الله . سمعت الشيخ أبا علي الدقـاق يقول في قـوله تعـالى مخبراً عن إبراهيم « إني ذاهب إلى ربي سيهدين » قـال كان ذاهبـاً في الله فلهذا صـار ذاهباً إلى الله فذهابه في الله أوجب ذهابه إلى الله تعالى . واعلم أن هذه الألفاظ تـوهم ظواهرها وإنما يقف على معانيها ومرمى القول فيها من جمع بين حقـائق الأصول وبـين شيء من علوم هذه الـطائفة وتحقق ولـو بشظيـة من معـانيـه وإلا وقـع في الاعتـراض على السادة ونعوذ بالله من تلك العقوبة .

باب

في معنى إسمه « اللطيف »

إعلم أن اللطيف إسم من أسمائه نطق به القرآن . قال الله تعالى : ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ واللطيف في اللغة له ثلاث معان أحدها أن يكون عالماً بدقائق العلوم وغوامضها ومشكلاتها . يقال فلان لطيف الكف إذا كان حاذقاً في صنعته ماهراً بما يشكل على غيره واللطيف هو الشيء الصغير الدقيق وهو ضد الكثيف يقال لطف يلطف فهو لطيف إذا صغر ودق ويقال لطف يلطف إذ رفق به وأوصل إليه منافعه من حيث لا يعلم هو ولا يقدر عليه برفق منه فاللطيف هو الدقيق ضد الكثيف وهذا المعنى في وصفه مستحيل واللطيف هو العليم بدقائق الأمور ومشكلاتها وهذا في وصفه واجب واللطيف المحسن الموصل للمنافع برفق وهذا في نعته مستحق وهذا من صفات فعله وقوله تعالى الله لطيف بعباده يحتمل المعنيين جميعاً أن يكون عالماً بهم وبمواضع حوائجهم يرزق من يشاء كما يشاء ولطيف بهم يحسن إليهم ويتفضل عليم ويرفق بهم .

فصل : وإذا حملت قوله الله لطيف بعباده على صفات الذات وأنه بمعنى العالم بخفايا أمورهم فالآية تشير إلى تخويف ما لأنه العليم بخفيات الإلتفاتات ودقائق اللحظات . قال الله تعالى ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾ فيوجب قبض العبد ويذكره لوصف الإطلاع . وإن كثير من الناس يتوهمون أن لهم طاعات يستحقون عليها درجات وكرامات فإذا حصل ذلك ظهرت الآفات

اللطيف : الذي يعلم بواطن الأمور وخفياتها ويصور الشيء في قالب ضده بحكم تدبيره ولطف تصويره فيجعل النقمة نعمة ويبهم الأمر على خلقه رحمة بهم ليزدادوا خوفاً ورجاء وحباً في الله ورجوعاً إليه فلا يؤمن مكره ولا يجحد فضله « إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم » وذاكره يكون ملطوفاً به في القدر ملحوظاً بالعناية كثير الأرزاق ومن داوم على ذكره تنكشف له بواطن الأمور ولا يجوز ذكره إلا بإذن من شيخ عارف

قال الله تعالى ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ وقال تعـالى : ﴿ وهم يحسبـون أنهم يحسنون صنعاً ﴾ قال المشـايخ لكم من الآفـات في الطاعـات مـا يمنعكم عن إرتكـاب المخالفـات وأن المفلس حقاً من ظن أن مـوسر ثم بـان لـه إفلاسه عند تصفح ديوانه .

فصل : وقد قيل من لطفه سبحانه وتعالى بعباده أنه أعطاهم فوق الكفـاية وكلفهم دون الطاقة قال الله سبحانه وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة والأسباغ ما يفضل عن قدر الحاجة وقال في صفة التكليف وما جعـل عليكم في الدين من حرج[1] وقال عز ذكره ويضع عنهم أصرهم والأغلال[2] التي كانت عليهم وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال صلى الله عليـه وسلم يسروا ولا تعسروا وإبشـروا ولا تنفروا وأنـه تعالى لمـا أوجب على العبـد في اليوم والليلة خمس صلوات لم يكلفـه أن يوديهـا دفعة واحـدة بل جعلهـا عليه منجمـة فصلاة يومك لم يقبضها منك دفعة واحـدة وأعطاك من الـرزق ما يكفيـك لسنين كثيرة وأنت تشكو وتتهم حكي أن رجـلاً جاء إلى بعض الصـالحين وقـال إلى كم تقولون إنه يوسع الرزق ومذ كذا يوم لم يكن في داري شيء ولم يطعم عيالي شيئاً حتى بعت شيئاً ورثته عن أبي وورثـه أبي عن جدي فقـال الرجـل الصـالـح يـا ضعيف اليقين والنظر ويا قليل الفتـوة والعبر كـذا وكذا سنـة قبضت منه هـذا الرزق وأنت تشكوه وتتهمه ، ومن لطفـه بعباده أن يـوصل اليهم مـا يحتاجـون إليه من غير تجسم كلفة فإن الرجل إذا أكل لقمة فلو فكر فيها لعلم كم عين سهـرت في تلك الليلة حتى صلحت لتناوله من عامل أصلح الأرض لـزراعتها ثم لإلقـاء البذر فيها ثم لسقيها ثم لحصادها ثم لتنقيتها ثم لـطحنها ثم لخبـزها وهكـذا كل شيء يرتفق به من ملبوس ومشروب ومطعوم فلو احتاج إلى ممارسـة تلك الأشياء للحقه من المشقة مـا لا طاقـة له بـه ومن لطفـه بعباده تـوفيق الطاعـات وتسهيل العبادات وتيسير الموافقات إذ لـولا ذلك لكـان للمخالفـات مرتكبـاً وفي الزلات

(١) ضيق .
(٢) الشدائد .

منهمكاً .ثم من لطفه بالعباد حفظ التوحيد في القلوب وصيانة العقائد عن الإرتياب وسلامة القلوب عن الإضطراب قال الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فإن بقاء المعرفة بين وحشة الزلة أعجب من إخراج اللبن من بين الفرث والدم ولكن جرت سعته سبحانه وتعالى بحفظ كل لطيفة بين كل كثيفة بل أجرى سنته باخفاء الودائع في مواضع مجهولة وكما أنه جعل الحجر الصلد معدن الذهب والفضة وكثير من الجواهر كذلك جعل القلوب معادن العقائد الصافية والمعارف الصحيحة وكما جعل الغار للمصطفى وللصديق مأوى والجب ليوسف مثوى والصدف للدر درجاً والنحل للعسل مكاناً والدود للإبريسم محلاً كذلك جعل قلب العبد لمحبته ومعرفته مستقراً . حكي عن ذي النون أنه قال رأيت رجلاً شهد له قلبي بالولاية وتقذرته نفسي فبقيت بين قلبي ونفسي فنظر إليَّ وقال ياذا النون الدر وراء الصدف ومن لطفه بالعباد أنه يوفقهم لذكره والرجوع إليه ومناجاته ورفع الحوائج بحضرته ودوام المناجاة معه متى شاؤوا مع كثير ما يتعاطونه من مخالفة أمره فسبحانه ما أحلمه على العاصين وأكرمه للمؤمنين .

* * *

باب

في معنى اسمه « الخبير »

الخبير إسم من أسمائه ورد به الكتاب وهو بمعنى العليم وخبرت الشيء أخبره فأنا به خبير واختبرته أي خبرته والخبير في غير هذا الموضع زبد أفواه الإبل والخبير الأكار والمخابرة إكتراء الأرض ببعض ما يخرج منها وهو مأخوذ من الخير والخبير أيضاً العذق ويقال خبرت خبراً أي علمت وجدته خبرة إذا تلوته وجربته وقد يكون الخبير في وصفه تعالى بمعنى المخبر وفعل بمعنى المفعل كثير في كلام العرب ويكون العليم والخبير من صفات ذاته فإذا علم العبد أنه خبير بأحواله فبالحري أن يكون متصاوناً أقواله وأفعاله واثقاً بجميل إختباره سبحانه متحققاً بأن ما قسم له لا يفوته والذي لم يحكم له به لا يدركه وإنما تنحصر الأحوال على من كان غائباً عن شهود التقدير فيضيف بعض الحادثات إلى الخلق ويرى البعض من الحق فأما من رأى الأشياء كلها من الحق سبحانه فإنه تهون عليه الأمور من وجه وتصعب من وجه لأنه يعلم أنه يعد أنفاسه ويعلم ظاهره وحواسه حكي عن بعضهم أنه قال قصدت الخواص في بعض أوقات أصابتني فيها فاقة ومجاعة وكان معي جماعة أصابهم من المجاعة ما أصابني فقلت في نفسي أباسط الشيخ في أحوالي وأحوال هؤلاء الفقراء قال فلما وقع بصر الخواص عليَّ قال لي الحاجة التي جئتني فيها الله عالم بها أم لا فقلت بل هو عليم بها قال إذاً فادفعها إليه قال فسكت ثم انصرفت فلما وافيت المنزل فتح علينا بأرزاق كفتنا ذلك اليوم وإذا علم العبد أنه سبحانه مطلع على سره عليم بأمره يكتفي من سؤاله برفع همته إليه وإحضار الحاجة بقلبه لربه من غير أن ينطق بلسانه أو يعرب ببيانه حكي أن رجلاً جاء إلى أبي يزيد البسطامي وقال أيها الشيخ أن الناس قد احتاجوا إلى المطر فادع الله يرزقهم ذلك قال أبو يزيد أغلام أصلح الميزاب فلم يفرغ الغلام من إصلاح الميزاب حتى جاء ولم يتكلم بشيء وحكي أن رجلاً ولد له مولود ببغداد بالليل

ولم يكن له شيء فخرج إلى معروف الكرخي وكان في مسجده فذكر له حاله فقال إقعد هناك فظهر له مشغل من الدجلة فلم يزل يقرب منه حتى انتهى إلى مسجد معروف فإذا بخادم معه صرة فقال أنا قهرمان من دار الخليفة بعثني بهذه الدنانير إليك لتصرفها في أمر من تريد فقال ادفعها إلى ذلك الرجل فقال أنها ثلاثمائة دينار كأنه استكثر دفعها إلى رجل واحد فقال له معروف كذا أردنا أن تكون .

فصل : وإذا علم أنه خبير بأحواله علم أن الله أحصي ما عمله وإن كان قد نسيه فيحصل له من تذكر علمه من الخجل ما يجشمه وربما تذهب روحه فيه فيتلفه حكي أن رجلاً فكر في نفسه وقال كم عمري ثم عد ذلك قال كم تكون شهوراً فعد ذلك ثم عد الأيام فقال كم يوماً يكون فبلغ ألوفاً فقال لو لم أعص في كل يوم إلا معصية واحدة لكان ذلك كذا وكذا ألف زلة فكيف وفي كل يوم اجترحت زلات كثيرة فخنقته العبرة وزهقت نفسه فمات رحمة الله عليه .

* * *

باب

في معنى اسمه « الحليم »

الحليم إسم من أسمائه ورد به القرآن واختلف الناس في معناه فقال بعضهم الحلم تأخير العقوبة عن المستحقين فهو حليم على معنى أنه يؤخر العقوبة عن المستحقين ويكون هذا من صفات أفعاله يوصف به فيما لا يزال وقال بعض أهل الحق حلمه إرادته لتأخير العقوبة فهو من صفات ذاته لم يزل حليماً ولا يزال ويقال في اللغة حلم[1] بضم اللام يحلم حلماً فهو حليم وحلم بفتح اللام نحلم حلماً إذا رأى في المنام شيئاً وجمع الحلم أحلام وكذلك[2] جمع الحلم وحلم الأديم بكسر اللام يحلم حلماً فهو حليم إذا وقع فيه دود وحلمت فلاناً إذا جعلته حليماً وحكمت بحلمه وحلم الغلام إذاً صار سمينا فصرف هذا اللفظ في اللغة على أوجه والله تعالى يريد تأخير العقوبة عن بعض المستحقين ثم قد يعذبهم وقد يتجاوز عنهم وأنه تعالى يجعل العقوبة لبعضهم والأمر فيه على ما سبق عليه الحكم وتعلقت به الإرادة والعلم وأنه تعالى إذا أخر العقوبة عن المستحقين فبفضل منه سبحانه يخصهم به حكي أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما رأى ملكوت السموات والأرض رأى عاصياً يعمل معصية فقال اللهم أهلكه فأهلكه الله فرأى انساناً آخر يعصي فقال اللهم أهلكه فأهلكه الله فرأى ثالثاً يعصي فقال اللهم أهلكه فأهلكه الله فرأى رابعاً يعصي فقال مثل ذلك فأوحى الله إليه كف يا إبراهيم فلو أهلكنا كل عاص رأيناه لم نبق منهم أحداً

الحليم : الذي لا يعجل بالإنتقام وينتظر توبة عبده ويمهل الظالم فإذا أخذه لم يفلته ويؤخر ثوابه الجزيل للدار الآخرة كل ذلك اقتضته حكمته البالغة . وذاكره يكون حسن الخلق قوي الجاه حكيماً في أفعاله .

---

(١) بمعنى الإفادة والعقل .

(٢) ومنه قوله تعالى ﴿ لم تأمرهم أحلامهم بهذا ﴾ .

ولكنا بحلمنا لا نعذبهم فأما أن يتوبوا وأما أن يصروا فلا يفوتنا شيء وحكى أن رجلاً قال لبعض الأنبياء كم أخالفه وأعصيه ولا يعاقبني فأوصى الله إلى ذلك النبي قل لفلان ذلك لتعلم أني أنا وأنت أنت وقد يكون من معلوم الله تعالى من أحوال بعض العصاة أنه يتوب ويحسن حاله فيحلم عنه في الوقت لأنه يعلم أنه يصير من جملة أوليائه في مآله وأنشدوا :

إذا فسد الإنسان بعد صلاحه فرج له عود الصلاح لعله

يحكى عن مالك بن دينار أنه قال كان لي جار مسرف على نفسه وكان يتعاطى الفواحش وتبرم به الجيران[1] فأتوني شاكين به منظلمين منه فأحضرناه وقلنا له إن هؤلاء الجيران يشكونك فسبيلك أن تخرج من المحلة فقال أنا في منزلي لا أخرج فقلنا تبيع دارك فقال لا أبيع ملكي ولا يمكنكم تخرجوني منه فقلت نشكوك إلى السلطان فقال إن السلطان يعرفني وأنا من أعوانه فقلت ندعو الله عليك فقال الله إرحم بي منكم فغاظني ذلك فلما أمسيت قمت وصليت فلما فرغت من الصلاة دعوت عليه فهتف بي هاتف لا تدع عليه فإن الفتى من أولياء الله قال فلما أصبحت جئت باب داره ودققته عليه فلما خرج ورآني ظن إني جئت لأخرجه من المحلة فقال كالمعتذر فقلت ما جئت لذلك ولكن رأيت كذا وكذا قال ودمع عليه البكا وقال إني تبت بعدما كان هذا قال وخرج من البلد ولم أره بعد ذلك قال فاتفق أني خرجت إلى الحج فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمت إليهم فرأيت ذلك الشاب عليلاً مطاوعاً قال فلم ألبث حتى قالوا قضى الشاب رحمه الله .

فصل : وإنما يلذ حلمه لرجاء عفوه لأنه إذا ستر في الحال بفضله فالمأمول منه أن يعفو في المآل بلطفه وفي بعض الحكايات أن بعضهم رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أعطاني كتابي بيميني فمررت بزلة استحييت أن أقرأها فقال لا بد من قرائتها فقلت إلهي لا تفضحني فقال حين عملتها ولم تستح لم أفضحك

(١) أي تضجروا منه .

أفأفضحك وأنت تستحي . ومن حلمه أنه لا يستفزه عصيان العاصين ولا يحمله على سرعة الإنتقام تهتك الخاطئين فيحلم حتى يظن الجاهل أنه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغمر[1] أنه ليس يبصر .

* * *

(١) الغمر هو الذي لم يجرب الأمور .

باب

في معنى اسمه « العظيم »

العظيم إسم من أسمائه ورد به نص القرآن وانعقد عليه الإجماع ومعناه عند أهل الحق يرجع إلى إستحقاقه لصفات العلو والمجد ورفعة القدر فهو عظيم القدر رفيع النعت جليل الوصْف . واعلم أن العظيم في اللغة لا يكون إلا بأحد أمرين إما بعظم الذات في الجرم ويعود ذلك إلى كثيرة الأجزاء . وأما بعظم القدر فأما عظم الأجزاء في وصفه تعالى فمحال فوجب أن يكون بمعنى استحقاق علو الوصف وأوصاف التعالي كإستحقاق القدم ووجوب الوحدانية والإنفراد بالقدرة على الإيجاد وشمول العلم لجميع المعلومات وتعلق القدرة بجميع المقدورات ونفوذ الإرادة في المتناولات وإدراك السمع والبصر لجميع المسموعات والمرئيات واستغنائه عن الأنصار والأعوان وتقدسه عن الأقطار والأزمان وتنزه ذاته عن قبول الحدثان فسبحانه من عزيز لا تصدره عن ولا تلاصقه إلى ولا تحده كيف ولا يقابل بكم ولا يخبر عن نفسه بما ولا يستخبر عن حقيقته بأين ولا يرتقي وهم إلى تصويره ولا يطمع فهم في تقديره ولا يلحقه كنه ولا يماثله شبه فأما قول المخالفين من الكرامية أن معنى العظيم في وصفه أنه يلاقي من وجه واحد من المخلوقات أكثر من آخر فهو خطأ لأنه غير معقول من قول أهل اللغة ولا هو صحيح في العقول وأما من سلك في وصف عظمته بذكر بعض مقدوراته مما نطق به القصص والروايات فإن ذلك شرح النعت الأدنى من عظمته وإن كانوا قد قالوا ذلك . يحكى أن بعض المشايخ سئل عن عظمته فقال ما تقول

العظيم : الذي ليس لعظمته بداية ولا لكنه جلاله نهاية ولا يتصوره عقل ولا يستمد العظمة مما سواه واجب الوجود لذاته « وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ». وذاكره يرى نفسه حقيراً فلا يقرب من الله العلي العظيم إلا بالتخلق بما يرضاه فيعلو شأنه ويستقيم أمره .

فيمن له عبد واحد يسمى جبريل له ستمائة جناح لو نشر منها جناحين لستر الخافقين[1] وهذا وإن كان صحيحاً فإن من عرف أن مقدوراته لا نهاية لها علم أنه لو أراد أن يخلق في لحظة ألف ألف عالم لم يكن ذلك عليه بأشد من خلق بقة ولا خلق البقة عليه أهون من خلق ألف عالم لأنه سبحانه وتعالى منزه عن لحوق المشقة ونيل الراحة لأن الراحة والمشقة من نعوت المخلوقات ويتعالى عن ذلك خالق الأرضين والسموات وقد جاء في بعض الأخبار أن ملكاً من الملائكة قال يا رب إني أريد أن أرى العرش فخلق الله له ثلاثين ألف جناح وطار ثلاثين ألف سنة فقال الله سبحانه هل بلغت إلى أعلى العرش فقال يا رب لم أقطع بعد قائمة من قوائم العرش فاستأذن أن يعود إلى مكانه فأذن له وقيل إن سليمان عليه السلام سأل من الله تعالى أن يأذن له أن يضيف يوماً جميع الحيوانات فأذن الله له فيه فأخذ سليمان في جمع الطعام مدة طويلة فأرسل الله سبحانه حوتاً من البحر فأكل جميع ما أعده سليمان حتى أتى على جميع ما أعده في طول تلك المدة ثم استزاد منه فقال سليمان لم يبق لي شيء وقال له أنت تأكل كل يوم مثل هذا فقال رزقي كل يوم ثلاثة أضعاف هذا ولكن الله تعالى لم يطعمني اليوم إلا ما أطعمتني أنت فليتك لم تضفني فإني بقيت اليوم جائعاً حيث كنت ضيفك وقيل إن موسى عليه السلام أراد أن يرى السمك الذي عليه العالم فأمره الله أن يأتي شاطىء البحر فأتى موسى شاطىء البحر فصعد سمك من البحر فأخذ يصعد نحو السماء ثلاثة أيام متصلة فضاق قلب موسى فقال إلهي أهو مثل هذا السمك فأوحى الله تعالى إليه أنه يأكل كل يوم ألف سمك أمثال هذا قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو ثم أعظم مما جرى ذكره من مخلوقاته تعالى همة العارفين التي تتضع وتتلاشى فيها جملة المقدورات فضلاً عن المخلوقات سبحانه ما أعظم شأنه .

* * *

(١) الخافقين المشرق والمغرب .

باب

في معنى اسمه « الغفور الشكور »

الغفـور إسم من أسمـائـه تعـالى مضى ذكـره فيـما تقـدم من معنى الغفـار وتكلمنا في معنى المغفرة بما حصل به الإقناع وأما الشكور فقـد ورد به القـرآن في وصفه تعالى قال الله سبحانه ﴿ **الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفـور شكور** ﴾ والشكور مبالغة من الشـاكر والشـاكر من لـه الشكر وتكلم النـاس في معنى الشكـر فقال أهـل الحق حقيقة الشكـر الإعتراف بنعمـة المنعم على سبيـل الخضوع لأن الرجل قد يعترف بنعمة غيره على سبيل الإستهزاء بـه فلا يقـال إنه شكره ولهذا قالوا إن حقيقة الشكر الإعتـراف بنعمة المنعم عـلى طريق الخضـوع قالوا والله سبحـانه سمى نفسـه شكوراً عـلى معنى أنه يجازي العبد عـلى الشكر فسمى جزاء الشكر شكراً كما سمى جزاء السيئة سيئـة في قولـه تعالى ﴿ **وجـزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ ويصح أن يقال وهو الذي اختاره وأرتضيـه أن حقيقة الشكـر الثناء على المحسن بذكر إحسانه ثم العبد يثني على الرب بذكر إحسانه الذي هـو نعمته فيكون ثناؤه عليه شكره له فعلى هذا التأويل معنى إسمه الشكور المبالغة في الوصف له بالثناء على عهده ومدحه له بذكر إحسانه وطاعته وقيل إن الشكور في وصفه بمعنى أنه يعطي الثواب الكثير علي اليسـير من الطاعـة والعرب تقـول دابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطي من العلف وناقة شكرة وشكرى إذا

الغفور : الذي يغفر الذنوب العظام ولا يقفل بابه عن التائبين ثم يبدل سيئـاتهم حسناً « إن ربنا لغفور شكور » وذاكره يرى حلاوة التوبة وحسن المغفرة .

الشكـور : الذي يقبـل التوبـة عن عباده ويعفـو عن السيئات ويجـازي عن القليل من العمل الصالح بالكثير من العطاء وحسن الثـواب ويزيـد الشاكـرين من واسع عـطائه وذاكـره يرى الخير العاجل والنعمة السابغة ويشفى من سقمه قـال الله سبحانـه وتعالى ﴿ **لئن شكـرتم لأزيدنكم** ﴾ وقال ﴿ **ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور** ﴾ .

كانت ممتلئة الضرع ونبت شكور إذا كان يجتزي بيسير من الماء ويقال كثر شكير الرجل أي عياله وشكير الشجر القضبان التي تنبت في أصل الشجر فإذاً الأصل فيه الزيادة في اللغة على وصف مخصوص على ما جرى بيانه في هذه الألفاظ والله تعالى يجازي العبد على اليسير من الطاعات بالكثير من الدرجات قال الله تعالى **﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما اسلفتم في الأيام الخالية ﴾** والله سبحانه أنعم على العباد بجميع ملاذ الدنيا وكرائمها ثم عد ذلك قليلاً فقال قل متاع الدنيا قليل ويقبل اليسير من طاعة العباد ويثني عليهم بالكثير قال تعالى **﴿ والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ﴾** وترى كم كان عمرهم حتى عد ذكرهم كثيراً وكذلك شكر لصاحب موسى حيث خطا لأجله خطوات فقال عز اسمه **﴿ وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴾** جاء في التفسير أنه جاء من قرب . وفي بعض الحكايات أن رجلاً رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أقامني بين يديه وقال لم خفتني كل ذلك الخوف أما علمت أني كريم . وحكي أن رجلاً رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال حاسبني فخفت كفة حسناتي فوقعت فيها صرة فثقلت فقلت ما هذا فقال كف تراب ألقيتها في قبر مسلم فرجح بذلك المقدار ميزانك . وحكي أن رجلاً من الصالحين كان يصلي الصلوات بالجماعة في المسجد فضعف عن الحركة فكان يأمر بأن يحمل إلى المسجد فمات فرئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وقال شيخ لم تعنيت كل ذلك العنا .

فصل : ومن آداب من علم أنه شكور فليجد في شكره ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصّر والشكر على أقسام فشكر بالبدن وهو أن لا تستعمل جوارحك إلا في طاعته وشكر بالقلب وهو أن لا تستغله بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو أن لا يستعمله في غير ثنائه ومدحه وشكر بالمال وهو أن لا تنفقه في غير رضاه ومحبته وقيل الشكر هو أن لا تستعين بنعمه على معاصيه ومن إمارات الشكر وجود الزيادة في النعمة قال الله تعالى **﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾** ولهذا قيل الشكر قرع باب الإستزادة من النعمة وقال تعالى **﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾** قال بعضهم هم الأكثرون وأن قلوا ومواضع الأنس حيث حلوا

وقال بعضهم قليل من عبادي من شهد النعمة منى ومن حقيقة الشكر الغيبة عن شهود النعمة لشهود المنعم .

* * *

باب

في معنى اسمه « العلي الكبير »

هما إسمان لله تعـالى ورد بهما القـرآن والإجماع قال الله تعـالى ﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾وليس علوه علو جهة ولا إختصاصاً ببقعة ولا هـو كبير بعـظم جثه وكثرة بنيه بـل العلي وصفـه وهو إستحقـاقه لنعـوت الجلال والكبـرياء نعتـه وهو إستيجابه لصفات الكمال ولم يزل الله تعالى علياً . ومن الآفات والنقـائض بريـاً ولا يقال في وصفه كبر يكبر ومن علوه وكبريائه أنه لا يصير بتكبير العباد له كبيراً أو بـإجلالهم لـه جليلاً بـل من وفقه لإجـلاله فبتـوفيقه أجله ومن أيـده لتكبيره وتعظيمه فقد رفع محله . لا يلحقه نقص فينجز ذلك بتعظيم المخلوقين ولا ينزل بساحته وهن فينتفي ذلك بتوحيد عباده العابدين فهو العزيز الذي لا تأخذه سنـة ولا نوم ولا يتوجه عليه سنة ولا يوم ولا من حق من عرف عظمته أن يذل لحقـه ويتواضع بين خلقه فإن من تذلل لله في نفسه . رفع الله قدره من أبنـاء جنسه . وقيـل في بعض القصص أن الله تعالى أوحى إلى مـوسى عليـه السـلام فقـال لـه تدري لم رزقتك النبوة فقال يا رب أنت أعلم به فقال له تذكر اليـوم الذي كنت ترعى الغنم بالمـوضع الفـلاني فندت شـاة فعدوت خلفهـا فلما لحقتها لم تضـربها وقلت لا يا مسكينة اتعبتني وأتعبت نفسـك فحين رأيت منـك تلك الشفقة عـلى ذلك الحيوان رزقتك النبوة وقيل في بعض القصص أن الله تعـالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن يأتي الجبل ليسمعه كلامه عليه فتطاول كل جبل طمعاً أن يكـون

العلي : الذي تتـطلع إليه جميـع الأبصار ولـه المثل الأعـلى ولا يصل إليـه الأذى « رفيع الدرجات ذو العـرش يلقي الروح من أمره عـلى من يشاء من عبـاده لينذر يـوم التلاق يـوم هم بـارزون لا يخفى على الله منهم شيء ان الملك اليـوم لله الواحـد القهـار ». وذاكـره تعلو همتـه ويخاف ربه .

الكبير : الذي لا يسعه مكان ولا يحويه زمان الكبير المتعال يقف لديه العظماء والمتكبرون صاغرين « فالحكم لله العلي الكبير » وذاكره ينال الهيبة والقبول وصفاء الباطن ويقضي دينه .

محلاً لموسى وتصاغر طور سينا في نفسه وقال متى استحق أن أكون محلاً لقدم موسى في وقت المناجاة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أئت إلى هذا الجبل المتواضع الذي ليس يرى لنفسه استحقاقاً وقد قيل حقيقة الإجلال أن ترى الكل دونه بعين الإقلال . فكما لا تثبت لنفسك قدراً . فكذلك لا ترى للمخلوقين مع قدرته[1] بالإضافة إلى علوه خطراً .

فصل : واعلم أن حقيقة التواضع هو قبول الحق ممن قاله والتكبر هو جحد الحق قال الله تعالى ﴿ **وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم** ﴾ .

فصل : حكي أن خالد بن مقول قال له رجل اتق الله فالصق خده بالتراب وقال حباً وكرامة وروي أن بلالاً شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر وقال له عيرني بالسواد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر ماعملت أنه بقي في قلبك شرف الجاهلية فوضع أبو ذر خده على الأرض وحلف أن يضع بلال قدمه على خده . وحكي عن إبراهيم بن أدهم أنه قال ما سررت في الإسلام إلا مرات معدودة كنت في مركب يوماً وكان فيه رجل يحكي الحكايات المضحكة فضحكت منه الناس وكان يقول رأيت وقتاً في معركة الترك علجا ففعلت به هكذا وكان يأخذ بلحيتي ويمر يديه على حلقي والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده أحد أصغر ولا أحقر مني فسررت بذلك . ويوماً آخر كنت جالساً فجاء إنسان فبال عليَّ ويوماً آخر كنت جالساً وجاء إنسان فصفعني من غير سبب وإنما كان سروره بأن قلبه لم يستوحش منهم ولم يحرد عليهم ولم يتغير لسوء ما قابلوه به لأنه سرٌّ بقبيح أفعالهم وفي الخبر كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره .

* * *

(١) رفعة قدر ومنزله .

باب

في معنى اسمه « الحفيظ »

الحفيظ اسم من أسمائه ورد به الخبر وهـو فعيل مبـالغة من الفـاعل وهـو الحافظ لعباده في جميع الأحوال والحافظ للسموات والأرضين قال الله تعالى ﴿ **ولا يؤده حفظهما** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن الله يمسـك السموات والأرض أن تـزولا** ﴾فهو رافع السموات بـلا عمد وحـافظهـا بعد رفعهـا بلا إستعـانة بـأحد ولا إعتضـاد بمدد . بل هو الوتر الفرد الصمد وإن الله تعالى حافظ دينه قـال الله تعالى ﴿ **إنـا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون** ﴾ أنزل التوراة على موسى عليـه السلام فـوكل حفظها إلى أمته قال الله تعالى ﴿ **بما استحفـظوا من كتاب الله** ﴾ فحـرفوا وبـدلوا وأنزل الله تعالى الفرقان على محمد صـلى الله عليه وسلم وضمن حفظه على أمتـه بقوله تعالى ﴿ **إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ فلا جرم عصم الله الأمـة عن تبديل الكتاب حتى لو أخطأ مخطي في حركة من حـركات حـروف القرآن أو سكـون لنـادى ألف ألف صبي بتخـطئتـه فضـلاً عن القـراء فشتـان بـين أمـة استحفظهم الله كتابـه فحرفـوا وبدلـوا وبين أمـة حفظ عليهم الكتاب فبقـوا مع الحق ووصلوا ومن حفـظه سبحانـه لأوليائـه صيانـة عقـائـدهم في التـوحيـد عن اكتفائهم بالتقليد وتحقيق العرفـان في أسرارهم بجميـل التأييـد وليس كل الحفظ أن يحفظ عبداً بين الملاء عن البلاء وإنما الحفظ أن يحفظ قلباً عن خلوص المعـرفة بين الأهواء حتى لا يزل عن الطريقة المثلى ولا يحيد إلى البدع والهـوى . قال الله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنـوا بالقـول الثابت في الحيـاة الدنيـا وفي الآخرة** ﴾ وأن الله تعالى قيض الملائكة ووكلهم بحفظ بني آدم من البلاء والآفـات حتى

الحفيظ : الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يؤده حفظ حلقه ولولاه لاضطربت الأكـوان « إن الله يمسك السموات والأرض أن تـزولا ولئن زالتا إن أمسكهـا من أحد من بعـده » ولا ينجي من المهالك في ظلمات البر والبحر إلا هو وذاكره يحفظه الله من المكروه والمفسد .

إذا قعدوا وقاموا أو انتبهوا وناموا تقلبوا في حفظه وحراسته وتصرفوا على حكم رعايته قال الله تعالى: ﴿ **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن** ﴾ فهو الذي يحفظ نفسك ومالك ودينك وحالك ووقتك وعيالك إذ لو رفع كل رعايته عن أسبابك لهلكت . سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول ورث بعض الصالحين عن مورث له عشرة آلاف درهم فقال إلهي إني محتاج إلى هذه الدراهم ولكن لست أحسن حفظها فأدفعها إليك لتردها على وقت حاجتي فتصدق بتلك الدراهم ولزم الفقر قال فما أحتاج ذلك الرجل في دنياه قط إلى شيء وكان إذا أراد شيئاً فتح له في الوقت . وقيل من حفظ الله في جوارحه حفظ الله تعالى عليه قلبه لا بل من حفظ لله حقه فقد حفظ الله حظه . حكي عن بعض الصالحين أنه وقع بصره يوماً على محظور فقال إلهي إنما أريد بصري هذا لأجلك فإذا صار سبباً لمخالفة أمرك فاسلبنيه قال فعمي الرجل وكان يقوم بالليل ويصلي فغاب ليلة من الليالي من كان يعينه على الطهارة فقال إلهي إنما قلت خذ بصري لأجلك فالليلة أحتاج إليه لأجلك فرده عليَّ قال فعاد إليه بصره فكان يبصر بعد العمى . وحكي أن اللص دخل حجرة رابعة العدوية وكان النوم أخذها فأخذ اللص ملاءتها فخفي عليه باب الحجرة فوضع الملاءة فأبصرالباب فرفع الملاءة ثانية فخفي عليه الباب فلم يزل يفعل ذلك مرات فهتف به هاتف ضع الملاءة فأنا نحفظها لها ولا ندعك تحملها وإن كانت هي نائمة . وهذا تحقيق الحفظ ومن هذاالباب قصة أم موسى عليه السلام لما رجعت إلى الله بصدق التوكل أنظر كيف ألقى في قلبها وكيف ألهمها حيث قال عز ذكره ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم** ﴾ إلى قوله ﴿ **من المرسلين** ﴾ أنظر كيف ربط على قلبها وكيف حفظ لها ولدها وكيف رده إليها . وفي بعض الحكايات أن إمرأة تصدقت برغيف فأخذ السبع ولدها ونوديت لقمة بلقمة أنك تصدقت لأجلنا برغيف فرددنا ولدك فإنه حافظ ما استودع وراحم من استرحم وبالله التوفيق .

* * *

باب

في معنى اسمه « المقيت »

قال الله تعالى ﴿ وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ فالمقيت بمعنى المقتدر وقيل أنه بمعنى الحفيظ هذا قول أصحاب المعاني وقيل المقيت الإسم من أقاته يقيته يقال قاته وأقاته إذا أعطاه قوته . وفي الحديث كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت وروي من يقيت والقوت ما به إستقلال النفس ويكون قواماً لها وسبب بقائها وأن الله سبحانه جعل أقوات العباد والحيوانات من المخلوقين والمخلوقات مختلفة فمنهم من جعل قوته المأكولات والمشروبات على حسب اختلافهما في الأجناس والأصناف المطعومات ومنهم من جعل قوته في التسبيح والطاعات كالملايكة الذين هم سكان الأرضين والسموات وأنه خص بني آدم بأن جعل قوتهم أطيب الأشياء وألذها قال الله تعالى ﴿ ورزقناكم من الطيبات ﴾ ثم أنه جعل قوت الأشباح الطعام والشراب وجعل قوت الأرواح المعاني التي لها قدرها ورتبتها وبها يحصل تفاوت درجاتها فمن أقوات القلوب والأرواح العقل الذي به نظام جميع المحاسن فمن رزقه الله العقل أكرمه وأزانه ومن حرمه ذلك فقد أذله وأهانه قيل إن جبريل عليه السلام جاء إلى آدم عليه السلام وقال إني أتيتك بثلاثة أشياء فاختر منها واحداً فقال وما هي فقال العقل والدين والحياء فقال آدم اخترت للعقل فخرج جبريل وقال إنه اختار العقل فانصرفا أنتما فقال الدين والحياء إنما أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان ولهذا قيل ما خلق الله تعالى شيئاً أحسن من العقل وسئل بعضهم عن معنى العقل فقال لم يعط أحد كماله فيوصف وأن الله تعالى إذ شغل العبد بطاعته أقام لأجله من يقوم بشغله فإذا اشتغل العبد بطاعة ربه جعل الحق سبحانه من يقوم بخدمة عبده وإذا رجع إلى

المقيت : الذي خلق الأقوات وأودع فيها خصائص التغذية ويوصلها للأشباح والأرواح على ما يناسبها وهو جل شأنه المقتدر المتكفل بأرزاق عباده . وذاكره يقوى على مكافحة شهوات النفس .

متابعة شهوته وتحصيل أمنيته وكله إلى حوله وقوته ورفع عنه ظل عنايته سمعت منصور المغربي يقول كان الكتاني بمكة وكان له خادم يخدمه وكان في المسجد شاب حسن الجلسة فكان الكتاني إذا فتح عليه بشيء قال لخادمه أبدأ بذلك الشاب فقال الخادم له يوماً كنت تأمرني أن أبدأ بذلك الشاب ولم تقل لي ذلك منذ أيام فقال إني رأيته في الحذائين يطلب شعساً ومن أمكنه أن يحتال لنفسه شعساً قد سقط عنا فرضه أشار بهذا أنه إنما كان ذلك الشيخ منصوباً لمراعاة حقه وتقديمه على أشكاله لما لم يكن الشاب محترفاً لنفسه فحيث اتصف باحتياله في بعض أحواله رد إلى أفعاله واختياره وحسبك تأييداً لهذه الجملة قصة آدم عليه السلام وهو أن الله سبحانه قاته . وصان عن المحن أوقاته . وكفاه كل شغل ولقاه كل يسر ورفع له مناره وأسجد له أبراره وأسكنه جواره وأجزل له مباره وقال جل وعلا ﴿ **إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحي** ﴾[1] فلما نسي وعده ومد إلى شهواته يده لقي ما لقي . روى مجاهد أن الله سبحانه أوحى إلى الملائكة أن أخرجوا آدم وحواء من جواري فإنهما عصياني قال وناداه ربه أي جار كنت لك يا آدم فقال يا سيدي ومولاي نعم الجار كنت قال فاخرجا من جواري قال فرفع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل[2] من جبينه وسقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فالتفت إلى حواء وقال هذا أول شؤم المعصية وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فأخذ آدم يفر فتعلق غصن من أغصان الشجرة بشعره وسمع نداء الحق جل جلاله أمنا تفر يا آدم فقال بل أستحي منك يا رب ثم قال إلهي إن تبت تعيدني إلى الجنة فقال نعم فذلك معنى قوله تعالى ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات** ﴾ .

فصل : فإذا اختلفت الأقوات فمن عباده من جعل قوت نفسه توفيق العبادات . وقوت قلبه تحقيق المعارف والمكاشفات . وقوت روحه إدامة المشاهدات والمؤانسات .

* * *

(١) أي لا يحصل لك شمس الضحى لا نتفا الشمس في الجنة هـ جلال .

(٢) شبه عصابة تزر بالجوهر هـ مختار .

باب

في معنى اسمه « الحسيب »

الحسيب إسم من أسمائه قال الله تعالى ﴿ وكفى بالله حسيباً ﴾ ومعناه شيئآن أحدهما الكافي والثاني المحاسب . فإذا قيل إنه بمعنى الكافي فمن قولهم أعطاني حتى أحسبني أي أعطاني ما كفاني حتى قلت حسبي فيكون الحسيب بمعنى المحسب كالأليم بمعنى المؤلم وإذا كان بمعنى المحاسب ففعيل بمعنى المفاعل . كثير كالاكيل بمعنى المواكل والشريب بمعنى المشارب والنديم بمعنى المنادم فأما إذا كان بمعنى الكافي فكفاية الله للعبد أن يكفيه جميع أحواله وأشغاله وأجل الكفايات أن لا يعطيه إرادة شيء فإن سلامته عن إرادة الأشياء حتى لا يريد شيئاً أتم من قضاء الحاجة وتحقيق المأمول . وإذا علم العبد أن الحق سبحانه كافيه لم يرفع حوائجه إلا إليه فإنه سبحانه لسريع الإجابة لمن انقطع إليه وتوكل في جميع أحواله عليه .ولا سيما إذا كانت حاجته متمحضة في حق الله تعالى لأنه إذا كانت حاجته في حظ نفسه فربما يحصل منع وتأخير في قضاء الحاجة . يحكى عن أبي الحسين الديلي وكان كبير الشأن أنه قال وصف لي بأنطاكية إنسان أسود يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيئاً من المباحات يريد أن يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر إليَّ ثم قال أقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئاً قال فمضيت إلى غيره وتغافلت عنه كأني

الحسيب : الكافي الذي يكفيك كل شيء ويحاسبك على كل شيء أسرع الحاسبين مصدر الجود والكرم والفضل والنعم سابق على الخلق بوجوده . وجودهم من فيض جوده . وذاكره يحفظ الله ذريته ويكفيه هم من يعول .

الجليل : الذي تعالى في ذاته وصفاته فخضع لسلطان هيبته جميع خلقه ويستحي منه أهل العرفان وتخشع قلوبهم لذكره ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وذاكره يتحقق في مقام الخوف والرجاء وتعلوه الهبة والوقار .

لم أسمع ما قال وساومت غيره مما كان بين يديه ثم عدت إليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر إليَّ وقال إقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئاً قال فمضيت إلى غيره . وتغافلت عنه كأني لم أسمع ما قال وساومت غيره ثم عدت إليه وقلت له مثل قول الأول والثاني فقال إقعد فإنك جائع منذ يومين حتى إذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئاً . قال فوقع على قلبي منه هيبة فلما باع ذلك أعطاني شيئاً ومضى قال فمضيت خلفه لعلي أستفيد منه شيئاً بقوله لي قال فالتفت إليَّ وقال إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله ألا أن يكون لك فيها حظ فتحجب عن الله تعالى إذاً . ومن علم أنه كافيه لا يستوحش من أعراض الخلق ولا يستأنس بقبول غير الحق ثقة بأن الذي قسم له لا يفوته وإن أعرضوا . وأن الذي لم يقسم له لا يصل إليه وإن أقبلوا . ثم إن العبد إذا اكتفى بحسن توليه سبحانه لأحواله فعن قريب يرضيه بما يختار له مولاه سبحانه فعند ذلك يؤثر العدم على الوجود . والفقر على الغنى .ويستريح إلى عدم الأسباب بدل ما كان يستأنس أمثاله بالأعراض والأسباب .وفي معناه يحكى عن عطا السلمي أنه بقي سبعة أيام لم يذق شيئاً من الطعام ولم يقدر على شيء فسر قلبه لذلك غاية السرور وقال يا رب إن لم تطعمني ثلاثة أيام أخر لأصلين لك ألف ركعة .وقيل إن فتحا الموصلي رجع ليلة إلى بيته فلم يجد عشاً ولا سراجاً ولا حطباً فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع إليه ويقول إلهي لأي شيء وبأي وسيلة واستحقاق عاملتني بما تعامل به أولياءك . وأما من علم أنه حسيب بمعنى محاسب علم أنه يطالبه عذاباً للصغير والكبير ويحاسبه على النقير والقطمير . فعند ذلك يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ويطالب قلبه بالقيام بحقوقه قبل أن يطالب . فإن الله تعالى حكم بأنه لا يزول قدم العبد حتى يسئل عن حركاته وسكناته وجميع حالاته . يحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال كنت ببيت المقدس ليلة فبت تحت الصخرة خالياً فلما كان بعد هدء من الليل إذا أنا بملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا قال إبراهيم ابن أدهم فقال الذي نقص من درجاته درجة فقال الآخر ولم قال لأنه اشترى بالبصرة تمراً فوقع من تمر صاحب الدكان

على ما اشتراه تمرة بغير علمه فنقص من درجاته درجة قال إبـراهيم فلما أصبحت حولت وجهي إلى البصرة وأتيتها واشتريت من صاحب الدكان تمـراً ثم ألقيت على تمـرة تمرة واحـدة وانصرفت إلى بيت المقـدس وبت تحت الصخرة فلما كـان بعـد ساعة من الليل رأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من ههنا قـال إبراهيم بن أدهم فقال الآخر الذي ردت درجته إلى ما كانت عليه .

فصـل : وقد يعلم العبـد أنه يحـاسبه ربـه فيثق بفضله ويرجـو أنـه يسـتر عيوبه . ويغفر ذنوبه . ويرضي خصـومه ويكفيـه همومـه . فإن الكـريم بالعفـو جدير . وعلى ما يـرجى من سعة إحسـانه وحسن غفـرانه قـدير . والكـريم من يطلب لجرائم العصاة عذراً . وأنشدوا :

إذا شئت أن تـدعى كريمـاً معـظماً ... حليـماً ظريفـاً ماجـداً فـطنـاً حـراً
إذا ما بدت من صـاحب لك زلـة ... فكن أنت محتـالاً لـزلتـه عـذراً

* * *

باب

في معنى اسمه « الجليل الجميل »

الجليلي والجميل اسمان من أسمائه تعالى ورد بهما التوقيف ولا خلاف عند أهل الحق أن جلاله استحقاقه لنعوت التعالي وهو بمعنى رفعته وعلوه وقالوا جليل بين الجلال والجلالة وأما الجميل فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال إنه بمعنى الجليل . وجماله هو جلاله . ومنهم من قال إن معنى الجميل المحسن . والجميل بمعنى المجمل وقد ذكرنا أن الفعيل بمعنى المفعل كثير . وقد مضى في هذا الكتاب فصول في معنى إحسانه ورفعته في غير موضع ونذكر ههنا منه طرفاً فاعلم أن الله سبحانه يكاشف القلوب مرة بوصف جلاله ومرة بوصف جماله فإذا كاشفها بنعت جماله . صارت أحواله عطشاً في عطش . وإذا كاشفها بوصف جلاله صارت أحواله دهشاً في دهش . ومن كاشفه بجلاله أفناه . ومن كاشفه بجماله أحياه . فكشف الجلال يوجب محواً وغيبة . وكشف الجمال يوجب صحواً

الجميل : لم نشرح في كتابنا شرح أسماء الله الحسنى الذي ألفناه سنة ١٣٥١هـ اسمه تعالى ـ الجميل ـ لأنه لم يرد في التسعة والتسعين اسمه الواردة في حديث الرسول « إن الله تسعة وتسعين إسماً » إلخ الواردة في صدر الكتاب وهذا الحديث من أصح الصحيح . ولكن قد يكون هناك حديث آخر خاص باسمه الجميل لأنه صفة علية لله تعالى لأنه له الصفات العلية ومنزه عن صفات القبح . وله الأسماء الحسنى . ولكن الأصح الأخذ بما ورد في الصحيح والإكتفاء بالتسعة والتسعين إسماً . وبما أن أستاذنا الجليل وصاحب البركات الإمام القشيري اعتبره إسماً توقيفياً فلا بأس من أن نتكلم في معناه قليلاً . ومعناه خالق الجمال بديع الفعال عليم بالجمال يهب الجمال لمن شاء من عباده ويبدع المصنوعات من جميل أفعاله . وجماله في هيبة شهوده لا يوصف إلا بالجمال والجلال وكذلك من أحبه أعطاه جمالاً وجلالاً قال البوصيري رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

فهو الذي تم معناه وصورته ثم إصطفاه حبيباً باريء النسم

وقربة . وكشف الجلال يوجب اجتياحاً[1] وثبوراً[2] وكشف الجمال يوجب إرتياحاً وسروراً . والعارفون كاشفهم بجلاله فغابوا . والمحبون كاشفهم بجماله فطابوا . فمن غاب فهو مهيم . ومن طاب فهو متيم .

فصل : واعلم أن الله سبحانه يخص الأبرار بما يسقيهم من شراب محابه ويخص الأحباب بما يلقيهم من روح أنسه وإتحافه . فطائفة يحضرهم بلطفه . وطائفة يسكرهم بكشفه . فمن أحضره بسطه . ومن أسكره أخذه عما نيط به واستلبه . والحقائق إذا اصطلحت على القلوب لا تبقي ولا تذر والمعاني إذا استولت على الأسرار فلا عين ولا أثر وأن للعلوم على القلوب مطالب وللحقائق

وقال : فأعجب لجمال له الجلال وقاء . ومن أفاض الله عليه من صفاته الجميل فتح له جمال المعاني وحلاوة الإيمان وحسن خلقه وخلقه وزادت هيبته واستغرق في بحر جماله فلا يرضى العبد بقبيح الفعال وسوء الخصال لئلا يخرج من حضرة الجمال ويكون ذاكياً حتى يأنف بطبعه وذكاء ذوقه كل قبيح ولا يرضى أن يتدنس بحرام قط أو بريح الخلق الذميم ومتى أنس بالجمال الإلهي استوحش من الخلق وعاف شهوات الدنيا ونعم الآخرة لا يتلذذ إلا بشهود الحق سبحانه وتعالى ولذلك كانت أجل نعمة من الله لأحبابه في الآخرة رؤية ذاته عز وجل وعلى ذكر الجمال والجلال لا يدخل هذه الحضرة إلا من فني عن نفسه فناءاً تاماً تنقطع عن العبد إحساسات وجوده إذا جردها إلى ربه فلا يحس إلا بوجود الله فتحصل له حلاوة من الجلال والجمال يغيب فيها دون أن يدري ولا يوقظه منها إلا الله سبحانه وتعالى . وقد يقبض بعض القوم وهم في هذه الحال وهم لا يشعرون . وإذا صحا أحد من هذه الغيبة أدرك أنه أعطي فتحاً وعلماً وأسراراً لم يتعلمها من قبل إنما أودعها الله في قلبه في أثناء غيبته عن نفسه .

ولأقرب هذا من العقل أقول : إني تعرضت لعمليات جراحية خطيرة وكنت إذا تقدمت إلى العملية أذكر الله بقلبي حتى أغيب متمنياً أني إذا قبضت أقبض في حال الغيبة .

وإذا ما أعطيت البنج زدت غيبة ولم أحس إلا أنني في سكون وهدوء وراحة ليس بعدها راحة في الدنيا والآخرة وأتمنى أن تطول ساعات الغيبة لأتمتع بالراحة والأمن في حضرة الحق فإذا صحوت تكدرت كثيراً فلا راحة إلا مع الله وبين يدي الله واستحضار الله عز وجل استحضاراً يمنع أي خاطر يمر بالبال أو إحساس الإنسان بنفسه .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يذيقنا حلاوة شهوده وصدق محبته وعدم الغفلة في حضرته ومنتهى رضاه .

---

(١) إجتياحاً . الإجتياح هو الهلاك .

(٢) ثبوراً بمعنى الهلاك .

سلطان يغلب أقسام المراتب فالحال تؤذن حتى ليس الأقرب والحقائق تبرز نعت الصمدية حتى لا قرب وفي معناه أنشدوا :

يا من أشاهده عندي فأحسبه   مني قريباً وقد عزت مطالبه

وأنشدوا :

بأي نواحي الأرض أبغي وصالكم   وأنتم ملوك ما لمقصدكم نجد

واعلم أن العابدين شهدوا أفضاله فبذلوا نفوسهم . والعارفين شهدوا جلاله فبذلوا له قلوبهم . والمحبين شهدوا جماله فبذلوا له أرواحهم . بل من كان له علم اليقين وجد أفضاله . ومن له عين اليقين شهد جلاله . ومن له حق اليقين شهد جماله .

فصل : واعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل تقلب قلوب العابدين بين شهود ثوابه وأفضاله وشهود عذابه وأنكاله ، فإذا فكروا في أفضاله إزدادت رغبتهم . وإذا فكروا في عذابه وأنكاله إزدادت رهبتهم وأنه جعل تنزه أسرار العارفين في شهود جلاله وجماله . فإذا كوشفوا بنعت الجلال فأحوالهم طمس في طمس وإذا كوشفوا بوصف الجمال فأحوالهم أنس في أنس كما قال قائلهم :

جمالك نزهتي ورضاك عيش   وحبك لي من الأديان دين

* * *

باب

في معنى اسمه « الكريم »

الكريم إسم من أسمائه تعالى ورد به التوقيف وتكلموا في معناه . فقال أهل الحق إن الوصف له بأنه كريم من صفات ذاته ولم يزل الله كريماً ولا يزال ومعناه نفي الدناءة والنقائص . والعرب تقول للشيء الخطير الحسن النفيس إنه كريم . قال الله سبحانه ﴿ وأعد لهم أجراً كريماً ﴾ . قالوا ثواباً حسناً وكذلك قوله تعالى ﴿ ومقام كريم ﴾ قيل حسن ونفي الدناءة في وصفه يكون بمعنى استحقاقه لصفات جلاله . وقيل أن الكريم في وصفه يكون بمعنى المحسن المجمل الكثير العطا والإحسان . والعرب تقول للرجل الذي يكون صفوحاً عن الذنوب محسناً إلى من يسيء إليه تاركاً للإنتقام مسبغاً للأنعام : إنه كريم ، ويقال : فلان كريم السجية . والله تعالى هو المحسن إلى خلقه من غير إستحقاق والأخذ بأيديهم عند الضرورة من غير إستيجاب بل ابتداء فضل وإكمال لطف . وقال الجنيد : الكريم الذي لا يحوجك إلى وسيلة . وقال الحرث المحاسبي : الكريم الذي لا يبالي بما أعطى ولا لمن أعطى . وقال جعفر بن نصير : الكريم الذي لمن يقبل عطاءه منه على نفسه . وقيل : الكريم الذي لا يستقصي قال الله تعالى : ﴿ فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ﴾ سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول : الكريم الذي إذا عفا عن عبد عفا عمن عمل مثل تلك المعصية وعمن كان سمياً له . وفي بعض الكتب ما أنصفني عبداً استحي أن أعذبه ولا يستحي أن يعصيني . وقيل الكريم الذي لا يرضى بأن ترفع حاجته إلا إليه .

الكريم : الذي لا يبخل رفيع القدر عظيم الشأن حليم يحب العفو ويكره العقوبة ويكثر الجزاء قال سبحانه وتعالى ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً حليماً ﴾ وقال ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ﴾ وذاكره يرى من كرم الله ما يلهج قلبه بالشكر ولسانه بالحمد وتحسن أخلاقه .

وروي أن موسى عليه السلام قال في مناجاته إنه لتعرض لي الحاجة أحياناً فاستحي أن أسألك أفأسأل غيرك فأوحى الله إليه أن لا تسأل غيري وسلني حتى ملح عجينك وعلف شاتك . ويقال : الكريم لا يخيب رجاء الموملين وقيل الكريم الذي لا يضيع من ترسل به ولا يترك من التجأ إليه ويحفظ حقوق خدمة الذين ماتوا ، وقيل : الكريم الذي إذا أبصر خللاً خبره ولم يظهره وإذا أولى فضلاً أجزله ثم ستره . ويحكى أن بعض الأكابر أشرف من قصر له على دار عجوز من جيرته فرآها تتوضأ من جرة من خزف فقال في نفسه : عجوز في جيرتي ليس لها قمقمة ثم فكر وقال إن أمرت لها بقمقمة فإنها تخجل وتعلم أني اطلعت عليها . فأمر بأن يعطى لكل واحد من جيرانه قمقمة حتى دفع إليها قمقمة ولم تخجل . وقيل الكريم هو الذي أذنبت اعتذر عنك وإذا هجرت وصلك وإذا مرضت عادك وإذا وافيت من السفر زارك وإذا افتقرت أحسن إليك ببقية ماله . وقيل : الكريم هو الذي إذا رفعت إليه حاجة عاتب نفسه كيف لم يبادر إلى قضائها قبل أن تسأله .

حكي عن علي رضي الله عنه أنه جاءه إنسان ليلة يسأله حاجة . فقال : إرفع السراج يا غلام فقيل له في ذلك فقال : لئلا أرى في وجهه ذل السؤال سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول كان الأستاذ أبو سهل الصعلوكي رحمه الله لا يناول أحداً شيئاً من عطائه بيده بل كان يضعه على الأرض ليأخذه المستحق ويقول الدنيا أقل خطراً من أن أرى يدي لأجلها فوق يد أحد . روي في بعض الأخبار أنه قال : لا تقولوا لشجرة العنب الكرم فإنما الكرم الرجل المسلم . والعرب كانت تسمي العنب الكرم وكان الأصل كرماً فلما كثر على لسانهم . قالوا : كرم يقال رجل كرم ورجلان كرمْ والذكر والأنثى والجمع والتثنية فيه سواء كما يقال : رجل عدل وصوم وخصم ورجلانْ كذلك ورجال كذلك أيضاً وكذلك كل سمي يسمى باسم المصدر وإنما سمت العرب العنب الكرم للطافة شجرة وطيب ثمره وتأتي قطافه من غير تجشم مشقة وليس له شوك يضر جانيه كما للنخل ولا يحتاج قاطفه إلى إرتقاء شجرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل المؤمن أولى باستحقاق هذه التسمية لما فيه من كرم السجايا .

ويحكى عن أبان بن عياش أنه قال خرجت يوماً من عند أنس بن مالك بالبصرة فرأيت جنازة يحملها أربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها أحد فلأكونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا لي تقدم فقلت أنتم أولى به فقالوا كانا سواء فتقدمت وصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا : أكرتها تلك المرأة فقال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهي تضحك فدخل قلبي من ذلك شيء فقلت لها لا ينجيك إلا الصدق أخبريني إيش القصة فقالت لي : إن هذا إبني ما ترك شيئاً من المعاصي إلا فعله فمرض منذ ثلاثة أيام فقال لي يا أماه إذ مت فلا تخبري بوفاتي جيراني فإنهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي واكتبي على خاتمي لا إله إلا الله محمد رسول الله واجعليه في كفني فلعل الله تعالى يرحمني . وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزاء من عصي الله تعالى فإذا دفنتيني فارفعي يديك إلى الله تعالى وقولي إني رضيت منه فإرض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصاني به فلما رفعت يدي الى السماء سمعت صوته بلسان فصيح إنصرفي يا أماه فقد قدمت لي رب كريم رحيم غير غضبان فإنما ضحكت من هذا .

* * *

باب

في معنى اسمه « الرقيب »

الرقيب اسم من أسمائه تعالى وهو بمعنى الحفيظ يقال رقبته أرقبه رقبة ورقوباً إذا راعيته قال الله سبحانه ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾[1] يريد به الملك الذي يكتب أعمال العبد والله تعالى رقيب لعباده أي حفيظ لهم يعلم أحوالهم ويعد أنفاسهم ولا يخفى عليه شيء من أحوالهم . يقال راقبت الله إذا علمت أنه مطلع عليك فراعيت حقه والمراقبة عند هذه الطائفة هو أن يصير الغالب على العبد ذكره بقلبه أن الله مطلع عليه فيرجع إليه في كل حال ويخاف سطوات عقوبته في كل نفس ويهابه في كل وقت . سئل بعضهم بم يستعين الرجل على حفظ بصره من المحظورات قال بعلمه بأن رؤية الحق سبحانه سابقة على نظره إلى تلك المحظورات . حكي أن ابن عمر مر بغلام يرعى غنماً فقال بعني شاة فقال إنها ليست لي فقال ابن عمر قل أكلها الذئب فقال الغلام : فأين الله فاشتراه ابن عمر واشترى تلك الغنم وأعتقه ووهبه تلك الغنم وكان ابن عمر يقول مدة طويلة قال ذلك العبد فأين الله فصاحب المراقبة يدع من المخالفات إستحياء منه وهيبة له أكثر مما يتركه من يدع المعاصي لخوف عقوبته قال الله تعالى ﴿ **ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾ وأن من راعى قلبه عد مع الله أنفاسه ولا يضيع مع الله نفساً ولا يخلو عن طاعته لحظة كيف وقد علم أن الله سبحانه يحاسبه على ما قل وجل . وحكي عن بعضهم أنه كان يشتري في كل سنة من

الرقيب : الذي لا يغفل ولا ينام أحاط بصره بكل شيء أدنى حفيظ وأقرب شهيد وذاكره يكون من أهل الإحسان والحضور في حضرة الحق سبحانه وتعالى ويتولى الله حفظه وحفظ أهله حفظ إكرام وعناية ويهديه الله إلى ضالته .

(١) الرقيب في الآية معناه الحافظ والعتيد الحاضر . وكل منهما بمعنى المثنى أي جلاس .

الشعير بيسير من الفلوس وكان يتقوت به طول سنة فلما مات رفعت جنازته بالغداة فلم يفرغوا من دفنه إلا قبل العشا لكثرة الزحام فرئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وأحسن إلى كثيراً إلا أنه حاسبني حتى طالبني بيوم كنت صائماً فكنت قاعداً على حانوت صديق لي حناط فلما كان وقت الإفطار أخذت حنطة من حانوته فكسرتها نصفين ثم ذكرت أنها ليست لي فألقيتها عن حنطته فأخذ من حسناتي قيمة ما نقص من تلك الحنطة بالكسر . وأن من تحقق ذلك لم يرخ عنانه في البطالة ولا يضيع عمره في الجهالة ولم يمحق[1] في الغفلات وقته ولكن يصل بالطاعات ليله بنهاره ويبذل غاية جهده وكنه استطاعته في أوقاته . يحكى عن سلمان الفارسي أنه كان إذا جن عليه الليل أخذ يصلي فإذا عيي ذكر الله بلسانه بفنون التسبيح فإذا عيي أخذ يبكي فإذا عي فكر في جلاله وعظمته ثم يقول لنفسه استرحت فقومي فصلي فإذا صلى زماناً قال للسانه استرحت فأخذ في التسبيح فإذا ذكر زماناً قال لعينه استرحت فأخذ في البكاء على هذا الوصف كان يقطع طول ليله . وقيل للحسن البصري إن بالبصرة شاباً لا يحضر مجلسك فقال له الحسن : لم لا تحضر مجلسي فقال : أنا أنوي كل ليلة أن أحضر مجلسك فإذا أصبحت استقبلني قوله تعالى ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون** ﴾ فأفكر في ذلك كيف يكون حالي ثم يستقبلني قوله تعالى : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ فأفكر في ضيق القبر كيف يكون فيه حالي ثم يستقبلني قوله تعالى ﴿ **واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب** ﴾ فأفكر في القيامة كيف يكون حالي ثم يستقبلني قوله تعالى ﴿ **فمنهم شقي وسعيد** ﴾ فأفكر في أي الفريقين أكون فيفوتني حضور مجلسك فصاح الحسن صيحة ثم قال إن الحسن يحتاج أن يحضر مجلسك . وأن من أيقن أن آخر عمره دخول اللحد لم يشتغل بتزيين المهد[2] بل عمر قبره ولم يشيد قصره

---

(١) محقه محقا من باب نفع نقصه وأذهب منه البركة . وقيل هو ذهاب الشيء كله حتى لا يرى له أثر ومنه « يمحق الله الربا » اهـ مصباح .

(٢) المهد يأتي بمعنى المهاد أي الفراش قال في المصباح : والمهد والمهاد الفراش وجمع الأول مهود مثل فلس وفلوس وجمع الثاني مهد مثل كتاب وكتب وأما المهد المعروف فجمعه مهاد كسهم وسهام .

وعلم أنه يركب الأعناق والأجياد ولم يبتهج بأن يركب العتاق[1] والجياد واستيقن أن ماله إن لم يزل عنه بحادث زال عنه إلى وارث وأنشدوا :

يـا غـافـلاً أدركـه المـوت إن لم تبـادر فـهـو الـفـوت
مـن لم تـزل نـعـمتـه قبـله زال عـن النـعـمـة بـالمـوت

وإن أخس الناس من كان كما قال الأول :

منـازل دنيـاك شـيـدتهـا وخـربـت دارك في الآخـرة

لا جعل الله نصيبنا من هذه الكلمات سردها وذكرها دون منازلتها ومعاملتها بمنة وسعة فضله .

* * *

(١) العتاق جمع عتيق يقال فرس عتيق مثل كريم وزناً ومعنى .

باب

في معنى اسمه تعالى « المجيب »

المجيب إسم من أسمائه تعالى قال جل ذكره : ﴿ **أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ ومعنى المجيب في وصفه أن يجيب دعوة الداعين ويكشف ضرورة المتوسلين قال الله تعالى : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾ ومن خصائص لطفه أنه يعطي قبل السؤال ويحقق مراد عبده بعد سؤاله بجميل النوال . وفي الخبر أن الله تعالى يستحي أن يرد يد عبده صفراً وأنه سبحانه إذا أحضر لأوليائه حاجتهم ببالهم يحقق لهم مرادهم قبل أن يذكروا بألسنتهم وربما يضيق عليهم الحال حتى إذا يئسوا وظنوا أنه لا يجيبهم تداركهم بحسن إيجاده وجميل إمداده . يحكى عن عطا الأزرق أنه دفع إليه أهله درهمين وقالوا له اشتر لنا دقيقاً فرأى مملوكاً يبكي فسأله عن حاله فقال : إن مولاي دفع إليَّ درهمين لأشتري له شيئاً فسقطا مني فدفع إليه عطا الدرهمين ومضى يصلي إلى قرب المساء ينتظر شيئاً يفتح له فلم يفتح له بشيء فقعد على حانوت صديق له نشار وذكر له حاله وكان الرجل فقيراً فقال خذ من هذه النشارة شيئاً لعلكم تحتاجون إليها تسجرون بها التنور إذ ليس لي شيء أواسيك به فأخذ ذلك في جرابه ورجع إلى بيته وفتح الباب وطرح الجراب في الدار ومضى إلى المسجد حتى صلى العشاء الأخيرة ومضى صدر من الليل رجاء أن يكون أهله قد ناموا لئلا يخاصموه فلما دخل الدار رآهم يخبزون الخبز فقال : من أين لكم الدقيق ؟ قالوا : من الذي حملته

المجيب : الذي يقدر على إجابة جميع مطالب الطالبين ولا يسأم دعاء الداعين ويجيب دعاءالمضطرين إذا التجأوا بالاضطرار أو يئسوا من المخلوقين وتنال لديه الرغائب يعطى عطاء العليم بما ينفع سائله . وذاكره يكون من المتوكلين ومن أهل الأدب عند سؤال الحق سبحانه وتعالى فلا يرد له دعاء . وينتفع الناس بقضاء حوائجهم على يديه فيزداد ثوابه وتكثر أحبابه ويرى كرامة من ربه .

في الجراب ولا تشتري لنا الدقيق إلا من عند هذا الرجل .

فصل : وربما يجتهد الرجل في تحصيل شيء لبعض الأولياء فلا يتفق ذلك ثم يكفي الله تعالى ذلك من وجه آخر ليعرف أنه متولي أمور أوليائه بنفسه ولا يكل ذلك إلى غيره ليعلم أنه لا يذل أولياءه . حكي عن الخواص أنه قال : كنت في مسجد فرأيت فقيراً ساكناً ثلاثة أيام لم يتحرك ولم يطعم ولم يشرب وكنت أرقبه وأصبر معه قال : فعجبت منه فتقدمت إليه وقلت له : ما تشتهي فقال خبزاً حاراً ومصلية قال : فخرجت وتكلفت طول نهاري كي أحصل ما قال فلم يتفق قال : فعدت إلى المسجد فأغلقت الباب فلما كان بعد زمان من الليل دق علينا الباب ففتحت الباب فإذا أنا بإنسان معه خبز حار ومصلية فسألته عن السبب فقال : إشتهاها على صبياني فتخاصمنا وحلفنا أن لا يأكل هذا إلا أهل المسجد الفلاني قال : فقلت إلهي إذا كنت تريد أن تطعمه فلم عنيتني طول نهاري .

فصل : وربما يحصل من بعض أوليائه قصد إليه وإشارته في الظاهر إلى الخلق ويكون القصد بالتحقيق إلى الحق كما يحكى عن حذيفة المرعشي أنه قال : كنت مع إبراهيم بن أدهم في بعض الأسفار فدخلنا الكوفة فآوينا إلى مسجد خراب فنظر إليَّ وقال : يا حذيفة إني أرى بك الجوع فقلت هو ما يراه الشيخ فقال عليَّ بالدواة والقرطاس فجئته به فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى :

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ... أنا جائع أنا نائع أنا عاري
هي سقة وأنا الضعيف لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة وقال أدفعها إلى أول من تلقاه قال فرأيت شاباً حسن الوجه نظيف الثياب راكباً على بغلة قال : فناولته الرقعة فنظر فيها وبكى وقال أين صاحب الرقعة فقلت في المسجد الفلاني فناولني صرة فيها ستمائة دينار وقال

إحملها إليه قال : فسألت إنساناً من صاحب هذه البغلة فقال نصراني قال : فعجبت منه و حملت الصرة إلى إبراهيم وأعلمته بالقصة فقال ضعها فإنه يجيء الساعة . فلما لبثنا أن جاء الرجل وقبل رأس الشيخ وقال : نِعم ما أرشدتني أعرض عليَّ الإسلام فأسلم فلما كانت إشارته صحيحة حصل منه ما حصل .

* * *

باب

في معنى اسمه « الواسع »

اختلف الناس في معناه فقال بعضهم معنى الواسع في وصفه أنه العالم قال الله تعالى : ﴿ **وسعت كل شيء رحمة وعلماً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما** ﴾ قيل أراد به أحاط بكل شيء علماً وقيل إنه بمعنى الغني قال الله تعالى : ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته** ﴾ قيل ذو غنى من غناه وقيل إنه واسع العطاء كثير الخير حكي هذا عن ابن الأنباري وهو الأقوى لأن العرب تقول فلان موسع إذا كان غنياً قال الله تعالى : ﴿ **على الموسع قدره وعلى المقتر قدره** ﴾ ولا يقال للغني واسع فإذا كان بمعنى العالم فقد جرى القول في معنى العالم والعليم في صفاته سبحانه فيما تقدم وإذا قيل إنه بمعنى كثير العطا فكثرة عطائه لا تستوفي بالحصر ولا تستقصي بالذكر قال الله تعالى : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ وحكي ان رجلاً من الأكابر كان قد حج حجات كثيرة فطاب قلبه ليلة فقال في مناجاته اللهم إني قد وهبت كذا وكذا حجة من حجاتي للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه كذا وكذا حجة ولوالدي كذا وكذا حجة ووهبت الباقي للمسلمين فهتف به هاتف سيعلم أهل الجمع غداً من أولى منا بالجود والكرم وأن أهل العلم بالأصول قالوا : نعم الله سبحانه على ضربين نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ما أولاهم ونعمة الدفع ما زوى عنهم وكفاهم ثم قالوا إن المشركين في النار وإن لم تكن لله تعالى عليهم نعمة نفع فله عليهم نعمة دفع لأنه سبحانه لا يوصل إليهم في النار ألماً إلا وهو يقدر أن يوصل إليهم

الواسع : الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً وغفر ذنوب المذنبين كرماً وحلماً ولا ينقص خزائنه العطاء ولا تنفد كلماته ولا حد لمعلوماته قال سبحانه وتعالى ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾ وذاكره يزداد في كل خير سعة ويعطى من فضل منحه ويكون حليماً واسع الصدر .

ألماً فوق ذلك فإذا لم يؤلمهم بأشد مما آلمهم كان ذلك دفعاً عنهم ومن آداب من عرف أنه لا يتناهى إحسانه إليه أن يقف عن عصيانه له إستحياء من كرمه وكثرة أنعامه ومن الواجب على العبد أن يعلم أنه ليس كل أنعامه إنتظام أسباب الدنيا والتمكن من تحصيل المنا والوصول فيها إلى الهوى بل ألطاف الله سبحانه إلى ما يزوي عنهم من الدنيا أكثر وإحسانه إليهم أوفر وإن قرب العبد إلى الله سبحانه وتعالى على حسب تباعده من الدنيا وفي بعض الكتب إن أهون ما أصنع بالعالم إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتي وقيل إن وزيراً للمعتضد بعث مالاً إلى أبي الحسين النوري ليفرقه على أصحابه فصب النوري ذلك المال في بيت وقال للفقهاء ادخلوا هذا البيت وخذوا منه بقدر حاجتكم إليه فدخلوا فمنهم من أخذ دانقاً ومنهم من أخذ نصف دانق ومنهم من أخذ درهماً ومنهم من أخذ أكثر منه فلما خرجوا قال النوري قربكم من الحق وبعدكم على مقدار ما أخذتم .

فصل : فإذا علم أن الله سبحانه يعطيه ما يكفيه لم يبخل عليه بما يأمره به ويستدعيه بل من آدابهم أن يوسعوا على عباده إذا وسع الله عليهم وإذا ضيق الله عليهم انتظروا من الله جميل الفرج وقالوا للناس قولاً ميسوراً فإن البخيل من ضن بالبشر والكلام الحسن . يحكى عن بعضهم أنه سأله سائل فقال لغلامه ما الذي معك قال أربعمائة دينار فقال ناولها إياه فجاء سائل آخر فقال يا غلام ناوله ما معك فناوله ديناراً فجاء سائل ثالث فقال لغلامه ما معك فقال درهم فقال ناوله إياه فجاء رابع فقال لغلامه ما معك فقال ما عندي شيء فقيل له لو لم تدفع الجميع إلى الأول لكان ذلك يتسع لجميعهم فقال إنما تأدبت بأدب الله حيث يقول ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه** [1] **فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها** ﴾ فأعطينا الأول على السعة والثاني عن قلة وأما الآخر فلم يكن معنا إلا شيء يسير فأعطيناه إياه وأما الآخر فلم يكن معنا شيء ولم يكلفنا الله شيئاً فنحن ننتظر الفرج من الله تعالى .

* * *

(١) أي ضيق .

(٢) قف على حكمة الله تعالى في عباده .

باب

في معنى إسمه « الحكيم »

قد مضى القول في معنى الحكيم في وصفه وإستقامة لفظ الحكمة في معنى اسمه الحكم بما يغني عن إعادته ومن حكمته في عباده تخصيصه قوماً بحكم السعادة من غير إستحقاق ولا سبب بل تعلق العلم القديم بإسعاده وسبق الحكم الأزلي بإيجاده وخص قوماً بطرده وابعاده ووضع قدره بين عباده من غير جرم سلف ولا ذنب إقترف بل حقت الكلمة عليه بشقاوته ونفذت المشيئة بحجب قلبه وقساوته قال الله تعالى في وصفه ﴿ **أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم** ﴾ وقال تعالى في قصة بلعام ابن باعورا ﴿ **ولو شئنا لرفعناه بها** ﴾ ثم قال في قصته بعدما أتاح له من كرامته وما أوهم في الظاهر أنه من أهل قربته حتى جاء في القصص أنه كان يرى من الثرى إلى العلى وأنه كان يعرف إسم الله الأعظم فقال سبحانه في صفته فمثله كمثل الكلب .

فصل : الذي كان عدواً أبرزه في نظام أوليائه ثم قال فمثله كمثل الكلب والذي كان من أهل ولايته خلقه في صورة الكلب ثم حشره في جملة أوليائه وذكره في زمرة أصفيائه فقال « ورابعهم كلبهم » وقال « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » .

فصل : لا عبرة بالخلقة ولا إعتماد على الحال والصورة وإنما الإعتبار لسابق الحكم والقسمة سمعت الأستاذ الدقاق يقول إن أصحاب الكهف صرفوا ذلك الكلب فلم ينصرف وأنظفه الله سبحانه فقال لهم لم تصرقونني إن كان لكم

الحكيم : الذي أنصف في تقديره وأحسن تدبيره ونفذ حكمه وعلت مشيئه وله عاقبة الأمور . وذاكره يتفطن للعواقب وينجو من المهالك ويؤتى الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

إرادة فلي أيضاً إرادة وإن كان خلقكم فقد خلقني فإزدادوا بكلامه يقيناً فقالوا فيما بينهم لا يمكننا صراف هذا ويستدل بآثار قدمه علينا فالحيلة أن نحمله على أكتافنا فقال رحمه الله أن الأولياء كانوا يمشون رجالاً وأما الكلب فكان حامله الأولياء وكان يقول رحمه الله كانوا في الإبتداء لذلك الكلب بلاياه فصاروا في الإنتهاء مطاياه . نكتة أن نباح الكلب يوجب لسامعه الوحشة ولكن لما ساعدت العناية أوجب نباح ذلك الكلب لهم زيادة بصيرة قال الله تعالى ﴿ وربطنا على قلوبهم إذ قاموا ﴾ جاء في التفسير بكلام الكلب ليعلم العاملون أن العبرة بالحكم الأزلي لا بالسكون والحركات والعلل والاسهاب وأنشدوا :

شكى إليك ما وجد   من خانه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدى   ظمآن لو شئت ورد

فصل : لم يكن في الملائكة أكبر قدراً ولا أجل خطراً من إبليس ما دام الحكم له بالباسه خلعة التوفيق . فلما أراد به الإسقاط عن رتبته صار بحيث لا يلوح رسم شقاوة على أحد إلا كان منه بسبب وأنشدوا :

لا تعجبوا من ذلتي فأنا الذي   حكم المليك بزلتي فأذلني

فصل : وربما حكم الحق سبحانه وتعالى لبعض عباده بالسعادة فيظهر عليه مدة اختيار الكفر وإيثار الشرك وأوضار الجحد إلى أن يبلغ الكتاب أجله فيدركه أزلي الرحمة وسابق الحكمة كما حكي عن أبي حفص النيسابوري أنه قال يوماً لأصحابه في وقت الربيع تعالوا نخرج إلى التنزه فخرجوا فكان يمر بمحلة الجزري فرأى شجرة كمثري قد زهت في دار فوقف مع أصحابه ينظر إليها بالعبرة فخرج من تلك الدار رجل مجوسي شيخ كبير . فقال له يا مقدم الأخيار هل تقنع أن تكون ضيفاً لمقدم الأشرار فدخل أبو حفص مع أصحابه داره وكان معهم من قراء القرآن فأخرج المجوسي كيساً فيه دراهم كثيرة . وقال أنا أعلم أنكم تتنزهون عما تصل أيدينا إليه من الطعام فمروا من يشتري لكم بهذه الدراهم شيئاً من السوق ففعلوا وأكلوا شيئاً فلما أراد أبو حفص أن يخرج قال له الشيخ

المجوسي لا يمكنك أن تخرج إلا وأنا أصحبك فأعرض عليَّ الإسلام . فأسلم هو وأولاده ورهطه بضعة عشر نفساً فخرج أبو حفص ثم قال لأصحابه إذا خرجتم إلى النزهة فأخرجوا هكذا . لما سبق الحكم له بالسعادة سيق إليه . مثل أبي حفص حتى أكمل الله له نوره كذلك جرت سنته الكريمة إذا أراد الله شيئاً أن يقول له كن فيكون .

* * *

في معنى اسمه « الودود »

الودود : اسم من أسمائه تعالى قال جل قدره ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ وفي معناه قولان أحدهما أنه فعول بمعنى المبالغة من الفاعل . كما يقال رجل قتول إذا كان كثير القتل . وقيل أنه فعل بمعنى مفعول كقولهم ناقة حلوب بمعنى محلوبة . فمعنى الودود في وصفه تعالى أنه يود المؤمنين ويودونه قال الله تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقال تعالى ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ وقال تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ . قيل سيخلق في قلوبهم وداً لله . فأما معنى المحبة في صفة الحق سبحانه لأوداثه . فتكون بمعنى رحمته عليهم وإحسانه إليهم فإذا كانت بمعنى الرحمة والإرادة والمدح لهم كان من صفات ذاته . ولم يزل الله تعالى محباً لأوليائه . ولا يزال محباً لهم وإن كان بمعنى الانعام والإحسان كانت من صفات الفعل وأما محبة العبد لله فتكون بمعنى لزوم طاعته . وموافقته لأمره وتكون بمعنى تعظيمه له وهيبته منه فكل من كان أكثر طاعة له وأشد تعظيماً كان أكثر محبة ومن كان عاصياً لأمره ومخالفاً له كان بعيداً من محبته . وتكلم الناس في اشتقاق المحبة ، وفي أصل ذلك فقال بعضهم أصله من حبب الأسنان وهو صفاؤها ونظافتها فكأن محبة العبد صفاء أقواله وضياء أحواله . وذلك لتنزهه عن الغفلات وتباعده عن العلات وتنقيته عن أوضار المخالفات وتوقيه عن أجناس الزلات . فإن القلب كالمرآة التي تشاهد فيها أحكام الغائبات ولا تريك المرآة الشواهد إلا إذا صفت وأجمعوا أن كل محبة تكون على ملاحظة غرض فإنها تكون معلولة حتى تكون صافية عن كل مطمع

الودود : كثير الود لعباده يحب من تقرب إليه ويدني الطامعين في قربه . وذاكره يزداد في محبة الله وفي فعل ما يقربه منه . وترك ما يغضبه لذلك يحبه من رآه بجاذبية الحق سبحانه وتعالى .

وقيل أصلها من قولهم أحب البعير إذا إستناخ فلم يبرح . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي** ﴾ . أي لصقت بالأرض من حب الخير فالمحب أبداً يكون مقراًعلى باب محبوبه بنفسه وبدنه فإن لم يمكنه فبقلبه وروحه . سمعت الدقاق يقول إن المشايخ قالوا إن طريقتنا هذه بينة لا تصلح إلا لأقوام كنس الله بأرواحهم المزابل فالمحب أبداً يكنس باب محبوبه بروحه لا يدع خدمته ما أمكنه . ليصل سيره بسراه ويدع هواه في رضاه. وأنشدوا :

أحبكم ما دمت حياً وإن أمت ... أحبك قلب في التراب تريب

وأنشدوا :

ومن كاشفات الريب إني وامق ... تجافيك عني وإعتكافي ببابكا

يهجر فيأبى إلا الوصال . ويقابل بالصد والرد . والإهانة والطرد . والتنفير والبعد . ولا يزداد في الظاهر إلا جهداً على جهد . وفي الباطن إلا وجداً على وجد . يوثر الذل على العز والبعد على القرب . وأنشدوا :

وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ... ما من يهون عليك ممن يكرم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم ... إذا كان حظي منك حظي منهم

وأنشدوا :

رأيتك يدنيني إليك تباعدي ... فباعدت نفسي لإبتغاء التقرب

وقيل أصله من الحب وهو القرط سُميَّ جنباً لقلقه وهو إضطرابه كما أن القرط لا يستقر بل يضطرب دائماً كذلك المحب عديم القرار . بعيد الإصطبار . لا يسكن أنينه .ولا يهدأ حنينه . نهاره ليل . وليله ويل . ونومه مفقود . وفي قلبه وقود .وقيل أصله من الحبة . وهو بزر ينبت في الصحراء فالمحبة شجرة تغرس في الفؤاد وتسقى بماء الوفاء أصلها ثابت في السر وفرعها ثابت في هواء الهمة وثمرها لطائف الأنس تؤتي أكلها دائماً جوره أعلى من عدله . ومنعه أشهى

من بـذله . ورده أحـلى من قبولـه لا يؤدى قتيله . ولا يسلك إلا بتعب التحمل سبيله وقيل المحبة الإيثار وهو أن لا يدع لمحبوبـه ميسوراً إلا بـذله ولا ممكنـاً إلا استعمله . لا يبقى لنفسـه ولحظه نـوماً ولا سنـة . ولا يستثني من جملة ما يبـذله لحظة ولا سنة .

وأنشدوا :

لئن بقيت في الـعـين مني قـطرة   فـإني إذاً في العـاشقـين دخيـل

* * *

باب

في معنى اسمه « المجيد »

المجيد في وصفه سبحانه قيل بمعنى العظيم الرفيع القدر والمجد في اللغة الشرف ويقال معناه الجميل العطا يقال مجدت الإبل تمجد بالنصب في الماضي والرفع في المستقبل إذا رعت في مرعى خصيب وأمجدها صاحبها ويقال أمجدت الدابة إذا أحسنت علفها والعرب تقول في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وهما شجرتان إذا حك إحداهما بالأخرى اضطرم النار منهما فمعنى استمجد أي استكثر . فإن قيل إن المجيد بمعنى جليل القدر فهو فعيل مبالغة من الفاعل وإذا قيل أنه بمعنى جزيل العطايا فهو فعيل بمعنى مفعل كأنه أمجد عباده أي أكثر عطاءهم فهو مجيد كالأليم بمعنى مؤلم من قولهم أمجدت الدلبة إذا أحسنت علفها وكل وصف من أوصافه يحتمل معنيين فمن أثنى عليه بذلك الوصف فقد أتى بالمعنيين جميعاً ، وكل من قال له مجيد فقد وصفه بأنه عظيم رفيع القدر وأنه محسن جزل البر والله تعالى يحسن إلى عباده ويفيض عليهم سني نواله ومن وجوه إحسانه إليهم الذي يخفى على أكثر الخلق حفظه عليهم قلوبهم وتصفيته لهم أقواتهم وأوقاتهم فإن النعمة العظمى نعمة القلوب كما أن المحنة الكبرى محنة القلوب . يحكى عن بعضهم أنه قال كنت قاعداً عند سحنون وكان يترنم في نفسه وبيده قضيب يضرب به على فخذه فانشق اللحم وسال الدم وهو يقول :

المجيد : الذي له المجد التام والشرف الرفيع ويطهر من اختارهم لحضرته وإصطفاهم لمحبته وخصهم بمناجاته وخلته من أرجاس الشهوات وعلل النفوس بما يفيضه عليهم من صفات الكمال ليكونوا أهلاً لذلك الشرف العالي والمجد الرفيع ويحفظهم مما يشينهم . أو يكون سبباً للتفزز منهم قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ وقال : ﴿ **وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد** ﴾ وهو ذكر نافع لمرضى البرص والجذام والأمراض المستقيحة ولأمراض القلب وذاكره يتحسن في خلقه وفي خلقه .

كــان لي قــلب أعيش بــه ضــاع مــني في تــقــلبــه
رب فــاردده عـــليَّ فــقــد ضـاقت الــدنيــا عــليَّ بــه
رب فــاردده عـــليَّ فــقــد عيــل صبري في تــطلبــه
وأغــث مــا دام بي رمــق يــا غيــاث المستغيث بــه

ويحكى عن بعضهم أنه قال رأيت رجلاً يطوف بالبيت وهو يقول واوحشاه بعد الأنس واذلاله بعد العز وافقاره بعد الغنى . قال فقلت له أذهب لك مال أم أصابتك مصيبة قال لا ولكني كان لي قلب ففقدتـه . ويحكى عن أبي عبد الله بن خفيف أنه قال رأيت بمصر فقيـراً يطوف عـلى الناس ويقـول ارحموني فـإني رجل صوفي ذهب مني رأس مالي فقلت أو للصوفي رأس مال قـال : فقال نعم كـان لي لب ففقدته . وأن الحق سبحانه إذا أراد أن يتحف عبداً أغناه بـلا مال وكفـاه بلا إحتيال وأعزه من غير رهط وأشكال ، يعافيه إذا مرض من غير علاج ويحميه في عمـره من غير فـاقة وإحتيـاج . حكي عن عمرو ابن عثمـان المكي أنـه قـال دخلت على مريض أعوده وهو شاب فقير وكـان معنا جمـاعة من الفقـراء فلما قعد عمرو قال الفتى يا أستاذ هل فيهم من يقول شيئاً فأشار عمرو على واحد منهم فقال القوال :

مـا لي مرضت فلم يعـدني عـائـد منكم ويمــرض عبدكم فــأعــود
وأشـد من مرضي عـلى صدودكم وصـدود من أهـوى عليَّ شـديـد

فلم يزل الفتى يتعاطى عـلى القول وهـو يقول حتى استـوى قاعـداً وخرج معنا . فسئل عمرو عن حالته فقال إن السماع سمع والإشارة من أحيي قبل . وإذا كـانت الإشارة من بعـد قتلت فتبين بهـذا أن في السماع إحيـاء . وقتلاً وإثبـاتـاً ومحواً . وإن كان الناس عما هم فيه غافلين . ومن أعظم ما ينعم الله عـلى عباده حفظه عليهم توحيدهم ودينهم حتى لا يبدلوا ولا يزيغوا . إذ لولا لطفه وإحسانه لضلوْا وارتـدوا . . يحكى أن رجلاً ببغـداد كان يسمى صـالحـاً أذن في المسجـد أربعين سنة فصعد المنارة يـوماً فـأذن فأشـرف على دار نصـراني فرأى فيهـا إمرأة جميلة افتتن بهـا فنزل ودخـل دار النصراني واعتنقهـا فسألتـه عن حالـه فقال إنـه

عشقها فقالت لا سبيل لك إليَّ حتى يدخل والدي فيزوجني منك وحتى تدخل في ديني . قال فتنصر الرجل وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير وقصد المرأة فدخلت بيتاً وردت الباب فأشرف الرجل على السطح وسقط في صحن الدار ومات على النصرانية ففقد الدين ولم يصل إلى الأمنية وخسر الدنيا والآخرة . فنعوذ بالله من بغتات مكره وفجآت نقمه ونسأله أن يختم لنا بالخير برحمته .

* * *

باب

في معنى اسمه « الباعث »

معنى هـذا الاسم أنه بـاعث الخلق يوم القيامة يقـال بعث الله المـوتى إذا أحياهم قال الله تعالى ﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾ وقيل أنه بـاعث الرسـل قـال الله تعالى ﴿ ثم بعثنـا من بعده رسـلاً إلى قومهم ﴾ فيكـون البعث في اللغة بمعنى الإثارة يقال بعثت البعير إذ أثرته والانبعاث انفعـال منه يقـال فلان منبعث في هذا الأمر أي مجد ويكون التبعث القوم المبعوثين كالـركب والصحب والشرب والله تعالى قادر عـلى بعث الخلق وحشر الخلق يوم النشـور ومن تحقق ذلك وعلم أن بين يديه يوماً هو يوم الحساب والعتاب والثواب والعقاب فبالحري أن يتصفح أحواله ويفتش أعماله ولا يفعل ما يقـاسي عليه نـدماً أو يجـد بسببه ألمـاً قال الله تعالى ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ﴾ . يحكى عن الربيع بن خيثم أنه قال مررت بمكتب فرأيت صبياً يبكي فقلت مم تبكي فقال غـداً يوم الخميس أحتـاج أن أعرض الدرس على المعلم ولست أحفظ . فقلت كيف بي إذ كان يوم القيامة وأحـاسب عـلى مـا أسلفت . وإذا علم العبـد أن الله سبحـانـه قـال ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سدى ﴾ . وتحقق بأنه يطالبه بأفعاله وأعماله غداً داخله الروع والفزع والطمع شاء أو أبى . يحكى عن أبي الحرث الأوسي أنه قـال كنت قاعـداً في بيتي فدقت على جارية الباب فقلت من فقالت جارية تسترشد الـطريق فقلت طريق الهرب أم طريق النجاة فقالت يا بطال أو إلى الهرب طـريق ثم قالت إقـرأ

الباعث : الذي بيده الأمر ويبعث الرسل مبشرين ومنذرين ويبعث الخلق ليـوم القيامـة ويبعث في الأجساد الأرواح وفي الأكوان الحـركة والحيـاة . وذاكره يكـون مربـطاً في سبيل الله راضياً بقضائه ويرزقه الله العِلم والحكمة وعلو الهمة .

عليَّ شيئاً من القرآن فجرى على لساني : ﴿ **إن لـدينا أنكـالاً وجحيماً وطعـاماً ذا غصة وعذاباً أليماً** ﴾ فصاحت وخرج روحها . فإذاعليها مسح من شعر فوجد في جيبها رقعة مكتوب فيها . إذا مت فادفنوني فيها فإن كـان لي ثم قبول أبـدلها الله سندساً وحريراً ، وإن لم يكن فسحقاً وبعداً . وهكـذا إذا علم العبد أن الآخـرة هي دار القرار علم أن النعيم الأكبر لا ينفع مع العـاقبة الأليمـة والبلاء الشـديد في الدنيا لا يضر مع الخاتمة الجميلة . يحكى عن بشر الحافي أنـه كان يلتقط يـوماً الحثالة من الطريق فجاء كلب يلتقط معه وكان بشر يلتقط البقـل والكلب يلتقط العظام . فظهر لقمة خبـز ، فأراد بشر أن يـأخذهـا فنبح عليـه الكلب . فطرح بشر الخبز إليه وقال إن كان عاقبتي إلى خير فلا يضرني ما أنا فيه . وإن كان على وجه آخر فأنت خير مني .

فصـل : وقد يغلب عـلى العبد الـرجاء في بعض الأحـوال فيؤمـل من الله جميل عفوه ويرجو حسن فضله . يحكى أن الشبلي كان جالساً فدخل عليه إنسان وقال يا أبا بكر من يحاسبنا فقال الله فأخذ الرجـل يتواجـد ويزعق . فقيـل له في ذلك فقال الكريـم إذا قدر عفا . وروي أن أبا هريرة قـال للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم العجب من هذا الخلق كيف ينجو أحدهم مع كثرة زلاتهم فقـال الحسن رضي الله تعالى عنه العجب ممن يهلك منهم مع سعة رحمـة الله فقال أبـو هريرة الله يعلم حيث يجعل رسالتـه وقيل أن رجـلاً من الصالحـين رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل له بماذا فقال ههنا يعـاملون بالجـود . لا بـالركـوع والسجود . ويعـطون بالمنـة لا بالخـدمة . ويغفـرون بالفضـل . لا بالفعل .

فصل : ويكون معنى الباعث في وصفه تعالى أنه يتبعث الخواطر الخفيـة في الأسرار فمن دواع يبعثها إلى الحسنات ومن دواع يبعثها إلى السيئـات ومن موفق لا لاستحقاق طلب . ومن مخذول لا لعلة وسبب ختم الله تعالى لنا بالجميل إنـه على ما يشاء قدير .

* * *

باب

في معنى اسمه « الشهيد »

الشهيد إسم من أسمائه تعالى ومعناه العليم قال الله تعالى ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾ قيل علم الله أنه لا إله إلا هو . ويكون الشهيد هو الحاضر يقال شهد فلان أي حضر وحضوره سبحانه يكون بمعنى علمه ورؤيته وقدرته على الشيء وأنه لا يخفى عليه خافية ويكون الشهيد مبالغة من الشاهد والله تعالى شاهد على الخلق غداً قال الله تعالى ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم** ﴾ . ويقال شهد فلان كذا أي رأى ذلك . ويكون الشهيد بمعنى المشهود فكأن العباد يشهدونه ويكون الشاهد والشهيد في وصفه تعالى أنه يبين الدلائل ويوضح الحجج ويسمى الشاهد شاهداً لأنه تبين شهادته حكم المشهود عليه لأنه إذا شهد الشهود اتضح حكم المشهود به . وأما الشهيد في صفة الخلق فالمقتول في سبيل الله سُميَّ شهيداً . واختلف الناس لم سُميَّ بذلك . فمنهم من قال لأن دمه سال على شهادة الأرض أي على ظاهرها وهذا لا يقوى لأن غير المقتول يسمى شهيداً كالمبطون والغريق وغيره . وليس كل مقتول في سبيل الله يجري دمه على شهادة الأرض وقيل سمي شهيد الوقيعة والمعركة وهذا أيضاً لا يقوى . لأنه إذا لم يقتل في سبيل الله لا يسمى شهيداً وإن حضر الوقيعة وقيل إنما سمي شهيداً لأن ملائكة الرحمة تشهده أي تحضره فيكون فعيلاً بمعنى مفعول وهذا أقوى وقيل إنما سمي شهيداً مبالغة من الشاهد أي شهد هو رحمة الله ولطفه . وقيل سمي شهَيداً بمعنى مفعول أي الله شهد له باللطف والرحمة وإذا علم العبد أن الله تعالى يشهد ويعلم ويبصر جميع أفعاله وأحواله سهل عليه ما

الشهيد : الذي يرى أفعال خلقه ويعلم سرهم ونجواهم ولا يمكن الاستخفاء منه ولا تضيع الشهادة عنده . وله الحجة البالغة على خلقه . قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** ﴾ . وذاكره يخشى ربه في السر والعلن . ويخلص في عمله لوجه الله تعالى ويكون من أهل المعرفة .

يقاسيه لأجله وهان عليه ما يعانيه لرضاه . قال الله تعالى : ﴿ **واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا** ﴾ وحكي أن رجلاً كان يضرب بالسياط وكان يصبر ولا يصيح فوقف عليه بعض المشايخ فقال له أما يؤلمك . فقال نعم فقال لم لا تصيح . فقال في القوم لي عين ترقبني[1] أخشى أن يذهب ماء وجهي عنده إن صحت . سمعت الشيخ منصور المغربي يقول : جرد إنسان للسياط فصبر ولم يصح فلما فرغوا من ضربه قال لبعض أصحابه تقدم إلى فتفل على يديه رقاق الفضة . فقال ما هذا فقال درهم كان في فمي كلما أوجعني الضرب شددت عليه أسناني لأنه كان ينظر إليَّ بعض من اعتقد فيَّ الشجاعة والجلادة فقلت إن صحت ذهب ماء وجهي عنده . ويحكى عن بعضهم أنه قال دخلت بلاد الترك فرأيت بيتاً للأصنام فيه صنم كبير معلق على رأسه طابق[2] وفي عنقه فأس معلق . فقلت ما هذا فقال جاء إنسان وادعى محبة هذا الصنم فقيل له ما علامة صدقك فقال أن أقطع بين يدي هذا الصنم ارباً ارباً ويعلى عليَّ هذا الطابق وأنا لا أتحرك في رؤيته . ففعل به ذلك فصبر فعلق هذا على رأسه ويقال من ادعى محبة هذا الصنم فليصبر على ما صبر عليه ذلك الرجل . وإذا كان الناس يحملون على رؤية أمثالهم وأشكالهم أمثال هذه المحن . فمن ادعى المحبة لرؤية الله تعالى ثم لا يصبر على قرصة نملة . مخدوع . وإذن علم أنه متجوز في دعواه . غير صادق في حق مولاه . قال الله سبحانه ﴿ **يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضي من القول * وكان الله بما يعملون محيطاً** ﴾ وأن أهل المعرفة لم يطلبوا معه مؤنساً سواه . ولا أحد يشكون بين يديه غيره . بل رضوانه شهيداً على أحوالهم عليماً أمورهم كيف وهو يعلم السر وأخفى ويسمع النجوى ويكشف البلوى ويجزل الحسنى ويصرف السوء :

أنتم سروري وأنتم مشتكى حزني ... وأنتم في سواد الليل سماري[3]
فإن تكلمت لم ألفظ بغيركم ... وإن سكت فأنتم عقد إضماري

* * *

(١) الذي في المختصر محبوب يرقبني
(٢) طابق كهاجر وصاحب الآجر الكبير . فارسي معرب .
(٣) جمع سامر من السمر وهو الحديث بالليل .

باب

في معنى اسمه « الحق المبين »

الحق من أسمائه تعالى وهو بمعنى الموجود الكائن الذي ليس بمعدوم ولا منتف . والحق المطلق في اللغة بمعنى الموجود . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « السحر حق والعين[1] » . أي كائن موجود وكذلك يقال الجنة حق والنار حق أي كائن موجود وكذلك الصراط حق والساعة حق ويكون الحق بمعنى ذي الحق كما يقال رجل عدل ورضي أي ذو عدل وذو رضى . كما قال الشاعر :

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت　　فإنما هي إقبال وإدبار

أي ذات إقبال وإدبار . ويكون الحق في وصفه سبحانه بمعنى يحق الحق . والحق المفيد في وصف غيره يكون بمعنى ما يحسن فعله ويصح إعتقاده ويجوز النطق به يقال هذا فعل حق وهذا القول حق وهذا الاعتقاد حق وعكسه بالتباطل المطلق يكون بمعنى المعدوم ويقال في اللغة حققت الشيء وأحققته فهو حق . ويقال حق لك أن تقول كذا . وحق عليك أن يفعل لك الحق . وحقيق لك فيكون حقيقاً فعيلاً بمعنى الفاعل ويكون بمعنى المفعول . وأما الحق والحقيقة في صفات الخلق في إصطلاح هذه الطائفة . فيعنون بالحق ما يعود إلى الحقائق وأوصاف القلوب من المعارف ويعنون بالحقيقة المعاملات والمنازلات . وإنما أخذوا

الحق : الثابت الذي لا يزول . واجب الوجود لذاته . ولا وجود للحوادث إلا به ولا معبود بحق إلا هو قال سبحانه وتعالى ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير** ﴾ .

وهو من صفات الذات وذاكره يكون من أهل التوحيد وهو من أسرع الأسماء في الفتح والتجلي .

---

(١) في بعض النسخ للعين حق والسحر حق .

هـذا الاصطلاح من خبـر حارثة حيث قال لـه صـلى الله عليـه وسلم لكـل حق حقيقة . فما حقيقة إيمانك قال أسهرت ليلي وأظمـأت نهاري فأشـار بالحقيقـة إلى المعـاملات في سهـر الليل وظمـأ النهار . سمعت الـدقاق رحمـه الله تعالى يقـول سمعت العباس الزوزني الزاهد يقول كنت في إبتداء أمري أسافر وعليَّ مسح وفي عنقي غل . فدخلت ديراً للنصارى بالشام فـوصف لي فيه إمـرأة مجتهدة فـأردت أن ألقاها فرأيتها كالخلال دقة ونحافـة لكثرة الاجتهـاد في طول الجـوع والخلوة . فقلت لهـا مـا أحسن هـذا الجهـد لـو كـان في حق . فقـالت إن لم يكن هـذا في حق . . فإنه حقيقة . فأنت تدعي الحق فأين الحقيقة تعنى الجهد والمعاملة . قال ولم تكن لي تلك المعاملة فخجلت .

فصل : وأكثر ما يجري عـلى لسان هـذه الطائفـة من أسمائـه تعالى الحق وذلك لما ذكـرنا أن الحق هـو الموجـود . لأنَّ القوم ارتقـوا من شهود الأفعـال إلى شهـود الصفات . ثم من شهـود الصفـات إلى شهـود الـذات . وكـما أن العلماء الذين هم أهل الاستدلال بالتفعل على الفاعل أكثر ما يجري على لسـانهم الباري والتباري هو الخالق فكذلك الغالب عـلى لسان هؤلاء من أسمـائه تعـالى الحق . سمعت الدقاق يقول إن الله تعالى تعرف الى العامة بأفعاله فقال عز ذكره ﴿ **أو لم ينظروا في ملكوت السمـوات والأرض** ﴾[1] وتعرف إلى الخـواص بصفاتـه فقال عز من قائل ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قـرآن وما تعملون من عمـل إلا كنـا عليكم شهوداً إذ تفيضـون فيـه . ومـا يعـزب عن ربـك مثقـال ذرة** ﴾ وتعـرف إلى خاصـة الخاصـة . بحقيقة حقـه وذاته . فقـال تعـالى ﴿ **قـل الله ثم ذرهم** ﴾ .

فصـل : ومن عرف أنـه دو الحق أثر حقـه عـلى حـظه وحق الحق أحق . وعـلامة من أثـر على حـظه أن يسخر لـه خلقه ويحقق لـه ظنـه يحكى عن بعض الصالحين أنه قال كان ابتداء توبتي أنه كـان تاجـراً بزازاً فـدخل السوق خادم من

(١) ملكوت : أي ملك .

دار الخليفة يطلب ثياباً لهم فعرض هذا الـرجل الثيـاب على الخـادم فبينما هـو في ذلك إذ أذن المؤذن فترك هذا الرجل الخادم واشتغل بالصـلاة فحرد الخـادم وقال إحمـل ثيابـك وحمل الثيـاب من حانـوت آخر إلى دار الخليفـة فلم ترتض ورجـع الخادم إلى حانوت هذا الرجل شاء أم أبى وحمل ثيابه وارتضوها واشتروا منه بربح كثير وافر فلما أمسى الرجل رأى في المنام كأن قـائلاً يقـول له آثـرت الصلاة عـلى تجارتك فلا جرم قدمنا ثيابك على ثياب غيرك فلما أصبح الرجل سر بتلك الرؤيا وتصدق بجميع ماله وصار شيخ وقته . وأما المبين في وصفه سبحـانه فهـو الذي يوضح الحق ويعليه ويقيم البرهان ويوضحه ويظهر الحق من الباطـل بالعـلامات التي ينصبها ويبين من مكنونات العبد ما لم يخطر ببال أحد من دقائق آثار الحكمة وعجـائب متعلقات القـدرة ويبين لقلوب المـوحـدين عـلى الخصـوم في شـواهـد الربوبية ما يزيل الشبهة ويعلي الحجة .

* * *

باب

معنى اسمه « الوكيل القوي »

الوكيل والقوي إسمان من أسمائه تعالى قال الله تعالى ﴿ وكفى بالله وكيلاً ﴾ ومعنى الوكيل الذي وكل إليه الأمور فهو فعيل بمعنى مفعول ومن عرفه وكل إليه أموره بل هو المتولي لأحوال عباده يصرفهم على ما يريد ويتولى بأسبابهم على ما يختاره وهو وكيل قوي يقدر على ما يريد إمضاءه ويقوى على ما يشاء إنشاءه وإذا تولى أمر عبد بجميل الكفاية كفاه كل شغل وأغناه عن كل غير ومثل ولا يستكثر العبد حوائجه لأنه يعلم أن كافيه مولاه . ولهذا قيل من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل ويحكى عن ممشار الدنيوري أنه قال كان عليَّ دين فهممت ليلة من الليالي وضاق صدري فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول لي يا بخيل أخذت على هذا المقدار خذ فعليك الأخذ وعلى القضاء قال فانتبهت ففتح لي بما قضيت الدين وما حاسبت بعد ذلك قصاباً ولا بقالاً . وحكي أن أحمد بن خضرويه لما حضرته الوفاة كان عليه سبعون ألف درهم فحضره غرماؤه فقال يا إلهي : روحي رهن في أيديهم فإن أردت قبضها فاقض حقوقهم فدق إنسان الباب وقال ليخرج غرماء أحمد ابن خضرويه فقضى دينه ثم مات رحمه الله تعالى .

فصل : وأن من له وكيل يتولى أشغاله فيسأله الاجرة على أعماله وربما

الوكيل : الكفيل بالخلق المدبر لحاجاتهم لا يرجع أمرهم إلى غيره ويكفي المتوكل عليه ما أهمه وذاكره يكثر رزقه وينتصر على ظالمه ويأمن من المكاره .

القوي : الذي لا غالب له ولا يعتريه ضعف أو وهن . ولا يحتاج إلى عدد أو معين تنزه عن مشابهه الحوادث فيها يحتاجون إليه تمت قدرته ونفذت كلمته ﴿ كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي إن الله لقوي عزيز ﴾ وذاكره يخاف الله تعالى ويقوى على مجاهدة النفس والهوى والشيطان وينصر على أعدائه ويقوى جسده .

يخون في ماله ثم يخطىء في كثير من أحواله وربما لا يهتدي كما ينبغي لوجوه أشغاله . والحق سبحانه يأخذ لمن يرضى به وكيلاً . ثم يحقق له تأميلاً ويثني عليه جميلاً ويعطيه جزيلاً ولا يسأله على ما يتولاه من أموره عوضاً بل يضاعف له فضلاً ونعمة ويلطف به في دقائق أموره وأشغاله ما لا يرتقي إليه آماله ولا يأتي على تفضيله سؤاله سنة منه سبحانه جميلة أمضاها وعادة كريمة بين عباده أجراها .

فصل : ومن عرف أنه وكيله وصدق عليه تعويله فبالحري أن يكون وكيله سبحانه على نفسه في استيفاء حقوقه ولوازمه وإقتضاء أوامره وفرائضه فيكون خصمه سبحانه على نفسه ليلاً ونهاراً لا يغتر لحظة ولا يجوز التقصير بتة وأنشدوا :

على رقيب منك خال بمهجتي   إذا رمت تسهيلاً عليَّ تصعبا

ويحكى عن بعضهم أنه قال رأيت ببلاد الهند شيخاً كبيراً يسمى الصبور فسألت عن حاله فقيل أنه كان له حبيب في عنفوان[1] شبابه فسافر يوماً فخرج هذا الرجل إلى وداعه فبكت إحدى عينيه ولم تبك الأخرى فقال لعينه لأحرمنك النظر إلى محبوب الدنيا عقوبة لك إذ لم تساعديني على البكاء لفراق محبوبي فمنذ ثلاثين سنة غمض عينه ولم ينظر بها إلى شيء وفي القصة أن يوسف عليه السلام كان له زوج حمام فلما فارق يوسف يعقوب عليهما السلام فكلما أراد يعقوب أن يبتسم أو يخاطب أحداً أو يتكلم جاء الحمام ووقف بحذائه يذكره عهد يوسف عليه السلام فكان يتنغص بعيشه ، فإذا كان مثل هذا موجود في وصف المخلوقين إذا كانت محبتهم لأشكالهم فأولى وأحرى أن يكون مثل هذه المطالبات محفوظة على الأحباب فإن عهد الأحباب لا يخلق[1] عند الأحباب ولا يزدادون على مر الأيام إلا وفاء على وفاء وصفاء على صفاء يخلق الدهر ويبلى وهم بعد

(١) عنفوان الشيء : أوله .
(١) من خلق الثوب بالضم إذا بُلي .

طول الزمان أحبة . وفي معناه أنشدوا :

لم ينسينك سرور، لا ولا حزن ... وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسن
ولا خلا منك قلبي لا ولا بدني ... كلي بكلك مشغوف ومرتهن

وأنشدوا :

ولا أنس بالأشياء لم أنس قولها ... وأجفانها من شدة الوجد تذرف
الست على العهد الذي كان بيننا ... فلسنا وحق الله عن ذاك نصرف

وأنشدوا :

يا عز ما طلعت شمس ولا غربت ... إلا وأنت منا قلبي ووسواسي
وما جلست إلى قوم أحدثهم ... إلا وأنت حديثي بين جلاسي
وما هممت بشرب الماء من ظمأ ... إلا رأيت خيالاً منك في الكاس

وأما القوي في وصفه تعالى فهو بمعنى القادر واشتقاقه في اللغة من قوى الحبل وهي طاقاته وقد مضى معناه في معنى القادر فيما تقدم فاغنى عن إعادته .

* * *

باب

في معنى اسمه « المتين »

المتين اسم من أسمائه تعالى ورد به الخبر وهو بمعنى القوي واشتقاقه من المتانة وهي الصلابة مأخوذة من المتن الذي هو الظهر لأن استمساك أكثر الحيوان يكون بالظهر فتسمى القوة متانة ولا يصح في وصفه تعالى المتن ولا الصلابة ولكنه يكون بمعنى القدرة وفي هذا دلالة على صحة مذهب أهل الحق لأن الله تعالى لا يسمى بما لم يرد به التوقيف والاذن من قبله لأنه لا يوصف بالجلادة والشجاعة ويوصف بالقوة والقدرة لأن التوقيف ورد بذلك دون غيره ويجوز أن يسمى المتين . ولا يسمى بالمتانة ولا بالصلابة فالمعتبر في هذا الباب إطلاق ما ورد به التوقيف على الوجه الذي قد ورد صح معناه في وصفه أو لم يصح والامتناع مما لم يرد به الاذن صح معناه في وصفه أو لم يصح وهو سبحانه على ما يشاء قدير لا يخرج عن قدرته مقدور كما لا ينفك عن حكمته مفطور . وهو سبحانه في إمضائه بحكمه غير مستظهر[1] بجند ومدد . ولا مستعين بجيش وعدد ، إن أراد إهلاك أحد أهلكه بيده حتى يخرج على نفسه فيتلف نفسه إما خنقاً وإما غرقاً وإما تعاطياً لما فيه هلاكه بوجه من الوجوه . سمعت الشيخ الدقاق[2] يقول : لما أراد الله إهلاك قوم نوح نصح نوح ابنه وأمره أن يركب

المتين : شديد القوى لا تلحقه في أفعاله مشقة يقول كن فينتظم عقد ما يريد ولا يزول أبداً ولا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الخلق . قال سبحانه وتعالى : **﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾** وذاكره مع اسمه تعالى القوي يكون من أهل اليقين .

---

(١) مستظهر أي مستعين بجند أي أنصار وأعوان .

(٢) الدقاق يقول خف من لا يحتاج إلى عون عليك بل إذا شاء إتلافك أخرجك على نفسك حتى يكون هلاكك على يدك . وقال بعضهم :

إلى حتفي مشى قدمي ... أرى قدمي أراق دمي

معه في السفينة فآوى إلى الجبل واتخذ بيتاً من زجاج ودخل فيه لئلا يؤثر فيه الماء فأبلاه الله بكثرةالبول حتى امتلأ ذلك البيت من بوله وغرق فيه . فغرق الله سبحانه جميع العالم في الماء وغرق ابن نوح في بوله . سئل الجنيد عن الخوف فقال : توقع العقوبات مع مجاري الأنفاس وقال سري السقطي إني لأنظر إلى أنفي كل يوم كذا كذا مرة مخافة أن يكون قد أسود وجهي من عقوبته . وفي بعض الحكايات أن رجلاً سمع في الطواف يقول : اللهم إني أعوذ بك من سهم الغضب فسئل عن معناه فقال : أني مجاور منذ خمسين سنة فرأيت يوماً شخصاً فاستحسنته فوقعت على وجهي لطمة فسالت عيني على خدي فإذا أنا بصوت لطمة بلحظة ولو زدت لزدنا . وقد يمتحن الحق تعالى أولياءه ويختبرهم بما يقدر أن يتولاه بنفسه فيكله إليهم إمتحاناً لهم واختباراً ثم يفعل ما يريد وربما يحوج بعض أوليائه في الظاهر إلى خلقه وهو قادر على كفاية أسبابهم من غير أن يكلهم إلى أمثالهم . يحكى عن الكتاني أنه قال كان لأبي حفص الدينوري أخ وكان لا يبيت في المسجد أكثر من ليلة وكان حسن الطريقة فاعتل في قرية وقتاً فبقي فيها سبعة أيام عليلاً لم يكلم أحداً ولم يتعاهده أحد فمات فأخذوا في جهازه فاجتمع الخلائق من القرى وقالوا سمعنا صوتاً : من أراد أن يحضر جنازة ولي من أولياء الله فليحضر قرية بني فلان . فلما دفنوه أصبحوا وجدوا الكفن ملفوفاً في المحراب وفيه رقعة مكتوب فيها لا حاجة لنا في كفنكم . هذا وليٌّ من أوليائنا مات فلا أطعمتموه ولا سقيتموه ولا عللتموه ولا كلمتموه . قال فاتخذوا في تلك القرية للضيافة فلم يمر بهم غريب إلا اضافوه وأحسنوا إليه وتلك القرية بالشام ، وأن من علم أن مولاه قدير على ما يريد قطع رجاءه عن الأغيار وتفرد سره بمن لم يزل ولا يزال كما أخبر سبحانه عن إبراهيم أنه قال : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع » قال أهل الإشارة معناه سهلت طريقهم إليك وقطعت رجاءهم عمن سواك ثم قال : « ليقيموا الصلاة » أي شغلتهم بخدمتك فأنت أولى بهم مني ومنهم ثم قال : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » أي إذا احتاجوا إلى شيء فذلل عبادك لهم وأوصل رعايتك إليهم فإنك

على ما تشاء قدير وأن من لزم بابه أوصل إليه محابه وكفاه أسبابه وذلل له كل صعب وأورده كل منهل عذب من غير قطع شقة ولا تحمل مشقة يحكى عن الجنيد أنه قال : سمعت السري يقول : إن في قرى بغداد أولياء الله لا يعرفهم الخلق فكنت أمشي وأدور في القرى لعلي أحد منهم أحداً .

* * *

باب

في معنى اسمه « الولي »

الولي اسم من أسمائه قال الله تعالى : ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ فالولي في وصفه تعالى هو المتولي لأعمال عباده . وقيل هو فعيل من الوالي يقال ولي فلان الأمر ولاية فهو وال وولي على المبالغة والولي في اللغة يكون بمعنى الناصر وأولياء فلان أنصاره والولي القريب وقوله تعالى ﴿ **أولى لك فأولى** ﴾ قيل معناه قاربك ودنا منك ما خوفت به فانتبه له والولي في اللغة في غير هذا الموضع المطر الذي يأتي بعد الوسمي[1] فأولياء الله تعالى أنصار دينه وأشياع طاعته وقد مضى طرف من هذا وقال تعالى ﴿ **نحن أولياؤكم في الحياةالدنيا وفي الآخرة** ﴾ قيل معناه نحن أنصاركم وتكون الولاية بمعنى المحبة ﴿ **والله ولي المؤمنين** ﴾ أي يحبهم وأخبر الله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام أنه قال « أنت وليي في الدنيا والآخرة » وقال بعض أهل الإشارة لما علم الله تعالى تقاصر ألسنة المذنبين وعلم أن في هذه الأمة من ارتكب الذنوب وليس لهم جسارة الدعوى بدأهم بجميل فعله فقال عز من قائل ﴿ **نحن أولياؤكم** ﴾ فشتان بين عبد يقول أنت وليي وبين عبد يقول له الحق نحن أولياؤكم . لا نقدم الواحد منا على رتبة نبي ولكن الرفق بالضعفاء أكثر والفضل منهم أقرب ولو لم تكن في القرآن آية في هذا الباب غير قوله ﴿ **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن**

الولي : المتولي لعباده المؤمنين يختصهم بعنايته وسابغ كرمه قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ وقال على لسان رسوله « إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » وقال « أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين » وذاكره يؤيده الله بخصوصية الكرامة .

---

(١) والوسمى أول المطر في الربيع وسمى ولياً لانه يلي الوسمي .

الكافرين لا مولى لهم ﴾ لكفى بذلك شرفاً لهم وذخراً . واعلم أن العبودية بالعبد لسبب وولاية الله سبحانه له ابتداء فالسبب لم يكن وما من الحق لك لم يزل فلأن يكون إذلالك بمعنى لم يزل خير لك من أن يكون حمالك لمعنى لم يكن .

فصل : ومن علامات من يكون الحق سبحانه وليه أن يصونه ويكفيه في جميع أحواله وشئونه فيغار على قلبه أن يتعلق بمخلوق في دفع ضر أو جلب نفع بل يكون القائم على قلبه في كل نفس فيحقق آماله عند إشاراته ويعجل له مآربه عند خطراته . يحكى عن يوسف الرازي أنه قال دخلت على ذي النون المصري يوماً فقال : إيش يقول الناس فيَّ فقلت : يقولون إنه زنديق . فقال : الأمر سهل حيث لم يقولوا إنه يهودي فإن الناس تنفر قلوبهم عن اليهود أكثر مما تنفر عن غيرهم فخرجت فلم ألبث أن سمعت أنهم يقولون إنه يهودي فدخلت عليه وأخبرته فتبسم . ثم إنهم قصدوا السلطان[1] . ليسعوا به فركبوا الزورق فنظر إليهم ذو النون وحرك شفتيه فكادوا يغرقون ثم إنهم تابوا إليه وتضرعوا فقبل عذرهم وأن من لم ينتقم لنفسه انتقم الله له ومن لم ينتصر لنفسه انتصر الله له .

فصل : ومن إمارات ولايته لعبده يديم توفيقه حتى لو أراد سوء أو قصد محظوراً عصمه عن ارتكابه أو لو جنح إلى تقصير في طاعته أبى إلا توفيقاً له وتأييداً . وهذا من إمارات السعادة وعكس هذا من إمارات الشقاوة ومن أمارات ولايته أيضاً أن يرزقه مودة في قلوب أوليائه فإن الله سبحانه ينظر إلى قلوب أوليائه في كل وقت فاذا رأى لعبد في قلوبهم محلاً نظر إليه باللطف وإذا رأى همة وليٍّ من أوليائه في شأن عبد أو سمع دعاء وليٍّ في شأن شخص يأبى إلا الفضل والإحسان إليه بذلك أجرى السنة الكريمة . يحكى عن بعضهم أنه قال رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال أقامني بين يديه وقال لها مشغب أنت المشغب لولا أنك كنت تثنى عليَّ في بعض مجالسك فمر بك

---

(١) سعى به إلى السلطان : وشى ونم .

ولي من أوليائي فاستحسن ثناءك عليَّ فاستوهبك مني فوهبتك له لعذابتك[1] .
وسمعت الدقاق يقول لو أن ولياً من أولياء الله مر ببلدة للحق بركات مروره أهل تلك البلدة حتى تعمهم كلهم قال الله سبحانه ﴿ **وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله** ﴾ فأولياؤه يكونون في العز دنياهم وعقباهم وآخرتهم وعقباهم جعلنا الله منهم بمنه ورحمته

* * *

(١) المعنى أن هذا الولي شفع فيك لسبب ثنائك علي مع أن كثرة ذنوبك كانت تستدعي عقوبتك وهذا يفيد أن أقل الثناء على الله يشفع لصاحبه .

باب

في معنى اسمه « الحميد »

الحميد إسم من أسمائه تعالى وهو فعيل بمعنى مفعول محمود بحمده لنفسه وحمد خلقه لـه ويكون فعيلاً بمعنى فاعـل حامـد لنفسه وحـامد لعبـاده المؤمنين فالحمد يتصرف في اللغة على وجوه يكون فعلاً بمعنى المـدح والثناء ويكـون بمعنى الشكر ويكون الفرق بينهما أن الشكـر في مقابلة إحسـان والحمد يكـون في مقابلة إحسـان ويكون بمعنى المـدح بذكـر صفات العلو وإن لم يكن ذكـر إحسان يقـال حمدته على رفعته وشكرته على نعمته قال الشاعر :

بحمـد من ثنـائـك لا يـذم　　　أنـافر أن تجـود عـلى مثـالي

أي بمدح واستحقاق ثنـاء . ويكون الحمـد في اللغة بمعنى الـرضى يقال : بلوته فحمدته أي اختبرته فارتضيته . ويكون الحمـد بمعنى العاقبـة يقال حمـادى أمرك أي عاقبة أمرك فقول القـائل : الحمـد لله يكون بمعنى المـدح لله والشكر لله والعاقبة لله والرضى لله . وأول من حمد الله تعالى الله جل جلاله وكما حمد نفسـه بخطابه الأزلي حمد خلقه الذين أثنى عليهم بذكر خصالهم الحميدة . وحمد العبيد لله سبحانه إذا كان بمعنى مدحهم وثنائهم فيكون بتـوفيق من الله سبحانـه وتعالى ولا يقبل ذلك إلا أن يكون عن تحقيق . والتحقيق عرفان القلب ما يثنى بـه على الرب لأن الله تعالى أبى أن يقول العبد ما لا يعلم في وصفه وإن كـان صادقاً في قوله . قال الله سبحانه ﴿ **وأن تقولواعلى الله ما لا تعلمون** ﴾ . وأما حمده الذي

الحميـد : الذي استحق الحمـد بكرمـه وجزيـل نعمـه وحسن فعـالـه ولا يحصى نعمـه ومحامده إلا هو قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم لا أحصى ثناء عليـك أنت كما أثنيت عـلى نفسـك ، ومن ذكـره مـع اسمـه تعـالى اولي وداوم وأكـثر يستغنى بـالله عن الخلق ويصـل إلى درجات الأولياء .

هـو شكره فينبغي أن يكـون على شهـود المنعم لأن حقيقة الشْكـر الغيبة بشهـود المنعم عن شهود النعمة . وقيل إن داود عليه السلام قال في مناجاته : إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك عليَّ فأوحى الله إليه الآن قد شكرتني . وكم من عبد يتوهم أنه في نعمة يجب عليه شكرها وهو في الحقيقة في محنة يجب عليه الصبر عنها فإن حقيقة النعمة ما يوصلك إلى المنعم لا ما يشغلك عنه فإذا النعم ما كان دينياً فإن كان مع النعم الدينية إرب معجل فهو الكمال فـإن وجد التـوفيق للشكر وإلا انقلبت النعمة محنة ويقال إن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام إرحم جميع الخلق المبتلي منهم والمعافى فقال : هذا المبتلي فما بال المعافى قال لقلة شكرهم وبالله التوفيق الموسع الأشياء بعد الضيق .

* * *

باب

في معنى اسمه « المحصي »

ورد الخبر بهذا الإسم وقال تعالى ﴿ أحصى كل شيء عدداً ﴾ ومعناه العالم بجميع المعلومات وقوله تعالى ﴿ أحصى كل شيء عدداً ﴾ أي أحاط بكل شيء علماً وقوله صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين إسماً من أحصاها دخل الجنة» قيل من علمها ويحتمل أن يكون معنى المحصي في وصفه بمعنى عده الأشياء وهو إخباره عن الأعداد . والله تعالى يخبر عن تفصيل المعدودات والعدد لفظ اللافظ وخبر المخبر عن المعدود فيما بيننا وكذلك عده الأشياء إخباره عن تفصيل اعدادها ومن آداب من علم أنه يحصي أنفاسه أن يحفظ معه أنفاسه ويراعي له حواسه لأنه إذا علم أنه منه قريب وعليه رقيب فحقيق بأن يهاب أماكن إطلاعه .

فصل : ومن آداب من علم أنه المحصي أن يتكلف عد آلائه لديه وإن علم أنه لا يحصيها قال الله تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ ويرعى وقته بذكر إنعامه وشكر أقسامه فيستوجب المزيد من عوائد إحسانه حسبما وعد من فضله وإنعامه رئي بعضهم يعد تسبحاته فقيل له لم فلان أتعد عليه فقال لا ولكن أعد له ويجب أن يراعي أيامه ويعد آثامه فيشكر جميل ما يوليه ربه ويعتذر من قبيح ما تأتيه نفسه . يحكى عن أبي حفص أنه قال منذ ثلاثين سنة ما أمليت على مثلي ما استحي منه ومنذ ثلاثين سنة ما واليت أحداً للدنيا ويحكى عن أبي عثمان الحيري أنه قال منذ أربعين سنة ما أقامني الله في شيء فكرهته . وقيل

المحصي : الذي أحصى كل شيء عدداً أحصى الخلق وأحصى الحسنات وأحصى السيئات وأحاط بكل شيء علماً . وذاكره يخاف المعاصي ويسارع إلى فعل ما يرضي الله وتخضع له قلوب الخلق .

العاقل الفاضل من عدت سقطاته .

فصل : ومنهم من يعدد آثامه ومنهم من يعد أيامه فيقول ويفكر مذ كم يوم فقد قلبه أوفذكم يوم يؤمل منه شيئاً فلا يجد بعد أربه أو مذ كم يوم بلي بحجابه أو مني بعباده وأنشد بعضهم :

الإلف لا يصير عن إلفه أكثر مما تطرف العين
وقد صبرنا عنكم ساعة ما هكذا بي يفعل البين

فإن تذكر الأيام الماضية والتأسف على ما سلف من الأوقات الصافية صفة الأكثرين من هذه الطائفة إذ قل كثير منهم إلاَّ وله من هذه القصة حصة وهذا سيد هذه الطائفة أبو القاسم الجنيد يقول لا أزال أحن إلى بدء إرادتي وجدة سعيي وركوبي الأهوال طمعاً في الوصال وها أنا في أوقاتي أبكي على أيامي الماضية ثم أنشأ يقول :

منازل كنت تهواها وتألفها أيام كنت عن الأيام منصورا

قال الله تعالى ﴿ وذكرهم بأيام الله ﴾ واعجباً للقلوب التي منيت[1] بالبعاد بعد الوصلة وأضلتها سحائب الغيبة بعد أنس القربة كيف لا تتقطع أسفاً ولا تتبدد حسرة ولهفاً . إن هذا لعظيم من المحنة وشديد من الوقعة .

فصل : وقد يحصي الحق سبحانه على العبد أوقات غيبته حتى إنه لو قصر في الحضور أو جنح إلى الفترة عاتبه بدقائق الإشارة بما لو لم يسرع في الأونة لأدار على رأسه رحى المحنة وأقام عليه قيامة المعاتبة فإن الأحباب يسامحون في كل شيء إلا الغيبة .

يحكى أن شيخاً نظيفاً حسن الشارة[2] رئي معه حدث يضرب حر[3]

---

(١) ابتليت .

(٢) الشارة . اللباس والهيئة أزهر مختار

٣) حر الوجه بضم الحاء ما بدا من الوجنة .

وجهه بنعله فقيل ألا تستحي من ضربك هذا الشيخ فقال الحدث : هذا الشيخ يدعي أنه يهواني ومنذ ثلاث ما رآني .

فصل : ومن علم أنه سبحانه رقيب عليه لم يخاطب أحداً إلا وقلبه مع الله تعالى فأوقاته كلها جد وأحواله كلها صدق انتفى المزح والهزل عن أحواله أجمع . سمعت الدقاق يقول : يحكى عن ممشاد الدينوري أنه قال جرت لي مع فقير حكاية فما مازحت بعدها فقيراً لأني علمت أن أوقات الفقراء كلها جد وذلك أنه ورد عليَّ فقير يوماً فقال لي يا أستاذ العصيدة فقلت إرادة وعصيدة فمر الفقير وهو يقول إرادة عصيدة إرادة وعصيدة قال : فظننت أنه يمزح فتغافلت عنه ثم تذكرت أمره فقلت لبعض أصحابنا أصلحوا له عصيدة قال فطلب بالرجل فلم يوجد فسألت عن حاله فقالوا إنه هام على وجهه فلم يزل يقول إرادة وعصيدة حتى مات .

ويحكى أنه كان بين أحمد بن أبي الحواري وبين أبي سليمان الداراني عقد أن لا يخالفه في شيء يأمره به فسجر أحمد التنور يوماً وقال لأبي سليمان سجرت التنور فلم يجبه فقالها مرتين أو ثلاثاً وكان أبو سليمان ضاق صدره من شيء فقال إيش أفعل قال له مر واقعد فيه واشتغل بشيء ثم تذكر أمره بعد ساعة فقال أدركوا أحمد لأنه في التنور لأن بيني وبينه عقداً أن لا يخالفني قال فنظروا فإذا أحمد في التنور لم تتغير منه شعرة .

* * *

باب

في معنى اسمه « المبدىء المعيد »

هما إسمان ورد بهما نص القرآن والمبدىء المظهر وهو بمعنى الخالق المنشىء يقال بدأ الله الخلق وأبداهم بمعنى واحد قال الله تعالى ﴿ **وهو الذي يبدىء الخلق ثم يعيده** ﴾ فهذا من بداء وقال تعالى ﴿ **إنه هو يبدىء ويعيد** ﴾ وهذا من إبداء ويقال ابتداء الله الخلق بمعني بداء وهو إظهار الشيء من العدم إلى الوجود فأما الإعادة فهو خلق الشيء بعد ما عدم والله تعالى قادر على إعادة الحوادث إذا عدمت جواهرها وأعراضها خلافاً لمن قال، إن الإعادة للشيء بمعنى خلق مثله لا إعادة عينه وذلك أنه إذا كان مقدوراً قيل أن خلقه فإذا عدم بعد وجوده إعادة إلى ما كان عليه فكما قدر على أن يخلقه إبتداء وجب أن يكون قادراًعلى أن يخلقه ثانياً والاعادة إبتداء ثان وكما لا فرق بين الخلق والمخلوق فكذلك لا فرق بين الاعادة والمعاد وقد يسمى رد الشيء إلى مثل تركيبه الأول وتأليفه الأول إعادة ومنه قولهم أعاد فلان بناء داره وكذلك يقال أعاد فلان حديثه إذا تكلم بمثل كلامه الأول ويجوز أن تكون الاعادة أيضاً جمع الأجزاء المتفرقة من الهالكين فاذا بعث الخلق وحشرهم فقد أعادهم والله تعالى يبدأ الخلق أي يخلقهم في الدنيا ثم يعيدهم أي يحشرهم في القيامة ومما يتعلق بباب الوعظ والتذكير في معنى هذا الإسم إعادة الله سبحانه للعبد عوائده وألطافه وإحسانه وقد أجرى الله سبحانه سنته بأن ينعم على عباده عوداً على بدء وإن الكريم من بدأ بصنائعه بعود على بدء وفي معناه أنشدوا :

بدأت باحسان وثنيت بالرضى وثلثت بالنعماء وربعت بالفضل

وفي بعض الحكايات أن بعضهم دخل على بعض الكرام فقال له عهدك بنا قريب فلم أسرعت العودة فقال لقول الشاعر فيك :

فـأعـطى ثم أعـطى ثم عـدنـا فـأعـطى ثم عـدت لـه فعـادا
مـراراً مـا أعـود إلـيـه إلا تبسم ضـاحكـاً وثنى الـوسـادا

قال فأضعف له العطية وأكرمه وإذا كان مثل هذا يـوجد في صفـةالمخلوق ففي كـرم الحق سبحانـه وتعالى أولى أن يؤمـل أضعاف هـذا كيف والمخلوق إنما يحبـك إذا أعفيتـه عن السؤال والله تعـالى إذا ازددت منـه سؤالاً إزداد لـك حبـاً ونوالاً وأنشد بعضهم :

الله يغضب إن تـركت سؤالـه وبني آدم حـين يسـأل يغضب

ومن جميـد سنته وجميـل فضله وعادتـه أنه إذا تغـير لعبد وقت أو تلون لـه حال أو خانه زمان أنس استبدل غيبته بوصال يجدد أيامه الدارسة ويعيد عليـه أوقاته الذاهبة كما قيل :

لئن درست أثـار مـا كـان بيننـا من الوصل ما شوقي إليك بـدارس
ومـا أنـا من أن يجمـع الله بيننـا كـأحسن مـا كنـا عليـه بـآيس

وأنشدوا :

أؤمـل عطف الـدهـر بعـد انصـرافـه فيـا أمـلي في الـدهـر هـل أنت كـائن

فصل : وذهب جماعـة من المشايـخ إلى أن الأوقات ليس لهـا بدل وأن من فاته وقت فلا يكون له إليه وصول . وأنشدوا :

فخـل سبيل العـين ويحـك للبكى فـليس لأيـام الشبـاب رجـوع

سمعت الدقاق يقول تمادى بكاء داود عليه السلام فأوحى الله إليه إلى كم تبكي إن كان هذا البكاء من خوف النار فقد أمنتـك وإن كان لـطلب الجنة فقـد بشرتك وإن كانت لذنب الخصم فقد أرضيته فزاد داود في البكاء وقـال إنما أبكي لما فاتني من صفاء ذلك الوقت فرد على ذلك الـوقت فأوحى الله إليـه هيهات يـا داود لا سبيل إلى ذلك فإن شئت فابك وإن شئت فاسكت فقال داود الآن طاب البكاء .

فصل : واعلم أنهم وإن لم يصلوا إلى تلك الأوقات فأوقات تأسفهم وتلهفهم أتم من تلك الأوقات لأن ذلك حق الحق منهم . يحكى عن بعض المشايخ أنه رأى شاباً بعد الموسم دخل مكة منقطعاً منكشراً محزوناً كما يكون المنقطعون فقال له ذلك الشيخ أنا حججت كذا وكذا فهبني تلك الحسرة التي أنت فيها وأهب لك تلك الحجات كلها . وفي قريب من هذا المعنى قال موسى إلهي أين أجدك فقال تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ، وبالله التوفيق .

* * *

باب

في معنى اسمه « المحيي المميت »

هما إسمان من أسمائه قال الله تعالى ﴿ **هو الذي يحيي ويميت** ﴾ والإحياء في وصفه تعالى خلق الحياة في العبيد والحيوان والإماتة خلق الموت فيه وليس من شرط الحياة وجود البنية والبلة كما توهمه بعض المعتزلة بل كان جوهر يخلقه الله تعالى فلا بد أن تكون فيه حياة أو ضد للحياة من مواتية أو جمادية وإنما يختلف هذا بالأسماء وإلا فالذي يضاد الحياة جنس واحد والله تعالى خلق النطف أمواتاً ثم خلق فيها الحياة ثم يخلق فيها الموت عند قبض الأرواح ثم يخلق فيهم الحياة في القبور للسؤال ثم يميتهم ثم يحييهم في القيامة ثم لا موت بعده إما خلود في الجنة أو خلود في النار وخالفت القدرية أهل السنة في هذه الجملة في مواضع منها قولهم إن الحياة تقتضي بنية وبلة ومنها إنكارهم سؤال القبر وعذاب القبر وليس هذا موضع بسط الكلام في هذه المسألة ولهذا أعرضنا عنه وليس معنى الإحياء والإماتة أيضاً في وصفه ما ظنه نمرود حيث حاج إبراهيم في قوله ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت فعمد إلى رجل محبوس في سجنه فأطلقه فقال هذا كان ميتاً فأحييته وقتل رجلاً بريء الساحة وقال هذا كان حياً فأمته لأنه لم يخلق لأحد لا موتاً ولا حياة والمحيي والمميت على الحقيقة من يخلق الموت والحياة وذلك صفة القديم سبحانه ثم إن هذه الطائفة أطلقوا لفظ الأحياء والإماتة لا على هذا الوصف ولكن على معنى السرور والفرح والمحن والترح بنوع توسع على ما سيجيء ذكر بعضه إن شاء الله تعالى من ذلك إنهم قالوا : أجري في عادة النسا إن فلاناً أحيى فلاناً إذ جبر حاله وأصلح أموره ويقولون قد مات حال فلان إذا ساء أمره ويقولون من أقبل عليه الحق أحياه ومن أعرض عنه أماته وأفناه ومن قربه أحياه ومن غيبه أفناه وأنشد بعضهم :

أموت إذا ذكرتك ثم أحيى فكم أحيى عليك وكم أموت

قال الله سبحانه : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ قيل في بعض التفسير أحياء بذكره سبحانه لهم بالجميل ومن المشهور في ألفاظ الناس لم يمت من كان له مثل فلان خلف . قال الشاعر :

فإن يك عتاب مضى سبيله فما مات من يبقى له مثل خالد

قالوا من كان فناؤه في الله فهو حي وإن هلك ومن كانت حياته لحظوظه فهو ميت وإن عاش وأنشدوا :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وقيل قد مات قوم وهم في الناس أحياء .

فصل : وعند القوم أن الإسلام ذبح النفوس بسيوف المجاهدة والإيمان حياة القلوب بنور الموافقة فيكون الموت فناء النفوس والحياة استيلاء القلوب ولهذا قالوا لا يصح السماع إلا لمن كانت نفسه ميتاً وقلبه حياً فالله تعالى يحيي نفوس العابدين ويحيي قلوب العارفين ويحيي قلوب أهل الوصال ويميت أحوال أهل الفراق قال الله تعالى ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه** ﴾ جاء في التفسير كافراً فهديناه .

فصل : ومن إمارات من مات نفسه زوال آفاته عنه وسقوط شهواته منه وقيامه بحقوق ربه وما فيه رضاه وتباعده عما فيه حظوظ نفسه ومناه فيعيش مع الحق بالمروة . ومع الخلق بالفتوة فبمروته لا يخالفه في أوامره وبفتوته لا ينازع الخلق في مآربه ومطالبه فيكون مع الله تعالى بنعت الصدق ويصحب الخلق بحسن الخلق وحكاياتهم في الفتوة لا تحصى فمن ذلك ما يحكى عن المرتعش أنه قال دخلت مع أبي حفص النيساوري على مريض نعوده فقال أبو حفص للمريض تحب أن تبرأ فقال نعم فقال للفقراء احملوا عنه قالوا نعم قال فخرجنا وخرج المريض معنا وأصبحنا كلنا أصحاب فراش نعاد وحكي أن النوري

مرض فدخل عليه الجنيد يعوده وحمل إليه شيئاً من الفواكه والمنثور فبرىء النوري ومرض الجنيد فدخل عليه النوري يعوده فقال للفقراء الذين معه تحمّلوا عنه فخرجوا وحموا وبرىء الجنيد من علته فقال له النوري هكذا أعود المرضى .

* * *

باب

في معنى اسمه « الحي القيوم »

هما إسمان من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾ فأما الحي فهو الذي له حياة والله تعالى حي والدليل على ثبوت الوصف له تعالى أنه عالم قدير مريد والحياة شرط في العلم والقدرة وقول من قال يقال له محيي ولا يقال له حي لأن غيره يكون حياً فاسد لأن الاشتراك في الاسم لا يقتضي المشابهة في الذات .

وحياته صفة من صفات ذاته زائدة على بقائه والحي في اللغة في غير وصفة يقع على معان منها القبيلة يقال حي من العرب وجمعه إحياء والحي دعاء الإبل إلى الشرب ودعاؤها إلى العلف ويقال حي على الصلاة أي هلم والحي فرج المرأة ويقال للنبات إذا اخضر الحي . والحي بالكسر جمع الحياة وأما القيوم فهو المبالغة من القائم بالأمور يقال فلان قائم بهذا الأمر وقيم وقيام وقيوم في وصفه تعالى قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحي القيام ونظير قيوم وقيام قولهم ما في الدار دبور ولا ديار ومعنى القيوم في وصفه تعالى أنه المدبر والمتولي لجميع الأمور التي تجري في العالم قال الله تعالى ﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** ﴾ وإذاعلم العبد أنه سبحانه حي وعلم أنه تعالى حي لا يموت وقديم لا يجوز عليه العدم صح توكله عليه ولهذا قال تعالى ﴿ **وتوكل على الحي الذي لا يموت** ﴾ أي أن من اعتمد على مخلوق واتكل عليه ليوم حاجته اختل حاله وقت حاجته إليه فيضيع رجاؤه وأمله لديه وقيل إن رجلاً كتب إلى آخر أن صديقي فلاناً قد مات فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب بصري فكتب إليه الذنب لك حيث أحببت الحي الذي يموت هلا أحببت الحي الذي لا يموت حتى لم تحتج إلى البكاء عليه ؟ فمن علم أنه سبحانه حي أبداًعلم أن نفسه لا بد من فنائها

وهلاكها وإن طالت مدة بقائها وملكها حكي أن المأمون لما قربت وفاته فرش الرماد وكان يتمرغ عليه ويقول يا من لا يزول ملكه لرحم من قد زال ملكه . بل من علم أنه الباقي لا يزال علم أن فيه خلفاً من كل تلف بل من علم أنه لا يصل إلى مولاه إلا بعد موته اشتاق إلى وفاته . قيل لبعضهم إن الدنيا لا تساوي مع الموت شيئاً فقال بل الدنيا لو لم يكن الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب وأنشدوا :

أنت تبقى والفناء لنا فإذا أفنيتنا فكن

حكي عن علي بن أبي الفتح أنه رأى الناس يتقربون بقرابينهم في يوم عيد فقال إلهي الناس يتقربون إليك بقرابينهم وأنا أتقرب إليك بأحزاني وغشي عليه فلما أفاق قال : إلهي كم ترددني في هذه الدنيا قال فمات من ساعته وقيل من إمارات الاشتياق إلى الله تعالى تمني الموت على بساط العافية . وأما من عرف أنه القيوم بالأمور استراح عن كد التدبير وتعب الأشغال وعاش براحة التفويض فلم يضن بكريمه ولم يجعل في قلبه للدنيا كبير قيمة . يحكى عن الطرماح أنه قال كنت عند الحسين بن علي ابن أبي طالب رضوان الله عليهما إذ جاءه سائل فسأله شيئاً فأعطاه نعليه فقلت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أولى بعباده فقال اسكت يا طرماح فأنا استحي من الله أن أسأله فيعطيني ثم لا أعطي من يسألني حكي عن بعضهم أنه قال من اهتم للخبز فليس له عند الله قدر وإنما قال ذلك لأنه إذا علم أنه القائم بتدبير الأمور لا ينبغي له أن يهتم للخبز ولا لغيره ولهذا قيل : من صح توكله في نفسه صح توكله في غيره وقال الأكابر إن جميع كرائم الدنيا والعقبى عند الله أقل من تبنة عند سلطان . ومن سأل من سلطان الوقت أن يهب منه تبنة واحدة فقد صغرت همته. وفي هذا المعنى ما يحكى عن عمر البسطامي تلميذ أبي يزيد أنه قال كنت عند أبي يزيد فقال لي إن ولياً من أولياء الله يأتي فمر معنا حتى نستقبله فخرج فلما وافى بسطام إذا بابراهيم بن أنيسة الهروي فسلم عليه أبو يزيد فقال له علمت أنك تحبني فاستوهبتك فوهبك لي فقال له إبراهيم

ولو شفعك في جميع الخلق ما كان بكبير فأية شفاعة في قطعة طين قال فتعجب أبو يزيد من قوله .

* * *

باب

في معنى اسمه « الواجد »

ومن أسمائه تعالى الواجد وهو بمعنى الغني في وصفه يقال فلان يعطي عن جدة أي عن سعة وغنى وقيل إنه بمعنى العالم قال الله تعالى ﴿ **ووجد الله عنده** ﴾ أي علمه يقال وجد فلان وجوداً ووجداناً إذا أصاب ووجد وجداً إذا حزن ووجد فلان على فلان موجدة إذا غضب ووجد فلان وجداً وجدة إذا استغنى والإسم الواجد من الجميع فإذا عرف أن الله غني فمن إمارته أن يستغني به وإذا علم أن الله تعالى عالم فمن إمارته أن يلتجي إليه وقد استعمل على طريقة هذه الطائفة لفظ الوجد والوجود والتواجد ومعناهم يعود إلى الإصابة والحزن على ما يجيء في بعض شرحه . وذلك أنهم قالوا الوجد المصادفة ومعنى ذلك ما يجدونه ويصيبونه في قلوبهم من الأحوال من غير تكلف ولا تطلب . ونحن نذكر طرفاً من أقاويلهم وحكاياتهم : قال النوري : الوجد لهيب ينشأ في الأسرار ينتج عن الشوق فتضطرب الجوارح طرباً أو حزناً عند ذلك الوارد وقيل تواجد النوري شهراً فقام على رجله في مسجد الشيرازية فكان إذا حضرت الصلاة صلى ثم عاد إلى القيام فقال بعض القوم : إنه صاح فبلغ ذلك الجنيد فقال : لا ولكن أرباب التواجد محفوظون بين يديّ الله تعالى لا يجري عليهم لسان ذم . وسئل أبو علي الروذباري عن الوجد في السماع فقال : مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب . وقال المرتعش من تواجد ولم ير في تواجده زيادة في دينه فينبغي أن يستحي ويتوب .

الواجد : الذي لا يعجز عن إبراز أي شيء في عالم الظهور والعيان وعلم كل شيء قال سبحانه وتعالى ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ وذاكره ينال الغنى ويقوى قلبه على تلقي الفيوضات الرحمانية .

وكان الشبلي يقول : اللهم لا تبلني بفقد ولا بوجد وأحيني حياة حتى لا توصف ولا تحد وكان يقول : الوجد فقد والفقد في الوجد وجد وقد قيل : الوجد وجود نسيم الحبيب لقوله تعالى ﴿ إني لأجد ريح يوسف ﴾ وقال الجنيد : الوجد انقطاع الأوصاف عندالشهود وقال أبو عطا متى ما ذكرت فالوجد منك بعيد . وقال النوري :

إني كذبتك ليس لي وجد يوافق ما لقيت
لو كان لي وجد على مقدار ما ألقى فنيت

وقال آخر :

نطقت ضمائره بكامن سره عن وجده بالوهم من خطراته
وشكى الضمير إلى الهوى ألم الهوى وشكى الذي يلقاه من زفراته

وقيل الوجد نيران الأنس يثيرها رياح القدس . وقيل الوجد : ما لا أركان للعلم عليه . وقال أبو سعيد الخراز كل وجد يظهر على الجوارح الظاهرة وفي النفس أدنى حمولة[1] له فهو مذموم وقال النصر أباذي مواجيد القلوب تظهر بركاتها على الأبدان . ومواجيد الأرواح تظهر بركاتها على الأسرار . وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وإنما يضر فضل الوجد مع نقصان العلم وأنشدوا :

وسكر النوجد في معناه صحو وصحو الوجد في سكر الوصال

وقيل : لما أخرج ابن منصور للصلب قال : حسب الواجد إفراد الواحد فما سمع ذلك من المشايخ أحد إلا استحسنه . وسئل أبو يعقوب النهرجوري عن علامة صحةالوجد فقال : معرفة قلوب الأشكال وعلامة فساده إنكار قلوب الأشكال وقال الجنيد : ذكر الوجد عند السرى فقال : يبلغ بحيث يضرب وجهه بالسيف ولا يحسه .

---

(١) حمولة أي ثقل .

قال الجنيد : فكان في نفسي من ذلك شيء حتى صح عندي وكـان سهل يتوالى عليه الوجد فلا يأكـل في خمسة وعشـرين يوماً ويكون عليـه قميص واحد وهو يعرق في الشتاء وإذا سألوه مسألة قال : لا تسألوني في هذاالوقت فـإنكم لا تنتفعـون بكـلامي وقيـل لا يقـع عـلى الـوجـد عبـارة لأنـــه سر بـين الله وبـين عبده وقيل : تقع العبارة على الوجود . هذا طرف من صفات من تحقق بالوجـد لا جعل الله نصيبنا منه الذكر دون الوجود .

* * *

باب

في معنى اسمه « الواحد الأحد »

هما إسمان من أسمائه قال الله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد ﴾ وقال تعالى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فأما الواحد فهو الذي لا قسم له ولا إستثناء منه هذا حقيقته عند أهل التحقيق فإذا قيل للجملة الحاملة إنها واحد فعلى المجاز كما يقال دار واحدة ودرهم واحد لأنه يصح أن يستثنى منه البعض واسم الواحد له مجاز وكان الشيخ أبو بكر بن فورك يقول الواحد في وصفه سبحانه له ثلاث معان . ولفظ الواحد في كلها حقيقة . أحدها أنه لا قسم لذاته وأنه غير متبعض ولا متجزي . والثاني أنه لا شبيه ، والعرب تقول فلان واحد في عصره أي لا شبيه له قال الشاعر :

يا واحد العرب الذي ما في الأنام له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان في الدنيا فقير

والثالث : أنه واحد على معنى أنه لا شريك له في أفعاله يقال فلان متوحد بهذا الأمر أي ليس يشركه فيه أحد ولا يعاونه عليه أحد . والأولون قالوا هذه المعاني الثلاثة مستحقة لله تعالى ولفظ التوحيد فيه حقيقة في نفي القسمة وفي

الواحد : الذي لا ثاني له ولا ندله ولا يماثله في ذاته وصفاته أحد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

الأحد : الذي لا أول له ولا آخر له فلا تعتريه صفات الحوادث من التغيير والتحلل والانقسام والحلول والمشاركة والايجاد والاحتياج إلى الغير فهو واجب الوجود لذاته ولولاه لم تخلق الأكوان سبحانه وتعالى تنزه في ذاته وصفاته والأحد نفي الحدوث وصفاته والواحد نفي للمكافىء والصدفي تخصيص الصفة وأما كلا الاسمين فيجمع صفات التوحيد كلها ولا يفترقان فمن ذكر أحدهما أحاط بمعنى الإسم الآخر وذاكرهما يغترف من نور الأحدية ويكون من أهل الفناء في شهود الحق حتى لا يأنس بأي مخلوق سواه .

الباقي مجاز . وأما الأحد فأصله في اللغة وحد يقال وحد يوحد فهو وحد كما يقال حسن يحسن فهو حسن ويقال رجل وحد ووحيد ووحد بسكون الحاء كما يقال . فرد فهو فرد وفريد ويقال هو وحيد فريد أحيد بمعنى والأصل في أحد وحد ثم أبدلت الواو همزة فقالوا أحد والواو المضمومة تنقلب همزة كقولهم أفيت ووفيت والواو المكسورة تنقلب همزة كقولهم أشاح ووشاح وإكاف ووكاب . والواو المفتوحة تنقلب أيضاً همزة كقولهم إمرأة أسما يعنون وسماً من الوسامة وهو الحسن .

فصل : وأما الفصل بين الواحد والأحد فمن الناس من لم يفرق بينهما ومنهم من فرق فقال الواحد اسم لمفتتح العدد لأنه يقال واحد وإثنان والأحد إسم ينفي ما يذكر معه من العدد ويقال الأحد يذكر مع الجحود ويقال لم يأت أحد معناه أنه لم يأته الواحد ولا الإثنان ولا ما فوقه وتقول قد جاءني واحد ولا يقال قد جاءني أحد وقيل الأحد إنما يذكر في وصفه تعالى على جهة التخصيص يقال هو الله الأحد ولا يقال رجل أحد ويقال في وصف غيره وحيد وواحد ولا يقال ذلك في وصفه تعالى لعدم التوقيف وأما قوله تعالى ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ فقال الفراء هو عماد . ومعناه الله أحد وهذا ضعيف لأن العماد لا يكون إلا بعد إن وأخواتها وأما التوحيد فهو الحكم بأن الواحد واحد ولا يكون ذلك الحكم إلا بالقول وبالعلم وقد يكون بالإشارة إذا عقد على أصبع واحد . والتوحيد ثلاثة توحيد الحق سبحانه لنفسه . وهو علمه بأنه واحد وإخباره عنه بأنه واحد وتوحيد العبد للحق بهذا المعنى وتوحيد الحق للعبد هو إعطاؤه له التوحيد وتوفيقه لذلك . وقال الشبلي : التوحيد للحق وللخلق تطفيل وقال الجنيد : التوحيد إفراد القدم عن الحدث وقال ذو النون المصري التوحيد أن تعرف أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه للأشياء بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه . وقيل التوحيد إسقاط الياءات أي لا تقول لي ولا مني ولا إليَّ وقيل : التوحيد فناء الرسم لظهور الإسم . وقبل إنمحاء الرسوم لظهور الحقائق . وقيل دثور الخلق لظهور الحق . وقيل التوحيد أن تعلم أن كل

ما يخطر ببالك مما ترتقي إليه كيفية أو تنتهي إليه كمية أو تنتمي إليه مائية[1] أو تليق بوصفه أينية فالله جل جلاله بخلافه . وقال بعضهم تدري لم لا يصح لك توحيدك لأنك توحده بك وتطلبه لك يعني الواجب أن تعرف أن طلبك له به ووجودك إياه منه فهو المبتدىء بالفضل بل هو المجري والمبدىء للصنيع تبارك الله رب العالمين .

* * *

(١) أي ماهيته .

باب

في معنى اسمه « الصمد »

الصمد إسم من أسمائه تعالى ومعناه الباقي الذي لا يزول وقيل الدائم وقيل هو الذي لا يطعم وقيل هو الذي لا خوف له وأما أهل اللغة فإنهم قالوا : الصمد الذي يصمد إليه في الحوائج يقال صمدت صمده أي قصدت قصده وهذا هو الصحيح . وقيل هو السيد الذي ينتهي إليه السؤدد وهو يؤول إلى ما ذكرناه أنه الذي يصمد إليه في الحوائج لأن القصود والرغائب تتوجه إلى ذوي السؤدد[١] والأكابر قال الشاعر :

لقد بكر الناعي[٢] بخبر بني أسعد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

فإذا قيل إنه بمعنى الباقي الدائم الذي لا يزول فمن حق من عرفه بهذا الوصف أن يعرف نفسه بالفناء والزوال ووشك الإرتحال ويلاحظ الكون بعين الفناء فيزهد[٣] في حطامها ولا يرغب في حلالها فضلاً عن حرامها ولهذا قال أهل الحكمة : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لوجب على العاقل أن يزهد في الذهب الفاني ويرغب في الخزف الباقي فكيف والدنيا مذرة ومآلها إلى الفناء . قال الشبلي :

الدنيا مذرة ولك منها غبرة

الصمد : السيد الباقي الدائم الذي لا يعتريه ملل ولا كلل ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يحتاج إلى الماء أو الهواء أو الطعام أو الشراب أو ما تحتاج إليه الخلائق وهو وصف مبين لخصوصيات الأحد الذي أوجد الوجود وجميع العوالم مفتقرة إليه محتاجة إلى فيضه ورحمته فلا يصمد في الحوائج إلا إليه فأسألك اللهم فيض الأحدية الكامل الشامل فأستغني عن مشاهدة الأحوال بمشاهدة نور من لا يحول ولا يزول حتى لا أرى ولا أجد ولا أحس إلا به .

---

(١) السودد بالضم السيادة .

(٢) هو الذي يأتي بخبر الموت .

(١) الزهد ضد الرغبة تقول زهد وزهد عنه من باب سلم أ. هـ مختار .

وحكي عن رجل أنه اشترى داراً، فحفر موضعاً فوجد جرة فيها دنانير فمضى إلى البائع وقال إني اشتريت الدار ولم أشتر الدنانير فخذ مالك فقال البائع أنا بعت الدار بما فيها لا آخذها فتحاكما إلى القاضي فقال الحاكم ألكما أولاد فقال أحدهما لي

ابن وقال الآخر لي بنت فقال : زوجا أحدهما من الآخر وأنفقا الدنانير عليهما . فهذا من صفات من لم يجعل للدنيا عنده خطراً . وحكي أن رجلين تنازعاً في أرض فأنطق الله تعالى لبنة من جدار تلك الأرض حتى قال : إني كنت ملكاً من الملوك ملكت الدنيا ألف سنة ثم مت وصرت رميماً ألف سنة فأخذني خزاف واتخذ مني خزفاً ثم أخذني رجل وضرب مني لبناً وأنا في هذا الجدار منذ كذا سنة فلم تتنازعا في هذه الأرض . وأما من علم أنه الصمد بمعنى أنه لا يطعم علم أنه يطعم قال الله تعالى ﴿ **وهو يطعم ولا يطعم** ﴾ فتتوجه رعايته عند مآربه إليه ويصدق توكله في جميع حالاته عليه فلا يتهمه في رزقه كما أنه لا يستعين بأحد من خلقه عليه فإن الذي يحتاج إلى ملبوس ومأكول لا تصدق الرغبة إليه في مأمول ولا يرجى منه النجح لمسؤول وإذاعرف أنه الذي يصمد إليه في الحوائج شكى إليه فاقته ورفع إليه حاجته وتملق بجميع تضرعه وتقرب بصنوف توسله .

يحكى عن بعضهم أنه زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال إلهي إن غفرت لي سررت وليك هذا وإن رددتني أشمت عدوك الشيطان وأنا لا أتوقع منك أن تؤثر شماتة عدوك على سرور وليك فإن الكريم من يرفع قدر من يقصده ويحقق ظن من يعتمده وإذا كان قصد المسلم لزيارته وقضاء حقه حسناً محموداً فقصد الحق أولى أن يكون محموداً .

روي في بعض الأخبار أن رجلاً خرج يوم عاشوراء إلى زيارة أخ له فأتاه ملك وقال له من أين يا عبيد الله فقال من بيتي فقال وإلى أين فقال إلى زيارة أخ لي فقال أرحماً تصل فقال لا فقال أديناً تقضي قال لا قال فإني ملك خلقني الله يوم استوى على عرشه فلم أزل راكعاً وساجداً منذ خلقني أرسلني الله إليك أبشرك بأنه غفر لك ولأخيك بحق زيارتك له .

باب

في معنى اسمه « القادر المقتدر »

القادر إسم من أسمائه تعالى والقدرة صفة من صفاته تعالى والمقتدر من أسمائه سبحانه قال الله تعالى ﴿ **في مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ وحقيقة القادر من له قدرة وحقيقة القدرة ما يقدر بها المراد على حسب قصد الفاعل في الوقوع ثم جهة الوقوع تختلف إلى خلق وكسب فقدرة الحق سبحانه تصلح للخلق وقدرة الخلق تصلح للكسب والخلق لا يوصف أحد منهم بالقدرة على الإيجاد والحق سبحانه لا يوصف بالقدرة على الكسب ولله قدرة واحدة يقدر بها على جميع المقدورات لا يخرج مقدور عن قدرته ولا نهاية لمقدوراته والمعدوم يكون مقدوراً والمخلوق في حال الحدوث يكون مقدوراً والإقتدار إفتعال من القدرة والدليل على وجوب كونه قادر إستحالة الوصف له بأن يكون عاجزاً ووجود أفعاله أيضاً تدل على قدرته ومن عرف أنه قادر على الكمال خشي طوات عقوبته عند ارتكاب مخالفته وأمل لطايف رحمته وزوائد رحمته سؤاله وحاجته لا بوسيلة طاعته بل بابتداء كرمه ومنته وكذلك من عرف أن مولاه قدير سكن عن الإنتقام ثقة بأن صنع الحق له وانتصاره له أتم من إنتقامه لنفسه يحكى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام وقال تدري لم فرقت بينك وبين يوسف كذا وكذا

القادر : الذي لا يعجزه شيء إيجاداً أو إعداماً أو تغييراً أو إعادة ولا يتقيد بالأسباب لأنه خالقها فيخلق نتيجة بلا سبب ولا مقدمة وهي صفة ثابتة لذات واجب الوجود قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ وذاكره يكون قديراً كفئاً في عمله معتمداً على الله في مغالبة أعدائه بسلطان الحق .

المقتدر : القادر الذي لا يستعين بأحد وليس لقدرته بداية ولا نهاية دائم الإقتدار تبدو آيات قدرته على الدوام في عوالم المخلوقات قال سبحانه وتعالى ﴿ **وكان الله على كل شيء مقتدراً** ﴾ وذاكر هذا الإسم يكون حسن التقدير والتدبير مستكفياً بالله مستعيناً بحوله وقوته .

سنة لأنك اشتريت جارية لها ولد ففرقت بينهما في البيع فلما لم يصل ولدها إليها لم أوصل إليك يوسف بين بهذا أن تلك المملوكة وإن لم يكن لها يد نظر لها الحق سبحانه وإن كان الحكم على نبي من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ولهذا قيل إحذروا من لا ناصر له إلا الله تعالى إن بطش ربك لشديد .

فصل : ومن عرف أنه كريم علم أنه يقدر ولكنه يعفو ويحلم ويبصر ولكنه يصبر روي أن حملة العرش ثمانية : أربعة تسبيحهم سبحان الله عدد حلمه بعد علمه ، وأربعة تسبحيهم سبحان الله عدد عفوه بعد قدرته .

فصل : وأنه بجميل صنعه وكريم نظره يؤوى عبده إلى كهف رحمته فيعصمه عما يشتهي برحمته ويعينه علي ما يحتاج إليه بقدرته فمرة ينبهه لما فيه نجاته ومرة يوفقه لما فيه درجاته ومرة يؤهله لما يتحقق به قربه ومناجاته يحكى عن أحمد بن أبي الحواري أنه قال سمعت الداراني يقول نمت ليلة فجاءتني واحدة من الحور العين فركضتني برجلها وقالت لي أتنام وأنا لك فقلت لا نامت عيني بعد هذا فضحكت وخرجت وبها نور أضاء محرابي ومصلاي من ضياء وجهها فقلت من أين لك هذا الحسن فقالت أتذكر الليلة الفلانية وكانت ليلة باردة قمت وتوضأت وصليت ثم دعوت وبكيت فأخذت من دموعك دمعة وجملت إليَّ فمسح بها وجهي فضياء وجهي من تلك الدمعة وأنه سبحانه إذا أراد بعبد خيراً دله على طريق نجاته فرجع إلى الله مبتهلاً في سؤال حاجاته فيوصل إليه مراده بقدرته ويجبر حاله بنصرته ، حكي أن ابن أخ لصفوان بن محرز جبس فلم يبق بالبصرة أحد له جاه إلا كلم الأمير في حاله فلم ينفع فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له إئت الأمر من بابهِ فقام بالليل وصلى ركعتين فقرع عليه الباب فإذا بحاجب الأمير ومعه ابن أخيه فقال إن الأمير دعاني الساعة وقال إحمله إليه .

* * *

باب

في معنى اسمه « المقدم المؤخر »

هما إسمان من أسمائه تعالى ورد بهما الخبر ومعناهما تقديمه بعض الأفعال على بعض وتأخير بعض الأفعال عن بعض إما في الوقت وإما في الرتبة لأنه قدم بعض أفعاله على بعض وأخر بعضها عن بعض وذلك من دلالات إرادته لأن الطريق الذي به يعرف أنه مريد قاصد جل جلاله ترتيب أفعاله في الوجود وتخصيصها ببعض الأحكام الجائزة دون بعض فعلم أنه لولا قصد قاصد قدم المتقدم وأخر المتأخر وإلا لم يكن تخصيصها ببعض الأحكام أولى من تخصيصها بغيرها وكذلك أفعاله متقدمة بعضها على بعض في المعنى والرتبة فدل على رفعه لبعض وخفضه لبعض وإعزازه لقوم وإذلاله لقوم فطائفة قدمهم لطاعته وعبادته وطائفة أخرهم لماضي إرادته ونافذ مشيئته قال الله تعالى ﴿ **ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين** ﴾ وأن أولياءه مختلفون فمنهم من يتقدم بجهده وعبادته ويتكلف أن لا يتخلف عن أشكاله في مرافقته سمعت الدقاق يقول رئي بعضهم مجتهداً فقيل له في ذلك فقال ومن أولى مني بالجهد وأنا أحتاج أن ألحق بالأبرار والكبار من السلف قال الله تعالى ﴿ **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ وفي معناه أنشدوا :

السباق السباق قولاً وفعلاً ‏ ‏ ‏ حذر النفس حسرة المسبوق

سمعت الدقاق يقول في يوم عيد وقد اجتمع الناس في المصلى : لو قيل لي

المقدم : الذي يقدم الأشياء فيضعها مواضعها وذاكر هذا الإسم في الحرب ينصر على أعدائه .

المؤخر : الذي يؤخر الأشياء إلى أماكنها وأزمانها وخصص كل موجود بزمانه ورتبته ولا ترد مشيئته وذاكر هذا الإسم تحسن توبته ويترك المعاصي .

إن واحداً من هؤلاء يرى الله تعالى قبلك غداً لـزهقت نفسي وقوم لم يـروا لأنفسهم إستحقاق التقدم وكانت همتهم السلامـة فحسب وقال بعضهم في مناجاته إلهي إني أعلم أني لا أستوجب تلك الدرجات ولكن ستراً من النار وقال يحيى بن معاذ العارف شريف الطلب قيل له وما شرف طلبه قال لا يجاوز بهمته طلب المغفرة قال الله تعالى ﴿ **وكأين من نبي قاتلَ معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين** ﴾ ثم قال تعالى ﴿ **وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا** ﴾ ثم قال تعالى ﴿ **وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا** ﴾ يحكى عن ابن المبارك أنه خرج يوماً على أصحابه فقال تجاسرت البارحة على الله فسألته الجنة وفي معناه أنشدوا :

وما رمت الدخول عليه حتى   حللت محل العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها   وصنت النفس عن قال وقيل

وقال غيره :

نزلوا بمكة في قبائل نوفل   ونزلت بالبيداء أبعد منزل

وقال أبو سعيد الخراز : خيرت بين القرب والبعد فآثرت البعد على القرب .

فصل : وأن الله تعالى قدم قوماً في سابق حكمه فربما يجري عليهم أوصاف المطرودين ويقيمهم في صورة المبعدين وهم بحقائق رحمته بالحكم السابق مقربون . يحكى عن جبر بن عمران اللؤلؤي وكان صالحاً يخدم الفقراء وداره بيت الضيافة فنزل عليه قوم فمضى إلى القاضي يطلب لهم شيئاً منه فلم يقدر فمضى إلى إنسان يهودي كان يميل إلى الفقراء وكان يدفع إليهم أحياناً شيئاً فذكر حاجته إليه فبعث إلى داره ما احتاج إليه فلما نام القاضي رأى في منامه أنه كان على باب قصر من لؤلؤة حمراء فهم أن يدخله فمنع منه فقيل له إن هذا كان لك فدفع إلى فلان اليهودي فلما أصبح القاضي بكى وتضرع ومضى إلى جبر بن عمران فسأله عن القصة فأخبره بحديث اليهودي فاستحضر القاضي

اليهودي وقال لـه : قصر لك في الجنـة تبعنيه بعشـرة آلاف درهم فقال لا فـزاده
فأبى فسأله عن القصة فقص عليه الرؤيا فقال لا أبيعـه ولو طلبتـه مني بألـوف ثم
قال اليهودي لجبر بن عمران أعرض عليَّ الشهادة فأسلم وكان اليهودي ممن قدمـه
الله في سابق حكمه وأخر القاضي في مساواة حاله . حكي عن بعض الصالحين
أنه قال كان عندنا ببغداد رجل يسمى صالحاً اذن خمساً وعشرين سنة فدخل يوماً
في رمضـان يوم الخـامس والعشـرين منـه وقـد أذن للظهـر إلى دار أخيـه فـرآهم
يشربون الخمر فحلف أخوه بالطلاق أن يشـرب واحداً فشـرب لئلا تـطلق إمرأة
أخيه ثم شرب ثانياً وثالثاً حتى سكر فدعاه الإمام لإقامة الصلاة فحلف لا يصلي
أبداً ومات في سكره فهذا أخره الله في سابق حكمـه فلم ينفعه طـول جهده فـإن
من سبق عليـه الحكم والقضاء لم ينفعـه الجهـد والعنـاء فنسـأل الله تعـالى حسن
العاقبة .

* * *

باب

في معنى اسمه « الأول والآخر والظاهر والباطن »

قال الله تعالى ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ والأول في اللغة أصله من آل يؤول إذا رجع وكان في الأصل أأول على وزن أفعل وتأنيثه أولى على وزن فعلى كأكبر وكبرى وأصغر وصغرى ثم قلبت إحدى الهمزتين واواً فاجتمع واوان فأدغمت إحداهما في الأخرى فقيل أول والتأويل تفعيل من آل

الأول : الذي ليس قبله شيء واجب الوجود لذاته ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان وذاكره يهتدي ويرى الخير في أسفاره ولا يضل الطريق ويجتمع شمله .

الآخر : الذي أحاط علمه بكل شيء وليس وراء المعرفة به علم ولا يعرف بعده أحد الباقي بعد فناء خلقه فكل شيء بدأته قدرته مختتم بإرادته وكل شيء محدود في علمه والله سبحانه وتعالى منزه من أن يحده حد أن يكون له والد أو ولد لا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون وذاكره مع اسمه تعالى الأول يصفو باطنه ويزول همه ولا يرى كرباً إلا فرج الله عنه .

الظاهر : الذي ليس فوقه شيء وأظهر الوجود فلم يحجب عن المؤمنين آيات وحدانيته والحركة والسكون بيده وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد وذاكره يصفو باطنه ويكون من أهل الإشارات والكشف .

الباطن : الذي ليس دونه شيء ويجب الإيمان به بالغيب لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير احتجب عن أبصار الخلق رحمة بهم وأشرق نوره على التائبين المنيبين فصفت قلوبهم واهتدوا إلى ربهم اقرأ قوله سبحانه وتعالى ﴿ **الله نور السموات والأرض** ﴾ وذاكره يحس الإنس بالله في باطنه وتنجلي له الغوامض وتحفظ لديه الأسرار .

لم يشرح المؤلف رحمه الله اسمه تعالى : **الوالي ، المتعالي وقد شرحه السيد الأستاذ عبد المنعم الحلواني وهو :**

الوالي : مالك الأشياء المنصرف فيها بالعدل والرحمة والإحسان وذاكره يرضى بولاية الله ولا يركن إلى غيره ويأمن الصواعق والرجف والزلزال

المتعالي : المنزه عن النقائص وصفات الحوادث وهو العلي في ذاته المتعالي في صفاته وذاكره يكون من أهل الأخلاق الطيبة وتعلو همته وتتسع مروءته .

وأما الآخر فهو على وزن فاعل وتأنيثه الآخرة وأصل آخر بآخر لكنهم أماتـوا هذا التصريف ويقال نظر فلان بمؤخر عينه ويقال باعه بآخره بكسر الخاء أي بنظرة ويقال جاء فلان بآخره بفتح الخاء أي أخيراً وأما الآخر بفتح الخاء فتأنيثه الأخرى وفي وصف القديم سبحانه الأول بمعنى القديم الذي لا ابتداء له وهو بمعنى السابق في وصفه والأبدي والأزلي وأما الآخر في وصفه فهو بمعنى أنه لا نهاية ولا انقضاء لوجوده وكونه أولا لا يقتضي أن لا يكون معه غيره وإنما علمنا أنه لم يكن معه غيره في الأزل بدليل آخر لا بكونه أولاً قديماً وليس إذا كان آخراً يجب أن لا يكون معه غيره فيما لا يزال كما توهم جهم وقال أنه يفني الجنة والنار حتى لا يبقى غيره لأنه قال هو الأول والآخر فكما لم يكن معه في الأزل غيره لأنه أول ، كذلك لا يكون معه فيما لا يزال غيره لأنه آخر وهذا الذي قاله باطل لما ذكرناه وأما الظاهر في وصفه تعالى قيل معناه القادر على خلقه يقال ظهر فلان على فلان أي قدر عليه وقهره والباطن في وصفه تعالى قيل بمعنى العليم بخلقه المدبر لأحوالهم وقيل معناه الظاهر بآياته وبراهينه ودلالات توحيده والباطن المتعزز على قوم حتى جحدوه ولم يتحققوا بوجوده وقيل الأول إخبار عن قدمه وآخر إخبار عن إستحالة عدمه والظاهر إخبار عن قدرته والباطن إخبار عن علمه وحكمته وقال بعضهم معناه أنه الأول بالأمور وهو مجريها ومتوليها كما يقول فلان أول هذا الحديث وآخره وظاهر هذا الأمر وباطنه أي هو متوليه ومدبره وله ذلك وإليه يعود كله ويقال إنه يشير إلى صفات أفعاله بهذه الأسماء وهو الأول بإحسانه والآخر بغفرانه والظاهر بنعمته والباطن برحمته وقيل هو الأول بحسن تعريفه إذ لولاه ولولا فضله ولولا ما بدأك به من إحسانه لما عرفته وفي معناه أنشدوا :

سقياً لمعهدك الذي لو لم يكن   ما كان قلبي للصبابة معهدا

وهو الآخر بإكمال لطفه عما كان أولاً بابتداء عرفه وهو الظاهر بما يفيض عليك من العطايا والنعماء . والباطن بما يدفع عنك من فنون البلاء وصنوف الأذى . وقيل الظاهر لقوم فلذلك وجدوه والباطن عن قوم فلذلك جحدوه وقيل

ظاهر للقلوب بحكم البرهان . باطن عن العيون بحق العيان وقيل : الأول بالهداية والآخر بالرعاية والظاهر بالكفاية والباطن بالعناية وقيل : الأول بالتحقيق والآخر بالتوفيق والظاهر بالتأييد والباطن بالتسديد . وقيل : الأول بالإسعاد والآخر بالامداد والظاهر بالإيجاد والباطن بالإرشاد وقيل : الأول بأن عرفك والآخر بأن شرفك والظاهر بما أسعفك والباطن بما لاطفك . ويحكى عن أبي يزيد أنه قال إن لم أعرف ما أولي وما آخري وما ظاهر حالي وباطن أمري فأنا لا أعلم من الأول والآخر والظاهر والباطن . وقيل : لما قال إبليس « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » . أي لآتينهم من بين أيديهم لأشككهم في أمر آخرتهم ومن خلفهم لأزين لهم أحوال الدنيا وعن أيمانهم لأنسينهم أمر الآخرة وعن شمائلهم لأزين الباطل في أعينهم قال الله تعالى : أنا الأول أحفظ عليهم دينهم وأنا الآخر أختم لهم بالسعادة والظاهر أفيض عليهم النعم والباطن أسبغ عليهم المنن وأكفيهم أشغالهم وأصون بالسعادة ما لهم وأصلح أعمالهم وأدق آمالهم . وقيل : قال لإبليس إني سلطتك عليهم من جهاتهم الأربع فما سلطتك عليهم من فوقهم ولا من تحتهم بل أمطر عليهم من فوقهم الرحمة وأخسف من تحتهم ما اجترحوه من معاصيهم ذلك جزاء من كان الله تعالى له في أزله قبل أن كان لنفسه بلا حق فعله .

فصل : ويقال الأول بوده لك بدياً إذ لولا أنه بدأك بسابق وده لما أخلصت له في عقده وعهده فأين كنت حيث كان لك ومتى كانت رحمة أبيك وشفقة أمك وذويك وقد قسم لك الايمان ورضي لك الإسلام وسماك بالصلاح فقال عز من قائل ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ جاء في التفسير أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم آثرك في سابق القدم . وحكم لك بصدق القدم . رباك بفنون النعم . وعصمك عن سجود الصنم واختارك على جميع الأمم ورداك برداء الإيمان . وتلقاك بجميل الإحسان ورقاك إلى درجة الرضوان . وحرسك من الشرك والبدع . وألقى في قلبك حسن الرجاء والطمع . وإن لم يلبسك رداء الوفاء والورع فلم يوبسك من لطفه

بنهاية الفزع . وإن الذي هداك في الإبتداء لهو الذي يكفيك في الإنتهاء .

يقال إن العبد يبتهل إلى الله تعالى في الإعتذار والحق سبحانه وتعالى يقول له عبدي لو لم أقبل غذرك لما وفقتك للعذر وإن من فكر في صنوف الضلال ، وكثرة طرق المحال ، وشدة أغاليط الناس في البدع والأهواء وما تشيع به كل قوم من مختلفي النحل والآراء ثم فكر في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره في الأمور وشدة جهله وتناقض تدبيره في أحواله وشدة حاجته إلى الإستعانة بأشكاله في أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره في دينه ونقاوة توحيده عن غيرة الشرك وصفا عين عرفانه عن وهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده وسعيه وجده بل بفضل ربه وسابق طوله . قال الله تعالى : ﴿ **وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة** ﴾ فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك متظاهرة والباطن بآلائه وزوائد كرمه لديك متواترة .

فصل : ومن آداب من عرف أن له هذه الأسامي أن لا يؤخر في ظاهره وباطنه وسره وعلنه وقلبه وبدنه ودقة وجله شيئاً من أمره وحكمه كيف لا وهو منشىء أوائل أمره ومجري أواخر حكمه والمتولي لأمور ظاهره والعالم بسرائره وباطنه .

* * *

باب

في معنى إسمه « البر »

البر إسم من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ إنه هو البر الرحيم ﴾ يقال رجل بر وبار وإمرأة برة وبارة والبر هو المحسن وفلان بار بوالديه إذا كان محسناً إليهما والبر من صفات الخلق من تتوالى منه أعمال البر ومن كان الله سبحانه باراً به عصم عن المخالفات نفسه وأدام بفنون اللطائف أنسه . طيب فؤاده وحصل مراده ووفق في طريقة اجتهاده . وجعل التوفيق زاده وجعل قصده سداده . ومبتغاه رشاده . أغناه عن أشكاله بأفضاله وحماه عن مخالفته بيمن إقباله . فهو غني بلا مال وعزيز بلا أشكال ملك لا يستظهر بجيش وعدد وغني بلا تمول مال وعدد . تشهده في زي مسكين وهو بربه متعزز مكين . يحكى عن خلف المقدسي أنه قال ورد على بعض الفقراء فاعتل بعلة شديدة فتغافلت عنه أياماً ثم ذكرت حاله فجئته معتذراً وقلت قد غفلت عنك فاعذرني فقال وليني من لا ينساني فلما مات دخلت بين الأكفان فرفعت كفناً فوجدته طويلاً فقطعت منه قطعة ودفنته فيه فرأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي بخلت بقطعة كفن على وليٍّ من أوليائنا لا حاجة لنا في كفنك فأصبحت ودخلت بيت الأكفان فوجدت الكفن ملفوفاً في زاويته . ومن آداب من عرف أنه البر أن يكون باراً بكل أحد لا سيما بأبويه فإن الخبر ورد عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم أنه قال رضى الرب في رضى الوالدين . وسخط الرب في سخط الوالدين . يحكى أن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى رأى رجلاً قائماً عند ساق العرش فتعجب من علو

البر : الذي كثر خيره ولا ينفك عطاؤه ولا ينقطع لطفه بأهل معرفته وقربه ، وذاره يكون رحيماً باراً بوالديه والأقربين متوكلاً كثير الأرزاق .

سكانه فقال يا رب بم بلغ هذا العبد هذا المحل فقال : إنه كـان لا يحسد عبـداً من عبادي على ما آتيته وكـان باراً بوالـديه . ويقـال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كان لا يأكل مع فاطمـة رضي الله عنها فقـالت له في ذلـك فقال أخشى أن يقع بصرك على شيء فأسبقك بأخذه ولا أشعر فأكون عاقاً لـك فقالت كـل معي يـا بني وأنت مني في حل . ويحكى عن أبي يـزيد البسـطامي أنه قـال : كنت في إبتداء أمري صبياً ولي دون عشر سنين فكان لا يأخذني النوم بالليل وكنت أصلي فأقسمت عليَّ والدتي ليلة أن أبيت معها في الفراش وأنام فلم أرد مخـالفتها فنمت معها وكانت يدي تحت جنبها فلم أخرجها مخافة أن تنتبه ولم يأخذني النوم فقرأت عشرة آلاف مرة ﴿ **كل هو الله أحد** ﴾ وعوذتها بها قـال فلم تعلم بيدي هـذه ولم أخرجها من تحتها مخافة أن تنتبه .

فصـل : واعلم أن بر الأصـاغر من التـلامـذة للشيـوخ والأستـاذين يجب أن يكون أكثر من بـرهم بوالـديهم فإن الأب يحمي ولـده عن آفات الـدنيا والشيـخ يحمي تلميـذه عن آفات الآخـرة والأب يربي ولـده بنعمته والشيـخ يربي تلميـذه بهمته . سمعت الشيخ أبا عبد الـرحمن السلمي يقول سمعت الأستـاذ أبا سهـل الصعلوكي يقـول : من قـال لأستـاذه لم لا يفلح أبداً . يحكى عن أبي الحسن العلوي أنه قال كنت تلميذاً لجعفر بن نصير رحمه الله تعالى فكنت ليلة عنده وكنـا علقنا طيراً في التنور في البيت وكان قلبي مـع ذلك الـطير فقال لي الشيـخ جعفر بت عنـدنا الليلة فـاعتللت بعلة ورجعت إلى البيت قـال فاخـرج الطير من التنـور ووضع بين يدي وكان باب الدار مفتوحاً فدخل كلب فـأخذ الـطير ومر وعثـرت الخادم بالجرداب فصبته وأكلت الخبز بلا إدام فتغير قلبي واستوحشت فـأصبحت ودخلت على جعفر فلما وقع بصره عـلى قال من لم يحفظ قلوب المشـايخ سلط الله عليه كلباً يؤذيه . سمعت الشيخ أحمد بن يحيى وكان كبير الشأن يقـول : من حفظ حق أستاذه وشيخه لا يكـافأ في حيـاة الشيخ لئـلا يسقط تعظيم الشيـخ من قلبه ومن لم يحفظ حـرمة شيخـه لا يعاقب في حيـاة الشيـخ لأن لهم بهم رحمـة وشفقـة فتـداخلهم الشفقـة عليهم بـل ينتقم الله سبحـانـه منهم ويكـافئهم بعـد مـوت شيوخهم ونعوذ بالله من سوء الخاتمة .

باب

في معنى اسمه « التواب »

التواب إسم من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ **واستغفره إنه كان توابا** ﴾ والتوبة في اللغة والتوب هو الرجوع يقال تاب يتوب توباً وتوبة إذا رجع وتاب وآب وأناب بمعنى واحد وكذلك ثاب بالثاء المعجمة ثلاثاً يقال ثاب اللبن في الضرع إذا رجع إليه ومعنى الوصف بأن الله سبحانه تواب أنه يتوب على العبد أي يعود عليه بألطافه وبيسر التوبة له قيل : توبة الله على العبد خلقه التوبة له . وقيل قبوله لتوبته قال الله تعالى : ﴿ **ثم تاب عليهم ليتوبوا** ﴾ فاعلم أنه إذا لم يتب الله على العبد لا يتوب فإذاً ابتداء التوبة وأصلها من الله عز وجل وكذلك تمامها على الله سبحانه ونظامها بالله نظامها في الحال وتمامها في المآل ولولا أن الله تعالى يتوب على العبد وإلا متى كان للعبد توبة ؟ وقوم من أهل الحكمة يقولون إن العبد يزجره العلم عن المعاصي فيتوب لتكلفه فربما ينقض توبته ويعيد بطالته فأما إذا أراد الله سبحانه بعبد خيراً وحكم بصحة توبته كان ذلك آخر عهده بتلك الزلة فلا ينقض تلك التوبة . وإن من كرم الله سبحانه أن يضيف التوبة على العبد إلى نفسه فالعبد يذنب وهو يتوب عليه وهذا حقيقة الكرم قال الله سبحانه ﴿ **والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً** ﴾ وقيل إن الله تعالى أخبر عن سنن من مضى وما عملوا ثم أخبر عما عاملهم به مكافأة لهم على ما قدموا وأسلفوا قال الله تعالى ﴿ **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من**

التواب : الذي يقبل أسباب التوبة ويشفق على عباده من المعاصي والذنوب ويعينهم على مغالبة الشهوات وينير لهم ويصلي عليهم هو وملائكته ليخرجهم من الظلمات ولا يعجل بالعقوبة فإذا رجع العبد إليه وأناب تاب عليه وقبل توبته وهيأ له أسباب النجاح والفلاح وذاكره يتوب الله عليه وتكثر أرزاقه .

قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم ﴾ يعني به صنوف معاصيهم وفنون مخالفتهم ثم أخبر عما عاملهم به فقال « فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا » فانتظرت هذه الأمة وقالت ما يعاجلنا به على قبيح ما أسلفنا فقال تعالى ﴿ ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ﴾ أولئك أبلاهم وعذبهم وهؤلاء تاب عليهم ورحمهم سنة منه كريمة مضت بتخصيص هذه الأمة ولهذا أثبت في اللوح المحفوظ أمة مذنبة ورب غفور . وفي خبر مسند أنه صلى الله عليه وسلم دعا لأمته عشية عرفة واستغفر الله لهم فأوحى الله إليه أني قد غفرت لهم ما بيني وبينهم ولم أغفر لهم ظلم بعضهم لبعض فزاد في الإستغفار وقال إنك قادر أن ترضي خصماءهم فلم يجبه تلك الليلة فلما كان غداة المزدلفة أوحى الله إليه بالإجابة فابتسم صلى الله عليه وسلم وقال عجبت من فعل إبليس لما أجاب الله تعالى دعائي صاح بالويل والثبور ووضع التراب على رأسه . وفي بعض الحكايات أنه لما تاب الله على آدم عليه السلام قال في مناجاته « إلهي لم عاتبتني وقد علمت أني إنما أكلت من الشجرة طمعاً في الخلود لأبقى معك فأوحى الله تعالى إليه : لأنك رأيت الخلود من الشجرة فأشركت بي في سرك ولم تشعر وأن من الكرم أن تتوب على من أذنب إليك كما تاب الله عليك والمشهور من قول القائل .

إذا مرضتم أتينا كم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

يحكى عن أبي عمرو بن علوان أنه قال كنت في حداثة سني مولعاً بشراء الجواري فكنت ليلة في صلاتي أفكر في بعض أحوال ما مضى لي معهن حتى أخطأت فأزلت في صلاتي قال فورد كتاب الجنيد على أبي بأن أرسل إلى ابنك أبا عمرو ، قال فأتيت فلما وقع بصره عليَّ قال لي أما تستحي تفكر في مثل تلك الحال وأنت بين يدي الله تعالى لولا أني تبت عنك وإلا لبقيت في ذلك إلى الأبد لا تصحب إلا من إذا مرضت عادك وإذا أذنبت تاب عنك وكثير من الناس ينهمكون في غوايتهم ويتهتكون بسوء جهالتهم حتى إذا أشرفت سفينتهم على

الغرق تداركهم الحق سبحانه بجميل لطفه فيغفر قبيح أفعالهم ويصلح سوء أحوالهم. يحكى أن رجلاً كان يتعاطى الفواحش فلم يدع شيئاً إلا فعله فمرض فلم يعده جيرانه فدعا بعضهم وقال له إن جيراني في المقبرة يتأخذون بجواري فادفنوني في زاوية بيتي فلما مات رئي في المنام على هيئة حسنة فقيل له ما فعل الله بك فقال قال لي عبدي ضيعوك وأعرضوا عنك أما أني لا أضيعك ولا أعرض عنك برحمتي ، تاب الله علينا بفضله وختم لنا بالسعادة بلطفه .

* * *

باب

في معنى اسمه « المنتقم »

المنتقم اسم من أسمائه تعالى ورد به الخبر والانتقام افتعال من النقمة يقال نقم ينقم إذا كـره منه الشيء غـاية الكـراهة والانتقـام غايـة العقوبـة على الشيء الذي يكرهه قال الله تعالى ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا** ﴾ أي ما كرهوا منهم وقال تعالى ﴿ **هل تنقمون منا** ﴾ أي تكرهون ، وانتقام الله تعالى عقوبته للعصاة على ما كـره منهم وليس كراهيتـه ككراهـة الخلق من نفور النفس ولحـوق المشقة وإنما معناه ذمة لما كـرهه وذم فـاعله والحكم بعقوبتـه والله تعالى ينتقم من عبـاده بعـد طول الإعـذار والإنذار وكثـرة الإمهال وسـابق الحكم فـإذا أتى العبـد إلا إصراراً وعتواً وإعراضاً عن موافقته إنتقم منه بعد ذلك قال تعـالى ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية كنت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كـل مكان فكفـرت بأنعم الله فـأذاقها الله لبـاس الجوع والخـوف بما كـانـوا يصنعـون** ﴾ ثم أن الله تعـالى قـد يغضب في حق خلقه بما لا يغضب في حق نفسه وينتقم لعباده مـا لا ينتقم لنفسه في خالص حقه وقدحكي أن نبياً من الأنبياء عارضه سبع في طـريقه فلطمـه النبي فلطم السبع ذلك النبي صلوات الله على نبينا وعليه فقال ذلـك النبي إلهي هذا كلبك وأنا نبيك وقد لطمني فأوحى الله إليه لطمة بلطمة والبادي أظلم . وحكي أن رجلاً نظر في الطواف إلى شخص فأصاب عينه سهم وهتف به هاتف نـظرت ببصر ظـاهرك إلى محـظور فقلعناه ولـو نظرت بسـرك إلى غيرنـا قطعنـاه سمعت

المنتقم : الذي أعد للكفرة جهنم وساءت مصيراً وهو القـوي العزيـز القادر عـلى إهلاك أهل الكفر والظلم والمعاصي ويعجل بالعقوبة للزجر وشدة الانتقام وعبرة للمؤمنـين ويؤخرهـا بشدة الإنتقام وازدراء بالكفرة والمشركين وهـو صاحب الفضـل والإحسان عـلى العالمين الذي يـرجى خيره ويـرهب جانبـه . وذاكره يقـوى على مغـالبة الأعـداء ويكون من أهـل العدل في الأحكام .

الأمام أبا بكر بن فورك رحمه الله تعالى يحكي هذه الحكاية وقيل أوحى الله إلى بعض الأنبياء احذر أن تلقاني ولا عذر لك ، فمن عرف عظمته خشي نقمته . كما أن من عرف كرمه أمل لطفه ونعمه .

ثم إن أكثر انتقام الله تعالى من عباده إنما يكون بتسليط من لا يعرفه عليهم بذلك وردت الآثار إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني . قيل إن جماعة اجتمعوا على نبي من الأنبياء فقالوا ما علامة رضى الله عن الخلق فأوحى الله إليه قل لهم إن علامة رضائي عنهم أن أولي أمورهم خيارهم وعلامة غضبي أن أولي أمورهم شرارهم وقيل إن الله تعالى ينتقم من الظالم بالظالم يسلط بعضهم على بعض فانتقامه تعالى على قسمين معجل ومؤجل فالعارفون يخشون مفاجآت النقمة وبغتات العقوبات والمحنة قالت ابنة الربيع بن جشيم لأبيها يا أبت مالك لا تنام بالليل فقال إن أباك يخاف البيات وقيل من خاف البيات[1] لم يأخذه السبات[2] وربما يظل البلاء قوماً فينبههم الله للاعتذار ويوفقهم للتوبة قبل حلول النقمة فيكشف عنهم الضر والبأس كما فعل بقوم يونس عليه السلام لما غشيهم العذاب وطلبوا يونس ففقدوه ورجعوا إلى الله عز وجل بصدق الضرورة قبل منهم العذر وكشف عنهم الضر قال عز من قائل ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين** ﴾ حكي أن رجلاً من بني اسرائيل بلغ رتبة الصديقين فذبح يوماً عجلاً بين يدي أمه فأسقطه الله عن مقامة وسلبه قلبه فكان يهيم على وجهه يهزأ منه الصبيان فمر يوماً في هيمانه بفراخ طير قد وقعن من العش وقد غاب الطير فرحمهن فردهن إلى العش فلما عاد الطائر شكر إليه الفراخ فشكر الطائر الله تعالى فرد الله سبحانه إلى ذلك الرجل قلبه وأعاد وقته وبلغه رتبة الأنبياء وجعله نبياً ويروى عن أبي الدرداء أنه قال إن العبد يكون له وقت طيب فيأمر الله جل جلاله جبريل عليه السلام أن يرفع ذلك عن قلبه فإن صاح

---

(١) الإغارة ليلاً .
(٢) النوم الثقيل .

العبد إلى الله تعالى بـالدعـاء والرغبـة رده إليه وزاده وإن لم يبـال به لم يصـل إلى ذلك أبداً وكان ذلك منه نقمة وقد يكون العبد يستجير بربه عقب زلته بلا فصل فتتـداركه الـرحمة قبـل حلول النقمة فيؤويـه إلى كشف ستره ويعجـل له المغفـرة بلطيف بره يحكى أن بعض الأنبياء سـرق له حمـار فقال إلهي نبيـك سرق حمـاره فأطلعني عليه فأوحى الله إليه أن ذلك الرجل الذي سرق حمارك سألني أن أستره وأنـا لا أريد رده ولا ردك فخـذ مني حماراً آخـر حتى لا يفتضح ذلـك الرجـل . أعاذنا الله من أليم نقمته وأكرمنا بجميل رحمته بجوده ومنته .

* * *

باب

في معنى اسمه « العفو »

العفو إسم من أسمائه تعالى ورد به النص وهو مبالغة من العافي والعفو له معنيان أحدهما الفضل ومنه قوله تعالى ﴿ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ﴾ يعني ما فضل من أموالهم ومنه إعفاء اللحية وعفا مال فلان إذا كثر بالعفو على هذا الاشتقاق الذي يعطي الكثير ويهب الفضل الجزيل والمعنى الثاني العفو بمعنى المحو والإزالة يقال عفت الرياح الآثار إذا أزالتها فالعفو في وصفه تعالى على هذا التأويل إزالة آثار الإجرام بجميل المغفرة فالله سبحانه يعفو عن العباد إجرامهم وذنوبهم فيزيل أحكامها كما قال تعالى ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾ قيل يمحو الذنوب من ديوان الحفظة وينسيها من قلوبهم وقلوب المذنبين وقال بعضهم لما كتبت الحفظة على العباد المعاصي قال الله سبحانه يمحو الله ما يشاء ويثبت لئلا تقطع الملائكة بعصيانك لتجويزهم أن يكون قد عفا عنك . وفي بعض الحكايات أنه كان شيخ سوء صاحب لهو فمات فرئي في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال أقامني وقال لي لولا أني أستحي من شيبتك لعذبتك وروي عن بعض العلماء وكان كبيراً في شأنه قال قلت في آخر مجلسي يوماً اللهم أغفر لأقسانا قلباً وأجمدنا عيناً وأقربنا بالمعاصي عهداً قال وكان في بلدنا محب معروف وقف على حلقتي فقال أعد هذا الدعاء ثانياً فأنا أقساكم قلباً وأجمدكم عيناً وأقربكم بالمعاصي عهداً فادع الله لي حتى يتوب عليَّ قال فرأيت الليلة الثانية في المنام رب العزة يقول سرني حيث أوقعت الصلح بيني وبين عبدي وقد غفرت لك وله ولأهل مجلسك . وقيل إن رجلاً من الصالحين قال يوماً لرجل والله لا يغفر الله

العفو : الذي يعفو عن الكثير ويجازي بالعطاء الوفير ويبدل السيئات حسنات ويذلل العقبات ويخفف متاعب الحياة والتكاليف الحسية والمعنوية . وذاكره يكون من أهل الحكمة والحلم ويفتح الله له أبواب الرضا والقبول .

لفلان قال فأوحى الله سبحانه إلى نبي ذلك الزمان أن قل لفلان قد غفرت له وأحبطت عمل ذلك الرجل . وقيل كان بعبادان رجل مشهور بالخير وكانت له إمرأة صالحة وكان لهما ابن فاسق لا يدع شيئاً من المعاصي وكان لا يقبل نصيحتهما فمرض فلم يعده أبواه فأرسل إليهما فقالا له سحقاً لك وبعداً فإنك لم ترع حق الله تعالى فقال لأمه لو كان إليك أمري ماذا كنت تعملين مكاني فقالت كنت أتجاوز عنك فقال لها إن ربي أرحم بي منك فمات فأظهر أبواه السرور بموته وقالا إن الله سبحانه قد خلصنا منه ثم قالت والدته للأب ائذن لي الليلة حتى لا نوقد السراج ونصلي ونبكي على ولدنا إن كان من أهل النار ففعلا فرأت أمه في المنام كأن قائلاً يقول لها إن الله سبحانه قد غفر لولدكما بحسن عزائكما . وروي كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه يوماً فقال ما تقولون في رجل قتل في سبيل الله فقالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك في الجنة قال فما تقولون في رجل مات فقام رجلان ذوا عدل فقالا لا نعلم منه إلا خيراً فقالوا الله ورسوله أعلم . قال ذلك في الجنة قال فما تقولون في رجل مات فقام رجلان ذوا عدل فقالا لا نعلم فيه خيراً فقالوا ذلك في النار قال بئس ما قلتم عبد مذنب ورب غفور وأما قوله سبحانه ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف** ﴾ فقيل معناه خذ ما صفا من الاخلاص وقيل معناه خذ العفو والفضل والمحاسن من الأخلاق فاعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك وصل من قطعك وتجاوز عمن يذنب ولا يحسن مكانك وآت من آثر حرمانك ومن عرف أنه سبحانه عفو طلب عفوه ومن طلب عفوه تجاوز عن خلقه فإن الله سبحانه بذلك أدبهم وإليه ندمهم فقال عز من قائل : ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ وأن الكريم إذا عفا حفظ قلب المسيء عن الاستيحاش بتذكيره سوء فعله بل يزيل عنه ذلك الخجل بما يسبل عليه من ثوب العفو ويفيض عليه من ذيول الصفح كما يحكى عن قيس بن عاصم المنقري أنه عثر مملوك له وبيده شيء مشوي على سفود فوقع على ولد له صغير فمات فقال قيس بن عاصم له اذهب فأنت حر يريد بذلك صيانته عن استشعار الخجل . واعلم أن عفو الله تعالى عن العباد ليس مما يستقصى بالعبارات كنه معانيه ، وفيما ذكرناه كفاية وبالله التوفيق .

باب

في معنى اسمه « الرؤوف »

الرؤوف اسم من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ والله رؤوف بالعباد ﴾ والرأفة شدة الرحمة يقال رأف يرأف رأفة على وزن فعلة ورآفة على وزن فعالة ورؤوف يرؤف على وزن عظم يعظم فهو رؤوف على وزن فعل ورؤوف على وزن فعول أولى لأن في صفاته[1] على وزن فعول كثير كشكور وغفور وقد مضى القول في معنى وصفه بالرحمة فيما تقدم وذكرنا أن معنى الرحمة في الحقيقة إرادة النعمة ثم تسمى النعمة رحمة على المجاز . ورحمة الله تعالى لعباده إرادته الإحسان إليهم وليس ذلك شرطاً عليه والله تعالى أرحم بعباده من كل أحد ، ورحمته سبحانه في الدنيا عامة للبر والفاجر وهي في الآخرة للمؤمنين خاصة ، وفي بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض الأسفار فمر بامرأة تخبز ومعها صبي لها فقيل لها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر فجاءته وقالت يا رسول الله بلغني أنك قلت إن الله سبحانه أرحم بعباده من الأم الشفيقة بولدها أفهو كما قيل لي فقال نعم فقالت إن الأم لا تلقي ولدها في هذا التنور فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الله لا يعذب إلا من أنف[1] أن يقول لا إله إلا الله ومن رحمته سبحانه بعباده أن يصونهم عن

الرؤوف : الذي أخفى رحمته بحكمته ليرهب العبد جلاله وأظهرها بحنانه ورأفته ليذوق العبد عوائد كرمه فلا ييأس ويقوى على مغالبة آلامه وهو أشفق على الولد من أمه وأبيه ولولا قضاؤه الحق وحكمه العدل وحكمته الخفية ما أخر لمؤمن طلباً ولا رضي له مشقة ولا ألماً ولا مرضاً ولا حزناً ولم يذقه الموت وقد جعل الله له من ذلك جزاء موفوراً في دار النعيم عطاء غير مجذود . وذاكره يشفى من الأمراض ويكون رقيق القلب وإذا غلب عليه منه حال لا تؤثر فيه العوارض .

(١) وقرئ في القرآن بهما جميعاً ورؤوف على وزن فعول .

(١) أنف من الشيء أنفاً من باب تعب والإسم الإنفة مثل قصبة أي استنكف وهو الاستكبار . هـ مصباح .

موجبات عقوبته فإنْ عصمته عن الـزلة أبلغ في بـاب الرحمـة من غفران المعصيـة وربما يرحم عباده بما يكون في الظاهـر مشقة وشـدة وهو في الحقيقـة نعمة ورحمـة وقد روي في بعض الأخبار أن العبد يدعو الله تعالى فيقول الله سبحانه يا جبريل قضيت حاجة عبدي وقد أجبت دعـاءه ولكن احبس عنه حـاجته فـإني أحب أن أسمع صوته وكم من عبد يرحمه الخلق لما به من الضر والفاقة وسـوء الحالـة وهو في الحقيقة في غاية الرحمة تغبطة الملايكة في حالته والناس يرقون له لظاهر محنته . يحكى عن بعضهم أنـه قال مـات فقير فكنت أغسله فـرأيت في عنقـه بـين الجلد واللحم طوبى لك يا غريب . وكم من عبـد يظهـر عليه اليـوم آثار زلتـه وهو في سابق علمه بل رحمته وحكه من خواص عباده . يحكى عن بعضهم أنه قـال كان في جيراني إنسان شرير فمات فرفعت جنازته فتنحيت عن الطريق لئلا أحتاج الى الصلاة عليه فرئي في المنام على حالة حسنة وكان اسم هذا العبـد أيوب فقـال له هذا الرائي ما فعل الله بـك فقال غفـر لي وقال لي قـل لأيوب « لـو أنتم تملكون خـزائن رحمـة ربي إذاً لأمسكتم خشيـة الإنفـاق » وفي بعض الكتب أن نبيـاً من الأنبياء شكى إلى الله الجوع والعري والقمل فـأوحى الله تعالى إليـه ما تعـرف ما فعلت بك سددت عنك باب الشكر وفتحت عليك الصبـر ومن رحمته بعبـاده أن يصونهم عن ملاحـظة الأغيار والأطـلال ورفع الحـوائج إلى الأمثـال والأشكـال بصدق الرجوع إلى الملك الجبار وحسن الإستغناء به في جميع الأحوال وقد حكي عن بعضهم أنه قيل له سل حاجتك فقال من وضع قـدمه عـلى بساط المعـرفة لا يحسن أن يكون لغير الله عليه منة وقـال رجل لـواحد منهم ألـك حاجـة فقال لا حـاجة لي إلى من لا يعلم حـاجتي . وقيل لمشـاد الدينـوري ألا تجيء معنـا إلى باب السلطان فإن الشيوخ مجتمعون هناك ليسعوا في شـأن فلان فقـال وما الـذي يمنعكم عن باب الله تعالى إنما يحضر الموتى بـاب الموتى ونحن نحضر بـاب الملك الجبار وأن الله تعالى ربما يدني العبد من المحنة ثم يمن عليه بعد يـأسه بفتـح باب الرحمة قال الله تعالى ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته** ﴾ وإذا كـانت الحسنى بعـد اليـأس كـانت أوجب للسـرور والاستئنـاس يحكى عن

بعض الصالحين أنه قال : رأيت بعضهم في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال : وزنت حسناتي وسيآتي فرجحت سيآتي على حسناتي فجاءت صرة من السماء وسقطت في كفة الحسنات فرجحت فحلت الصرة فإذا فيها كف تراب ألقيته في قبر مسلم . هكذا تحيط بالعبد جهات البلاء فتكشف عنه بأدنى حسنة وأقل طاعة فضلاً منه سبحانه ورحمة .

* * *

باب

في معنى اسمه « ذي الجلال والإكرام »

مضى الكلام في معنى جلاله فيما تقدم وأنه بمعنى استحقاقه الرفعة وصفات التعالي ومن عرف جلاله تذلل وتواضع له . جاء في بعض الروايات أن لله ملائكة مذ خلقهم لا يفترون عن البكاء ولا تقطر من دموعهم قطرة إلا ويخلق الله تعالى منها ملكاً لا يرفعون لنا رؤوسهم إلى يوم القيامة من هيبة الله سبحانه فإذا كان يوم القيامة يقولون ما عبدناك حق عبادتك وقيل إن من جملة حملة العرش ملائكة صورتهم كصورة العجل فمذ عبد بنو اسرائيل العجل(١)

ذو الجلال والإكرام : الذي لذاته صفات الجلال والكبرياء والعظمة والمجد والتنزيه ولخلقه من إفاضة الجود والكرم والرأفة والحنان عند إيمانهم وطاعتهم . ولهم الذل والهوان والطرد والحرمان والتعذيب والإنتقام عند كفرهم وعصيانهم وهذا جامع لجميع الصفات ومن صفاته الذاتية سبحانه وتعالى الأحد الصمد الواحد الأول القادر السميع البصير العليم اللطيف الخبير الحي القيوم الملك القدوس الحق العزيز ومنه تستمد الخلائق الوجود فهو خالق بارىء مصور مبدىء معيد محيي مميت باعث شهيد رقيب محص مقتدر مالك الملك . ومن صفاته الذاتية الرحمن وتستمد منه الخلائق الرحمة فهو رحيم رؤوف سلام مقيت رازق وهاب كريم فتاح باسط مجيب واحد ودود رافع معز مغن نافع حليم صبور نور هاد ومن صفاته الذاتية ماجد فياض المجد فهو مجيد وحميد وحسيب وجليل وولي ومن صفاته الذاتية غفور تهرع إلى مغفرته الخلائق فهو غفار شكور غفور رؤوف ومن صفاته الذاتية المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الحكيم الحكم العدل العظيم العلي الكبير القوي المتين تخشى الخلائق عقابه ويرهب أهل المعرفة جلاله لأنه سبحانه وتعالى للكفرة والعصاة الفجرة قهار مذل مميت قابض مؤخر خافض مانع ضار منتقم فهو سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام وذاكره ينال عزا ورفعة وقبولاً وهيبة وسعادة وهو إسم أعظم لذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **ألظوا بياذا الجلال والإكرام** .

(١) قوله وقيل من جملة حملة العرش ملائكة على صورة العجل رواية إسرائيلية للأعذار لبني إسرائيل إذ عبدوا العجل قاتلهم الله أني يؤفكون فما رأوا عجلاً إلا الذي صنعه السامري . والصحيح الذي لا مرية فيه أن الملائكة ليس فيها من هو على صورة العجل وإنما صورتهم على ما ذكر الله سبحانه وتعالى ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ﴾

وضعوا أيديهم على وجوههم حياء من الله تعالى وقيل الإجلال أن ترى ما دونه بعين الإقلال يحكى عن ابن الجلا أنه قال كنت راكباً جملاً مرة فقلت جل الله فسمعت الجمل يقول بلسان فصيح جل الله وليس جلاله بأنصار يعنونه ولا بأشكال ينصرونه ولا برسوم وأطلال وأجلال وأفعال ولا سلف ولا خلف ولا نسب أو سبب أو إستظهار بنشب وإنما جلاله وكبرياؤه وعلوه وبهاؤه كونه بالوصف الذي يحق له العز . وأما الإكرام فقريب من معنى الإنعام إلا أنه أخص لأنه ينعم على من لا يقال أكرمه ولكن لا يكرم إلا من يقال أنعم عليه وإكرامه للعبد يكون في الدنيا معجلاً وفي الآخرة مؤجلاً فقد يربي عبداً برحمته ويتولى جميع أمره بفضله ومنته من أول أمره إلى آخر عمره أما ترى كيف أكرم موسى عليه السلام حيث سلمته إليه أمه كيف رباه في حجر عدوه وكيف صرف عنه كيده ؟ أسلمته إلى البحر متوكلة على الله بالغداة فرده إليها قبل الظهر. جاء في الروايات أن فرعون قتل في ذلك اليوم سبعين ألف صبي وموسى في حجره يربيه . وهكذا قالت أيضاً أم مريم رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها أنثى خجلت لأن الأنثى لا تصلح لخدمة المسجد فتقبلها ربها بقبول حسن وبلغها المقام الذي بلغها حتى وقع الغلط لجماعة من الناس لا يحصون في أمرها حتى قالوا ما قالوا (نكتة) إذا سلم إليه ولده فرباه في حجر عدوه وصرف عنه كيده فمن سلم إليه قلبه حفظه كما في الخبر أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين نعمتين من نعمة ترى أنه يضيعه ولا يحفظه حاش لله (نكتة أخرى) من سلم إليه ولده وجعله لخدمة المسجد لم يرده بنقص الأنوثية ترى أن من سلم قلبه إلى صحبة الملك يرده بنقص زلة البشرية أنه لا يفعل ذلك وقد روي في بعض القصص أن العبد إذا هم بالمعصية يقول الله تعالى أنيبوا إلى ربكم فإذا عمل المعصية يقول الله تعالى وتوبوا إلى الله فاذا أصر يقول الله تعالى ﴿ **أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا** ﴾ .

بئس البدل من الله لأن ربنا عزيز لم يزل وغيره ذليل لم يكن وإذا كان الحق

تعالى ينعم والعبد يشكر غيره ويرزق والعبد يخدم غيره وهو يعطي والعبد يسأل غيره فقد أخطأ طريق الرشد وسلك سوء الطريق . يحكى أن رجلاً أتى الحجاج يسأله حاجة فوجد الحجاج في الصلاة فقال في نفسه كيف أسأل من هو محتاج مثلي بل أسأل من ربي حاجتي ، فانصرف فلما فرغ الحجاج من صلاته دعا بالرجل فقضى له حاجته وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له أعطاك من سألته وأنا ساجد .

* * *

باب

في معنى اسمه « المقسط الجامع »

هما إسمان من أسمائه تعالى فأما المقسط فهو بمعنى العادل وأما القاسط فهو بمعنى الجائر يقال قسط إذا جار وأقسط إذا عدل ومعنى العادل في وصفه أن أفعاله حسنة جميلة والفعل الحسن ما للفاعل أن يفعله وأما الجامع في وصفه تعالى فيكون بمعنى الجائر لهم يوم القيامة للثواب والعقاب فيجمع لحومهم المتفرقة وجلودهم المتمزقة وعظامهم النخرة ويكون الجامع اليوم لأجزائهم وأوصالهم ركبهم على ما أراد من التركيب ورتب أحوالهم على ما شاء من الترتيب قال الله تعالى ﴿ **نحن خلقناهم وشددنا أسرهم** ﴾ وشد أوصالهم وربط أجزاءهم بعضها ببعض فمن عظم التغالب عليه اليبوسة ولحم كساه الغالب عليه اللين والرطوبة ومخ بين العظم الغالب عليه اللين والرخاوة فسبحان من جمع بين هذه الأشياء المختلفة وأنظر إلى التئام كل نوع وكل جنس كيف جمع بين الأشياء المختلفة في الطعم واللون والرائحة كالرمان مثلاً أنظر إلى قشره في لونه وشكله وطعمه وما قال أهل الطب فيه وإن لم تكن له حقيقة في القول بطبعه ولكن على ما أجرى به العادة في الآثار التي يخلقها الله سبحانه عقيب أكله واستعماله في الطبع وغيره ثم أنظر شكل حبه ولونه وطعمه ثم ما بين الحب من عجمه ثم ما بين الحبات من

المقسط : المنصف الحكيم لا يخطىء الحق والقسط في حكمه ولا يحيف وهو الحكم الأعلى لجميع المخلوقات . وذكره يورث الخوف والرجاء والاهتداء إلى الحقائق ويمنع الوسوسة في العبادات .

الجامع : الذي جمع صفات الكمال وألف بين قلوب أحبابه وهو الذي يجمع الخلق ليوم لا ريب فيه ويجيء بالشهداء والنبيين فلا يفر من عذابه وعقابه كافر أو جاحد من السابقين واللاحقين ويجمع من شاء بما شاء لأنه قادر مقتدر لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وذاكره يكشف له عن حظائر الملكوت ويجمع بين الشريعة والحقيقة ويهتدي إلى ضالته ويجتمع بأحبته .

رقيق قشره ثم هكذا القول في الأترج من قشره ولحمه وحماضه وحبه وسائر الثمار وجميع أصناف المخلوقات والحيوانات من الجمادات كيف جمع هذه الأعراض المختلفة في هذه الجواهر المتجانسة . ومن صرف قلبه إلى الاعتبار بما توعد به عباده من أحوال يوم القيامة وصنوف أهوالها تحقق بديع قدرته وظاهر حكمته وتنبه للانزجار عن أليم مساخطه ومما روي في أوصاف يوم القيامة أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله له يا شيخ ما أنصفت غذوتك بالنعم صغيراً فلما كبرت عصيتني أما أني لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ما كان منك . وإنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب فاذا وقف تضعضعت أركانه واصطكت ركبتاه فيقول الرب جل جلاله أما استحيت مني أما راقبتني أما خشيت نقمتي أما علمت أني مطلع عليك خذوه إلى أمه الهاوية وفي خبر أن الوحوش والبهائم تحشر يوم القيامة فتسجد لله سجدة فتقول الملائكة ليس هذا يوم سجود هذا يوم الثواب والعقاب فتقول البهائم هذا منا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله من بني آدم ويقال إن الملائكة تقول للبهائم لم يحشركم الله جل جلاله لثواب ولا لعقاب وإنما حشركم لتشهدوا فضائح بني آدم وقيل لو أن رجلاً له ثواب سبعين نبياً وله خصم بنصف دانق لا يدخل الجنة حتى يرضي خصمه . وقيل إن الدانق من الفضة يؤخذ به يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى إلى الخصم وفي خبر مسند عن النبي صلى الله عليه وسلم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ما نفعكم ذلك إلا بورع صادق . وقيل كما يرجو الظالم رحمة الله فإن المظلوم أيضاً يرجو رحمة الله سبحانه فإذا أخذ حقه من الظالم فذلك برحمة منه ولو لم يأخذ للمظلوم حقاً من الظالم لما رحم المظلوم . وروي عن ابن مسعود انه قال يؤخذ بيد العبد يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فينادى مناد إلاَّ من له قبل هذا حق فليأ خذه وقيل لا يكون شيء أشد على أهل القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يدعي عليه شيئاً .

فصل : وقد يجمع اليوم قلب وليه إلى شهود تقديره حتى يتخلص عن أسباب التفرقة فيطيب عيشه إذ لا راحة للمؤمن دون لقاء الله تعالى فلا يرى

الوسائط ولا ينظر إلى الحادثات إلا بعين التقدير إن كانت نعمة علم أن الله سبحانه منتجها وإن كانت شدة علم أن الله تعالى هو الكاشف لها ومزيحها وأنشد بعضهم :

فلا ألبس النعمى وغيرك ملبسي ولا أقبل الدنيا وغيرك واهب

يحكى عن بعضهم أنه قال لبعض أصحابه ائتني بباقلا فأتاه به فكان بين يديه سنور مهزول قال فألقى إليه شيئاً من ذلك فلم يأكل فلما طرح القشور مضى السنور وأكله فقال في نفسه ما أخسه لم يأكل بالعز وقد أعطيته ثم ذهب يلتقط من القمامات قال فغفا غفوة فرأى السنور فيما يرى النائم على صورة حسنة قال لم لم تأكل بالعز وأكلت بالذل قال فصاح في وجهه وقال أمرنا أن لا نأخذ بالواسطة .

* * *

باب

في معنى اسمه « المغني المانع »

المغني معطي الغنى لعباده ويكون بمعنى معطي الكفاية والغناء هو الكفاية والله تعالى مغني عباده بعضهم عن بعض على الحقيقة لأن الحوائج لا تكون على الحقيقة إلا إلى الله سبحانه فإن المخلوق لا يكون له إلى مخلوق إشتداد حاجة ولهذا قيل تعلق الخلق بالخلق كتعلق المسجون بالمسجون قيل من أشار إلى الله ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله ابتلاه الله سبحانه بالحاجة إلى الخلق ثم ينزع الرحمة من قلوبهم ومن شهد محل إفتقاره إلى الله سبحانه فرجع إليه بحسن العرفان أغناه من يحث لا يحتسب وأعطاه من حيث لا يرتقب . وإغناء الله تعالى لعباده على قسمين منهم من يغنيه بتنمية أمواله ومنهم من يغنيه بتصفية أحواله وهذا هو الغنى الحقيقي سمعت بعض المشايخ ببغداد قال جاء رجل ببغداد إلى الجنيد فعرض عليه نفسه وماله وسأله أن يباسطه فيما يسنح له من حوائجه فقال له لعلك تحتاج إلى ما معك فقال لا فإني رجل موسر ولي صامت وعقار وضياع فقال أتريد غيره وتستزيده إلى ما معك فقال نعم فأخرج خرقة فيها كسوة فحلها وناوله إياه وقال له أضفها إلى ما معك فإني لست أحتاج إليها وأنت تحتاج إلى الزيادة وصاحب الحال أبداً يجود على صاحب المال وصاحب المال عيال على صاحب الحال وصاحب المال يشفق وصاحب الحال ينفق ويتحلق مع الخلق

المغني : الذي يهب الغنى لمن شاء من خلقه وما كان عطاء ربك محظوراً ولا اعتراض على فعله قال سبحانه وتعالى ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً** ﴾ وذاكره تسخر له الخلق وتحبه عشيرته ويستحي أن يسأل غير الله حاجته .

المانع : الذي لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى ويمتنع وجود أي شيء إلا بإرادته ويستحيل التعرف إلى أي شيء أو كسبه إلا بمشيئته ولا يمتنع المكروه إلا بحوله وقوته وذاكره يأمن المكاره ويستعين بالله فيحصل على جميع ما يحتاج إليه .

بالهمة والخلق إلى همة صاحب الحال أحوج منهم إلى نعمة صاحب المال يحكى أن أبا العباس الفقيه التبان وكان موسراً عاد أبا بشر الخياط وكان شيخاً كبيراً فقال إن لي ثوباًعرضته على كثير من الخياطين وأردت أن يقطفو لي منه ثوباً لنفسي فقالوا لا يتم لك منه ثوب فقدر أنت لعله يجيء ببركتك منه ثوب واسع فقدره أبو بشر فوجده لا يجيء منه ثوب واسع كما أراد فقال يجيء إن شاء الله تعالى كما تريد وحمل الثوب إلى حانوته واشترى من ماله قطعة توافق ذلك الثوب وخاطه كما أراد وحمله أليه فسر به أبو العباس التبان فقيل لأبي بشر في ذلك فقال أن جود الفقير مع الغني أتم من جود الغني مع الفقير . وأما المانع في وصفه جل جلاله فيكون بمعنى منع البلاء عن أوليائه ويكون بمعنى منع العطاء عمن شاء من أوليائه وأعدائه فإذا منع البلاء عن أوليائه كان ذلك لطفاً جميلاً وأذا منع العطاء عن أوليائه كان ذلك أيضاً فضلاً جزيلاً وإذا لم يمنع الخير عن أعدائه كان ذلك في الحال احتجاجاً عليهم واستدراجاً وإذا منعهم الخير في الآخرة كان عقوبة وإذلالاً .

فصل : حكي أن موسى عليه السلام قال في مناجاته إلهي إني جائع فأوحى الله إليه إني لا أعلم ذلك يا موسى قال فأطعمني قال حتى أريد ويحكى عن ابن المكندر أنه قال قلت ليلة في الطواف اللهم أعصمني وأقسمت على الله طويلاً فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي أنت الذي قلت اعصمني فقلت نعم فقال أنه لا يفعل فقلت لم فقال لأنه يريد أن يعصى حتى يفقر وربما يكون منعه لبعض عباده منع قلبه عما يضره بأن لا يخلق له إرادة ذلك فيكون رفقاً به قال الله تعالى ﴿ **وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾ وأنه سبحانه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولكنه لا يحمي قلب أحد من المخالفات إلا وهو من خواص أوليائه وقد يمنع التمني والشهوات من نفوس العوام ويمنع الإرادات والإختيارات عن قلوب الخواص ويمنع الشبهة عن القلوب والبدع عن العقائد والمخالفات في الأوقات والزلل عن النفوس من أجل النعم التي يخص بها عباده المقربين ويكرم بها أولياءه المنتخبين جعلنا الله من جملتهم وحشرنا في زمرتهم .

باب

في معنى اسمه « الضار النافع »

ورد الخبر بهذين الإسمين وفي معناهما إشارة إلى التوحيد وهو أنه لا يحدث شيء في ملكه إلا بإيجاده وحكمه وقضائه وإرادته ومشيئته وتكوينه قال الله سبحانه : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾ ثم أخبر عن بيانه فقال سبحانه : ﴿ هو مولانا ﴾ ليعلم العالمون أن له أن يتصرف في ملكه بموجب إرادته فلا يلحق أحد آخر ولا نفع ولا خير ولا شر ولا سرور ولا حزن إلا من قبله جل جلاله فإن تلك نعمة فهو النافع والدافع وإن تلك محنة فهو الضار القامع الحابس المانع ومن استسلم لحكمه عاش في راحة ومن نافر اختياره وقع في كل آفة يقال أول ما كتب الله جل جلاله في اللوح المحفوظ أنا الله لا إله إلا أنا من لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليطلب رباً سوائي . وقيل ناجى داود عليه السلام ربه جل جلاله فقال إلهي : من شر الناس فقال عز من قائل من استخارني في أمر فإذا خرت له اتهمني ولم يرض بحكمي وقيل من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الواسطي الطينة إذا نازعت الربوبية أظهرت رعونتها . وفي خبر مسند إياكم ولو فان لو من أقوال المنافقين فإذا عرف العبد توحد مولاه في الإيجاد وتفرده في الإختراع فوض الأمور إليه وعاش في راحة سن الخلق والخلق في راحة منه فبذل النصيحة من نفسه ولم يستشعر الغش والخيانة لغيره . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الدين النصيحة . يحكى عن أيوب السختياني أنه كان يجيء إلى السوق فرأى رجلاً اشترى من غلام شيئاً فقال بكم باعك هذا فقال بكذا فقال ارجع

الضار النافع : الذي يضر الأعداء وينفع الأحباء ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه ولا مؤثر في جميع العوالم الجسمانية والروحانية إلا هو حسبما يريد ووفق ما اقتضته الحكمة . وذاكر هذين الإسمين يكون من المتوكلين قلبه راض معلق بالله يشعر بلطفه وأبراره ويشفى من علله وأسقامه وتحبه عشيرته .

فإن عليك غبناً إن هذا لا يساوي هذا الثمن ثم قال لغلامه على وجه العتاب أتخدع الرجل ؟ رد عليه الفضل . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى اطلبوا الفضل عند الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإن فيهم غضبي وأن رحمة الله تعالى أتم من رحمة بعضهم البعض فمن عرف ذلك علم أنه سبحانه يحب من عباده من يرحم خلقه ولا يرحم العبد إلا إذا رحمه الحق قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « فبما رحمة من الله لنت لهم » ويروى عن ابن أوفى أنه قال خرجت أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قاعدان وصبي صغير يبكي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضم إليك الصبي يا عمر فضم عمر الصبي إلى نفسه فإذا بامرأة كاشفة عن رأسها تولول[1] ، وتقول يا بنياه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلحق المرأة فإنها أم الصبي فأخذت المرأة ولدها وضمته إلى صدرها والصبي يبكي في حجرها فلما التفتت رأت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت واحزناها أني لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رآني وأنا كاشفة عن رأسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه رحيمة بولدها فقالوا بلى يا رسول الله كفى بهذه رحمة فقال والذي نفسي بيده الله أرحم بالمؤمنين من هذه بولدها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن . حكي أن الحسن البصري سرق له أزار فقعد يبكي فقيل له في ذلك فقال إنما أبكي لأن مسلماً تلحقه غداً عقوبة من أجلي ثم قال اللهم إن كنت تغفر لأحد ذنباً فاغفر لسارق إزاري ذنبه ويحكى أن معروفاً الكرخي كان قاعداً على شاطىء الدجلة وكان هناك جماعة من الشطار يشربون الخمر ويضربون بالأوتار فقيل له أما ترى جراءة هؤلاء على الله سبحانه وتعالى إدع الله عليهم لعل الله يخلص المسلمين من شرهم فقال اللهم كما فرحت هؤلاء في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقالوا سألناك أن تدعو عليهم لا أن تدعو لهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم فلم يضروكم .

(١) أي ترفع صوتها بالبكاء .

باب

في معنى اسمه « النور »

النور من أسمائه جل وعلا قال الله تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ قيل في التفسير معناه منور السموات والأرض وقيل معناه الهادي لأهل السموات والأرض وقيل سُمّي النور لأن منه النور والعرب تسمي من منه الشيء باسم ذلك الشيء كتسميتهم المقبل والمدبر بالإقبال وبالإدبار قال الشاعر :

نرتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار

أي ذات إقبال وإدبار فإذا كان بمعنى المنور فإنما هو منور الآفاق بالنجوم والأنوار ومنور القلوب بفنون الدلائل وصنوف الحجج والملاطفات ومنور الأبدان بآثار العبادات فالطاعات زينة النفوس والأشباح والمعارف زينة القلوب والأرواح والتأييد بالموافقات نور الظواهر والتوحيد بالمواصلات نور السرائر وأن الله سبحانه يزيد قلب العبد نوراً على نور يؤيده بنور البرهان ثم يمده بحسن البيان قال الله سبحانه ﴿ نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ وقد يهدي القلوب إلى محاسن الأخلاق لتؤثر الحق وتصطفيه وتترك الباطل وتدع ما يستدعيه وفي بعض الأخبار أن الله تعالى يحب الأخلاق ويكره سفاسفها فمن معالي الأخلاق التحرز عن رق الأشياء واستصغار قدر الدنيا والجود بها على كل أحد وأن الله

النور : الذي نور باطن المؤمنين بهديه وشعشع أرواحهم بحبه وأقلق قلوبهم بالشوق إليه فلم يأنسوا إلا به ولم يروا حركة ولا سكوناً في الأكوان كلها دقت أو جلت ظهرت أو خفيت إلا من تأثير إرادته فوهبوا أنفسهم وأنفاسهم لنور معرفته فرأوا قيوميته سارية في جسد الأكوان فنظروا إلى نورها فغابوا عن الحس إلى حقيقة المشاهدة وفناء القرب قال الله سبحانه وتعالى ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ وذاكره يكون من أهل الولاية والهداية وإرشاد الخلق إلى الحق ويأتيه النور حتى يختلط بأمزجة جسده ويخترق جميع أنسجته ويزداد وجده وشوقه لخالقه أغشيته .

سبحانه يحب كل جواد سخي وفي بعض القصص أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام لا تقتل السامري فأنه سخي . يحكى أن عبد الله بن عباس كان والي البصرة من قبل علي رضي الله عنه فأتاه قراء البصرة وقالوا له إن رجلاً ههنا صالحاً مشتغلاً بالعبادة وله بنت وقد زوجها من رجل وليس له ما يجهزها به فادخلهم داره وأخرج ست بدرات دراهم وقال إحملوها إليه وحمل هو واحدة ومضوا إلى دار الرجل ووضعوها فلما انصرفوا قال لهم ما عملنا جميلاً شغلناه عن العبادة انصرفوا بنا نتولى ذلك الشغل فليس للدنيا من الخطر ما يشتغل به عابد عن عبادته تعالى ولا فينا أيضاً من يترفع عن القيام بأمر مسلم ومضى وقام يتولى ذلك الأمر بنفسه وقيل السخاء أن تجود على من لا يعرفك والسؤدد أن تنصف من لا ينصفك وفي معناه أنشد .

بث النوال ولا يمنعك قلته	فكل ما سد فقراً فهو محمود
إن الكريم ليخفي عنك عسرته	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل	زرق العيون عليها أوجه سود

وفي بعض الحكايات أن عبد الله بن العباس خرج في بعض أسفاره فنزل ليلاً على حي من العرب فاستضاف شيخاً فأنزله ورحب به وكان فقيراً فعمد إلى شاة له فذبحها فقالت امرأته نموت إذاً من الجوع فقال الأعرابي الموت خير من اللوم فلما أصبح عبد الله بن العباس قال لغلامه إيش معك فقال خمسمائة دينار فقال ضعها عنده فقال يكفيه ضعف قيمة الشاة قال إليك عني فإنه إن لم يكن يعرفني فأنا أعرف نفسي أن الرجل جاد علينا بجميع ماله ونحن جدنا عليه ببعض دنيانا .

* * *

باب

في معنى اسمه « الهادي »

ومن أسمائه سبحانه الهادي قال الله تعالى ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء** ﴾ وغير ذلك كثير والهداية في اللغة الإمالة والهدية تسمى هدية لأنها تمال من ملك إلى ملك والهدى يسمى هديا لأنه حيوان يساق إلى بقعة مخصوصة وأهديت المرأة إلى بيت زوجها من ذلك فالهداية إمالة القلب إلى الحق قال الجنيد في معنى قوله تعالى ﴿ **إهدنا الصراط المستقيم** ﴾ مل[1] بقلوبنا إليك واقم هممنا بين يديك وكن دليلنا منك عليك . وقيل أصله التقديم والعرب تسمي العنق الهادي لتقديمه على البدن فالهادي في وصفه بمعنى المقدم لأهل الخير إلى الرتبةالتي يستحقونها والذي يميل القلوب الى الحق عن الباطل قال الله سبحانه ﴿ **يهديهم ربهم** ﴾ وكما يهديهم إلى نفسه بحسن التعريف يهديهم إلى محاسن الأخلاق ومعالي الأمور بحسن التشريف قال الله سبحانه ﴿ **ونفس وما سوّاهافألهمهافجورها وتقواها** ﴾ يكرم قوماً لما يلهمهم من جميل الأخلاق ويصرف قلوبهم إلى ابتغاء ما فيه رضاه ويهديهم إلى إستصغار قدر الدنيا واستحقار كرائمها حتى لا يسترقهم ذل الأطماع ولا تستعبدهم أخطار المستحقرات فلا يتدنسون بالركوع إلى كل خسيسة ولا يتلبسون بتعاطي كل نعمة ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ وحكايات الأسخياء في ذات الله أعلى منهم رتبة يحكى عن قيس بن سعد بن عبادة أنه مرص وقتاً فلم يجد في عواده كثرة فسأل عن

الهادي : الذي يدل الحائر إلى طريق الخير والنجاة ويهب الهداية لمن ارتضاه ويسهل سبل الهداية والكرامة لمن أحبه واجتباه . وذاكره ينال مناصب الأحكام ويهتدي إلى طرق الرشاد .

---

(١) قوله مل قلوبنا الذي في المقصد الأسنى أمل قلوبنا .

ذلك فقالوا له أنهم يستحيون عن عيادتك لأن لك عليهم ديوناً فقال لا خير في مال يحول بيننا وبين إخواننا نادوا في البلد أنه من كان لي عليه شيء فقد وهبناه له قلما أصبح كسرت عتبة بابه من كثرة عواده وقيل كان بينه وبين رجل عداوة فأراد ذلك الرجل أن يماكره فمضى إلى الناس فقال أن قيساً يدعوكم فحضر بابه خلق كثير فقال ما بال الناس فقيل له إنك دعوتهم ولم يكن عنده في الوقت مال حاضر وكان له على الناس ديون فأخرج الصكوك على الناس بعشرين ألف دينار ففرقها على من حضر منهم وقال إذا خرج العطا فخذوا هذا من الناس واعذروني إذ ليس في يدي ما أبركم بالنقد وأن الهداية إلى حسن الخلق باب الهداية إلى إعتقاد الحق لأن الدين شيئان صدق مع الحق وخلق مع الخلق ثم منازل الناس في الخلق متفاوتة فمن وضيع تقاصر أمره ومن كبير تناهى قدره ولهذا قال بعضهم حسن الخلق أن لا يبقى أثر للكون وقيل إحتمال المكروه بحسن المداراة وقيل هو بسط الوجه وكف الأذى وقيل هو ترك الخيانة في حال النعمة ورفض الشكاية في حال المحنة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال طوبى لمن بات حاج وأصبح غازياً قالوا من هو يا رسول الله قال من كثرت عياله وضاقت يده وحسن خلقه معهم يدخل ضاحكاً ويخرج ضاحكاً أنا منهم وهم مني وهم الحاجون الغازون في سبيل الله وقال الفضيل بن عياض لأن يصحبني رجل فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق الحسن طوق من رضوان الله في عنق صاحبه والطوق مشدود إلى سلسلة من الرحمة والسلسلة مشدودة إلى حلقة من أبواب الجنة حيث ما ذهب الخلق الحسن جذبته السلسلة إلى نفسها فتدخله من ذلك الباب الجنة والخلق السوء طوق من سخط الله في عنق صاحبه والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله والسلسلة مشدودة إلى حلق من باب النار من حيث ما ذهب الخلق السوء جذبته السلسلة إلى نفسها فتدخله من ذلك الباب النار .

* * *

باب

في معنى اسمه « البديع »

البديع من أسمائه تعالى قال الله سبحانه ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ ومعناه المبدع فعيل بمعنى مفعل كثير وقد مضى فيما تقدم في غير موضع وقيل كان في الأصل بدع ولكنهم أماتوا هذا التصريف وكل من فعل فعلاً لم يسبق إليه قيل أبدع ولهذا سميت البدعة بدعة لأنه قول لم يسبق إليه قائله والله تعالى مبدع الأعيان لا على مثال تقدم ولا من أحد تعلم وقيل أن البديع هو الذي لا مثل له ويقال هذا شيء بديع إذا كان عديم المثل والوصفان جميعاً يجبان لله تعالى لأنه المنشىء لا على مثال وهو القديم بلا مثال وأما المبدىء فهو مفعل بمعنى فاعل يقال بدأ الله الخلق وأبداهم قال تعالى ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ وأن الله تعالى خالق الأعيان ومبديها وجاعل العين عيناً والذات ذاتاً ويصبح هذا على طريقة أهل السنة دون من خالفهم من أهل الأهواء والبدعة حيث قالوا أن الحوادث كانت في العدم أعياناً وأشياء فسدوا على أنفسهم طريق التوحيد بهذه البدعة الشنعاء وليس هذا موضع بسط الكلام فيه ومن آداب من عرف هذا الإسم لله تعالى أن يجتنب البدعة ويلازم السنة . والبدعة ما ليس لها أصل في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا إجماع الأمة قال الله سبحانه ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقال تعالى ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ وقال تعالى ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ وقال أبو عثمان الحيري من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق

البديع : الذي أبدع التصوير وأحسن التدبير ولم يخلق الأكوان خامدة مملة بل خلقها حافلة ببدائع المصنوعات وغرائب الفنون وعجيب الحوادث شيقة للمتفكرين كثيرة الدلالات والآيات المتوسمين فسبحانه وتعالى لا نهاية لكماله ولا حد لجلاله ولا مثيل له . وذاكره يكون من أهل البصيرة والفهم وتقضي حاجته ويأمن الصواعق .

بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال صلى الله عليه وسلم من أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة وقال سهل بن عبد الله أصول مذهبنا ثلاثة الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأعمال وقول الله تعالى ﴿ **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل** ﴾ جاء في التفسير الحكمة السنة وقال تعالى ﴿ **والعمل الصالح يرفعه** ﴾ جاء في التفسير أنه الإقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خبر مسند عمل قليل في سنة خير من إجتهاد في بدعة وقيل رئي عمرو بن الليث في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوماً وفي سفح الجبل جنودي فأعجبني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته فشكر الله لي ذلك فغفر لي ويحكى عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه قال كنت يوماً مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء فاستعملت خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة في المنام قائلاً يقول لي أبشر يا أحمد فإن الله قد غفر لك باستعمال السنة فقلت من أنت فقال جبريل وقد جعلك الله تعالى إماماً يقتدى بك ويحكى عن بعضهم أنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له يا رسول الله اشفع لي قال قد شفعت لك فقلت متى فقال اليوم الذي أحييت فيه سنة من سنتي وقد أميتت وقال صلى الله عليه وسلم من خالف الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وقال ابن عباس ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيى البدعة وتموت السنة وقال صلى الله عليه وسلم من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام وأوحى الله لموسى عليه السلام لا تجالس أهل الأهواء فيحدثوا في قلبك ما لم يكن وقال سهل ابن عبد الله من داهن مبتدعاً سلبه الله تعالى حلاوة السنن من ضحك إلى مبتدع نزع الله تعالى نور الإيمان من قلبه سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول من استهان بأدب من آداب الإسلام عوقب بحرمان السنة ومن ترك سنة

عوقب بحرمان الفريضة ومن استهان بالفرائض قيض الله له مبتدعاً يذكر عنده باطلاً فيوقع في قلبه شبهة . واعلم أن بركات السنة توصل العبد إلى حقائق القربة وتجعله أهلاً لخصائص الرأفة قال الله تعالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ وفقنا الله وإياكم لمتابعة السنة وعصمنا عن إتباع البدعة .

* * *

باب

في معنى اسمه « الباقي الوارث »

الباقي إسم من أسمائه تعالى والبقاء صفة من صفات ذاته وهو تعالى باق ببقاء هو قائم به وبقاؤه باق لنفسه لأنه في نفسه باق وصفات ذاته باقية ببقائه تعالى وحقيقة الباقي من له البقاء وإنما جاز أن يكون بقاؤه بقاء لصفاته ولم يجز أن يكون بقاء الجوهر بقاء لأعراضه لأن الجوهر غير العرض ولا يجوز أن يكون الباقي باقياً ببقاء هو غيره ومما يجب أن تشتد به العناية أن يتحقق العبد أن المخلوق لا يجوز أن يكون متصفاً بصفات ذات الحق سبحانه فلا يجوز أن يكون العبد بعلم الله عالماً ولا يجوز أن يكون العبد بقدرة الله قادراً ولا أن يكون سميعاً وبصيراً بسمعه وبصره تعالى ولا أن يكون حياً بحياته ولا باقياً ببقائه تعالى لأن الصفة القديمة لا يجوز قيامها بالذات الحادثة كما لا يجوز قيام الصفة الحادثة بالذات القديمة وحفظ هذا الباب أصل التوحيد فإن كثيراً ممن لا تحصيل له ولا تيقن زعموا أن العبد يصير باقياً ببقاء الحق وأنه يكون سميعاً بسمعه بصيراً ببصره حياً بحياته وهذا خروج عن الدين وانسلاخ عن الإسلام بالكلية وهذه

الباقي : الذي لا يموت أبداً ولا يهن ولا يتحول ولا يتغير واجب الوجود لذاته ولا حياة لغيره إلا به ، وذاكره يطول عمره ويشفى من مرضه ويستنير في باطنه وينظر في مستقبله ويطمئن إلى ربه .

الوارث : الذي تؤول إليه ملكية جميع الأشياء بحكم بدئها من إيجاده وإنشائه ولكونه سبحانه وتعالى الباقي الذي لا يزول ولا يتحول ولا يموت أبداً وهو الذي يورث خلقه جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الأرض ومن عليها بانتهاء الخلق المقدر ظهوره وتكليفه فتبدل الأرض غير الأرض فلا يبقى للخلق من نشأتها وسعيها وتعميرها الأرض إلا ميراث العمل الصالح **﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾** وذكره يورث في القلب الزهد والعفاف والتقى ويجعل ذاكره سيداً في قومه .

البدعة أشنع من قول النصارى حيث قالوا إن الكلمة القديمة اتحدت بذات عيسى وهذه البدعة توازي قول الحلولية حيث جوزوا على ذات الحق سبحانه الحلول في الأشخاص المحدثة كذلك هؤلاء جوزوا قيام الصفة القديمة بالذات المحدثة وربما تعلقوا في نصرة هذه المقالة الشنيعة بما روي في الخبر عن الله تعالى إذ قال فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً فيَّ يسمع وبي يبصر ولا أحتجاج لهم في ظاهره لأنه ليس فيه أنه يسمع بسمعي ويبصر ببصري بل قال بي يسمع وبي يبصر فالاتفاق أن ذاته لا يجوز أن تكون لأحد سمعاً ولا بصراً فإذا تركوا الظاهر لم يبق إلا التأويل فالواجب الإشتغال بالتأويل الصحيح دون الباطل وإنما حملنا على المبالغة في شرح هذا الفصل ما رأينا من الواجب علينا في نصرة الدين ونحن في زمان يناظرنا فيه من ليس له تحقيق ولا تحصيل ولما كثر من إغترار أهل الغباوة بما قد موهوا من التلبيس وغلب عليهم من قلة التحقيق وشدة التهويس حتى أن منهم من يقول إن معرفة العبد ليست بمخلوقة وروحه ليست بمخلوقة وإنما أصل هذه البدع الفاسدة والأقاويل الركيكة الباطلة قول من قال لفظ العبد وقراءاته القرآن ليس بمخلوق وإنما جوز هؤلاء الحشوية أن يكون قرآن قديم يوجد على لسان العبد ويسمع من المخلوق وارتقى هؤلاء المهوسون وتوهموا أنهم زودوا على إخوانهم في التدقيق وقالوا إن العبد يكون باقياً ببقائه سبحانه سميعاً بصيراً بسمعه وبصره قال النصر أباذي رحمه الله تعالى الحق سبحانه وتعالى باق ببقائه والعبد باق بإبقائه ولقد حقق رحمه الله تعالى وحصل وأخبر عن نكتة المسئلة وفصل وأما الوارث فهو الباقي بعد فناء الخلق يفني الأولين والآخرين من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين ثم يقول لمن الملك اليوم ويجيب نفسه بقوله : ﴿ لله الواحد القهار ﴾ .

* * *

باب

في معنى اسمه « الرشيد »

الرشيد من أسمائه تعالى ورد به الخبرَ الوارد في تفصيل أسمائه ومعناه المرشد وإرشاد الله تعالى لعبده هدايته لقلبه إلى معرفته . هذا هو الإرشاد الأكبر الذي خص به أولياءه من المؤمنين قال الله سبحانه ﴿ **يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ وبعد هذا إرشاده لعباده في الآخرة إلى الجنة ثم إرشاده لهم اليوم إلى إختيار طريق طاعته والتوقي عن مخالفته ثم إرشاده إياهم لما فيه صلاح أحوالهم من إنتظام أسباب معايشهم قال الله سبحانه ﴿ **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ وأمارة من يرشده الحق لإصلاح نفسه أن يلهمه حسن التوكل عليه وتفويض أموره بالكلية إليه واستجارته إياه في كل خطب واستخارته في كل شغل كما أخبر سبحانه عن موسى عليه السلام حيث قال . « ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل » هكذا ينبغي للعبد إذا أصبح أن يتوكل على ربه فلا يستقبله شغل إلا فزع إليه ونظر إلى ما يرد على قلبه من الإشارة من قبله فتندفع عنه الأشغال ويكفيه الله تعالى جميع الأمور فإن رجع بعد ما أرشده الله تعالى إلى هذا عاتبه الله تعالى بما يعلم أنه كان منه سوء أدب حتى يعود إلى سكونه وترك اختياره واحتياله . يحكى عن بعضهم أنه قال : كنت مع إبراهيم بن أدهم في السفر وقد أصابنا الجوع فأخرج كتاباً كان معه بعدما نزلنا في مسجد فقال لي مر وارهن هذا الكتاب وجئنا بشيء نأكله فقد مسنا الجوع قال فخرجت فاستقبلني رجل بين يديه بغلة موقرة وكان يقول الذي أطلبه رجل أشقر طويل يقال له إبراهيم بن أدهم فقلت له أيش تريد منه

الرشيد : الحكيم الذي ليس في أفعاله عبث ولا لهو ولا بلهو يهب الرشد والصلاة لمن يشاء من عباده قال سبحانه وتعالى ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل كنا به عالمين** ﴾ وذاكرة يقبل الله توبته ويصلح له عمله ويكون من المحسنين .

فقل : أنا غلام أبيه وهذه الأشياء له فدللته عليه قال فدخل المسجد وأكب على رأسه ويديه يقبلهما فقال له إبراهيم من أنت فقال غلام أبيك وقد مات أبوك ومعي أربعون ألف دينار ميراثك من أبيك وأنا عبدك فمر بما شئت فقال إبراهيم إن كنت صادقاً فأنت حر لوجه الله تعالى والذي معك كله وهبته لك انصرف عني فلما خرج قال يا رب كلمتك في رغيف فصببت علي الدنيا فوحقك لئن أمتني من الجوع لا تعرضت بعده لطلب شيء أبداً . أنظر كيف أرشده الله تعالى بحسن الإشارة على قلبه لما رأى في إتمام ما قصده من طريق زهده . ومن إرشاد الله تعالى للعبد تثبيته إياه على طريق الملازمة والاستقامة حتى لا ينقص عزمه ولا يفسخ مع الله عز وجل عقده . يحكى عن بعضهم أنه قال : صحبت إبراهيم بن أدهم في طريق مكة وتشارطنا أن لا ننظر لأحد إلا لله تعالى فدخلنا الطواف يوماً وكان في الطواف غلام فتن الناس بحسن وجهه فإذا إبراهيم بن أدهم يديم النظر إليه فقلت له أيها الشيخ أليس قد تشارطنا أن لا ننظر إلا لله تعالى قال نعم فقلت فلم ذا تكثر النظر إلى هذا الضبي الذي قد فتن الناس بوجهه فقال إنه إبني فقلت لم لا تتعرف إليه فقال شيء تركته لله لا أعود إليه مر أنت وسلم عليه ولا تخبره بشأني ولا تدله على مكاني قال فمررت وسلمت عليه وقلت له من أنت فقال أنا ابن إبراهيم بن أدهم قيل لي إن أبي يحج كل سنة فجئت لعلي أراه قال فرجعت إلى إبراهيم فسمعته ينشد :

هجرت الخلق طراً في رضاكا وأيتمت الوليد لكي أراكا
فلو قطعتني في الحب إرباً لما حن الفؤاد إلى سواكا

فصل : وأنه سبحانه أرشد نفوس الزاهدين إلى طريق طاعته وقلوب العارفين إلى سبيل معرفته وأرواح الواجدين إلى حقيقة صحبته وأسرار الموحدين إلى حقيقة تطلع قربته لا حرمنا الله ما رزقهم ووفقنا لما وفقهم بمنه ولطف صنعه .

* * *

باب

في معنى اسمه « الصبور »

الصبور مما ورد به الخبر في أسمائه تعالى فإن صح ورود الرواية به فمعناه الحليم في وصفه لأن معنى الصبر في اللغة الحبس يقال قتل فلان صبراً وسمي شهر الصوم شهر الصبر أي شهر الحبس والصابر يكون على وجهين صابر عن شيء وصابر على شيء وكل واحد منهما يحبس نفسه على ما يصبر عليه ويحبس نفسه عما يصبر عنه وفي صفة القديم سبحانه لا يصح حبس النفس ولكن يكون بمعنى تأخير العقوبة عن العباد وقد مضى طرف من الكلام في حلمه وتأخيره العقوبة عن العباد فأما رتبة العبادات في الصبر فعلى أقسام أولها التصبر وهو تكلف الصبر ومقاساةالشدة فيه وبعد ذلك الصبر وهو سهولة تحمل ما يستثقله غيره من فنون القضاء وضروب البلاء وبعد ذلك الإصطبار وهو النهاية في الباب ويكون ذلك بأن يألف الصبر فلا يجد مشقة بل يجد روحاً وراحة قال الشاعر :

تعودت حسن الصبر حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

وأنشدوا :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب يا صبر صبراً

سمعت أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول إن محنة أيوب عليه السلام إنما كانت من عجز الصبر عن مقاومته ومثل هذا إنما يقال على سبيل ضرب المثل والأخبار عن نهاية حال العبد في الصبر وإلا فالصبر صفة ولا توصف بالعجز

الصبور : الذي لا يعجل وجعل الأمور والأشياء مرهونة بأوقاتها مع قدرته على إبرازها جملة واحدة وفي ذلك جليل الحكمة وكريم الموعظة لخلقه حتى يصبروا ويصابروا ويهون عليهم كل شيء بالصبر . وذاكره لا تصيبه النكبات ولاتمسه الحسرات ويكون ربه في حوادث الدهر وليه .

والقدرة وقد قيل المحنة إذا دامت الفت سمعت الدقاق يقول ليس الصبر أن لا تذكر البلاء لفظاً ونطقاً إنما الصبر أن لا تعترض على قدرته استقباحاً لذلك ونكراً وشاهده ما أخبر الله تعالى عن أيوب بقوله سنيِّ الضر ثم قال تعالى ﴿ **إنا وجدناه صابراً نعم العبد** ﴾ وكان يقول رحمه الله تعالى علم الله ضعف هذه الأمة وأنهم لا يطيقون تحمل البلا فجعل قصة أيوب سلوة لكل ممتحن يخبر عن شدة محنته ومقاساة صبره وقال جماعة من شرط الصبر أن لا تتنفس بخلاف الأذن تحت جريان حكمه وأنشدوا :

أن كنت للسقم أهلاً ... فأنت للشكر أهلاً
عذب فلم يبق قلب ... يقول للسقم مهلاً

قالوا حقيقةالصبر ترجيع البلاء من غير تعبيس وقيل أن أيوب عليه السلام أنَّ يوماً أنَّه فأوحى الله إليه يا أيوب شكوتني فقال إلهي إلى من ولم تسمع أنَّني فقال شكوتني إلى أعدى عدو لك وهي نفسك سمعت الدقاق يقول في آخر عمره وقد قربت وفاته وهو في ألم شديد من علامات التأييد حفظ التوحيد في أوقات المحنة ثم قال معنى هذا الحديث أن يقطعك إرباً إرباً وأنت ساكن تحت جريان حكمه راض بنفوذ تقديره فيك وأمره وقيل ينبغي أن يكون الصابر في حكمه كالميت بين يدي الغاسل بقلبه كيف شاء وقيل فرق ما بين الحليم وبين الصبور في صفة الخلق أن الحليم من يتجاوز عن غيره بلا تكلف ولا مقاساة مشقة والصبور هو الذي يراود نفسه عن أخلاقها فيحتمل كرهها يحكى عن الأحنف بن قيس أنه قال أنا صبور ولست بحليم وكان يضرب به المثل في الحلم حكي أنه كان يأتي من موضع وإنسان يتسفه عليه وهو يصبر فلما قارب محلته وقف وقال لذلك الرجل إن كان بقي في قلبك شيء فقله فإني أكره أن يسمع شبان جيرتي ما تقول فيقابلونك بما تكره وأما ما يجب على العبد من الصبر فهو الصبر على ما أمر الله تعالى به من أوامره والصبر عما نهى عنه من محارمه والسكون تحت ما يجري قضاؤه به وقدره وفقنا الله تعالى لذلك بمنه ورحمته إنه على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وصحبه وعترته

وسلم تسليماً .

إنتهى كتابنا هـذا ونحن على وصف الإختصـار وسبيل الإيجـاز ونسأل الله تعالى العفو عما وقع فيه من الخلل إنه رؤوف رحيم والحمد لله على كماله .

* * *

محتوى الكتاب